المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الملك سعود
كلية التربية
قسم الثقافة الإسلامية
مسار العقيدة

خطة بحث تكميلي لمرحلة الماجستير بعنوان:

الكعبة البيت الحرام
بين أهل السنة ومخالفيهم

" دراسة عقدية "

إعداد الطالبة :
نورة بنت عبدالله العتيبي
الرقم الجامعي :٤٣١٢٠٢٦٩٣

إشـراف:
د.هدى بنت ناصر الشلالي
الأستاذ المساعد بقسم الثقافة الإسلامية

الفصل الدراسي الأول ١٤٣٣/١٤٣٤هـ

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة الملك سعود

كلية التربية

قسم الثقافة الإسلامية

مسار العقيدة

خطة بحث تكميلي لمرحلة الماجستير بعنوان:

الكعـــبة البيت الحرام

بين أهل السنة ومخالفيهم

" دراسة عقدية "

إعداد الطالبة :

نورة بنت عبدالله العتيبي

الرقم الجامعي :٤٣١٢٠٢٦٩٣

إشـــراف:

د.هدى بنت ناصر الشلالي

الأستاذ المساعد بقسم الثقافة الإسلامية

الفصل الدراسي الأول ١٤٣٣/١٤٣٤هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــــــدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[1].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾[2].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[3].

أما بعد: فإن من كمال حكمة الله عز وجل وعلمه، أن فضَّل بعض خلقه على بعض، وفضَّل بعض الأمكنة والأزمنة على بعض؛ ﴿ وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ ﴾[4]، ومن هذه الأمكنة التي خصّها الله بعظيم الشرف ورفيع المكانة: مكة البلد الحرام، فحرَّمها وعظَّمها ومن أعظم حرماتها الكعبة البيت الحرام؛ قال تعالى:﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ ﴾[5]، فرفع بناءها خليله إبراهيم أبو الأنبياء وإمام الحنفاء على أساس متين من التوحيد الخالص؛ قال تعالى:﴿ وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا ﴾[6].والكعبة أول بيت وضع في الأرض لعبادة الله عزو جل؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾[7].

---

(١) سورة آل عمران : ١٠٢.

(٢) سورة النساء : ١.

(٣) سورة الأحزاب : ٧٠-٧١.

(٤) سورة القصص : ٦٨.

(٥) سورة المائدة : ٩٧.

(٦) سورة الحج : ٢٦.

(٧) سورة آل عمران : ٩٦.

قال شيخ الإسلام[١]- رحمه الله -: " فالبيت الحرام كان له فضيلة بناء إبراهيم الخليل ودعاء الناس إلى حجه، وصارت له فضيلة ثانية، فإن محمدًا ﷺ هو الذي أنقذه من أيدي المشركين ومنعه منهم...فعُبد الله فيه بسبب محمد ﷺ أضعاف ما كان يُعبدُ الله فيه قبل ذلك، وأعظم مما كان يعبد"[٢].

وجاء في الصحيح تعظيم الله الكعبة، قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: " هذا يوم يُعظِّم الله فيه الكعبة، ويوم تكسى فيه الكعبة"[٣]، كما عظَّمها رسله - صلوات الله وسلامه عليهم -، فلها حجَّ خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، كما حجَّ - قبلَه - إبراهيم وإسماعيل- صلوات الله وسلامه عليهم -[٤]، وثبت في الصحيح حجّ أنبياء الله موسى بن عمران ويونس بن متى - عليهما الصلاة و السلام - [٥]،وسيقصدها - آخر الزمان- رسول الله عيسى بن مريم عليه السلام حاجاً، أو معتمراً ، أو مثنياً [٦].

وهي القبلة التي أرضى الله بها رسوله ﷺ، واختارها الله تعالى لهذه الأمة، قال ابن القيم[٧]- رحمه الله -: " إنه كما جعلهم أمة وسطاً خياراً اختار لهم أوسط جهات الاستقبال وخيرها، كما اختار لهم خير الأنبياء، وشرع لهم خير الأديان، وأنزل عليهم خير الكتب، وجعلهم شهداء على الناس كلهم؛ لكمال فضلهم، وعلمهم، وعدالتهم.

---

(١) هو تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن أبي القاسم بن تيمية الحراني ثم الدمشقي الحنبلي، مفسر، فقيه، مجتهد، حافظ، محدث، امتُحن وأوذي وسجن عدَّة مرات كان آخرها بقلعة دمشق، حيث توفي سنة ٧٢٨هـ، من مصنفاته: بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، درء تعارض العقل والنقل. انظر: الوافي بالوفيات للصفدي ٧/ ١١-٢١، تحقيق: أحمد الارنأووط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ، البداية والنهاية لابن كثير ١٨/ ٢٨٩، ٢٩٥،-٣٠٢، مكتبة المعارف، بيروت، ط٥، ١٤٠٤هـ، الدرر الكامنة لابن حجر ١/ ١٦٨-١٨٦، مراقبة: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ط٢، ١٣٩٢هـ.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ٢٧/ ٣٢٦، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، وساعده ابنه محمد، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف تحت إشراف وزارة الشؤون الاسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المدينة المنورة، ١٤١٦هـ.

(٣) صحيح البخاري كتاب المغازي، باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح، رقم (٤٠٣٠) ١٥٥٩/٤. تحقيق : د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى ١٧/ ٤٨٥،٢٧/ ٣٦٨.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات، رقم (١١٦) ١/١٥٢، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٦) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب إهلال النبي ﷺ وهديه ، رقم (١٢٥٢)،٢/٩١٥.

(٧) هو أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي ثم الدمشقي الحنبلي، المعروف بابن قيم الجوزية، فقيه، محدث، مفسر، بارع في علوم الشريعة والعربية، تصدى للإفتاء والإمامة، لازم ابن تيمية وسجن معه في قلعة دمشق، من مؤلفاته: الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، زاد المعاد في هدي خير العباد، إعلام الموقعين عن رب العالمين، توفي بدمشق ٧٥١هـ. انظر: الوافي بالوفيات للصفدي ٢/ ١٩٥، الدرر الكامنة لابن حجر ٥/ ١٣٧-١٤٠، النجوم الزاهرة للأتابكي ١٠/ ٢٤٩، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر.

وظهرت حكمته – سبحانه – في أن اختار لهم أفضل قِبلَة وأشرفها لتتكامل جهات الفضل في حقهم بالقبلة والرسول والكتاب والشريعة "[1].

وللكعبة – البيت الحرام – علاقةٌ وثيقة بأصول الإيمان في عقيدة المسلم، كما دلَّ على ذلك كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وماجاء عن السلف الصالح – رحمهم الله – من آثار، فكان من إعظامها بيانُ الجانب العقدي مما قاله الله ورسوله ﷺ فيها، وردُّ الباطل عنها ودحضه؛ ولذلك– بعد استخارة الله تعالى والاستشارة– جاء اختيار موضوع رسالة الماجستير بعنوان:(**الكعبة البيت الحرام بين أهل السنة ومخالفيهم: دراسة عقدية**) فالله المستعان، وعليه وحده التكلان.

- **مشكلة البحث:**

الكعبة هي بيت الله الحرام، وتتعلق في اعتقاد أهل السنة بأصول الإيمان، وفيها مسائل متعددة ومتفرقة.

وأما شأنها لدى المخالفين لهم:

فقد شَهِدَ المهتدون من أهل الكتاب، وعلماء المسلمين – ممن ألفوا في جدال أهل الكتاب – أن نصوص العهد القديم والعهد الجديد[2]، قد تضمنت إشارات إلى الكعبة، وإن لم يذكر اسمها صراحة، بل جاء فيها لفظ "البيت"، ومايدلُّ عليه مما هو من لوازمه، وقد اثبتوها متفرقة في كتبهم.

كما اعتقدت الفِرق والطوائف ـ المنتسبة للإسلام ـ، اعتقادات باطلة في الكعبة فضاهوا بها الأشخاص والقبور والمشاهد، وصرفوا إليها ما اختصَّ بها من الاستقبال في الصلاة، والطواف بها، واستلام الركنين وتقبيل الحجر الأسود، وامتهنوها بالتعدي عليها، واستدبارها في الصلاة، و محاولة صرف الناس عنها، والدعوة إلى هدمها.

ولما انكبَّ المستشرقون على دراسة علوم المسلمين والتأليف في ترجمة القرآن الكريم السيرة النبوية والعقيدة والشريعة، كتبوا في بطونها من المفتريات والأخطاء مايثير غيرة المسلم لنفيها عن حرمات الله، وردد هذه الأقول وزاد فيها من تأثر بأولئك من الكتاب المعاصرين.

ولِعظَم حرمتها، واستقبال المسلمين لها في صلواتهم، جاءت الدعوات الحديثة الخبيثة من أهل المشرق والمغرب لامتهانها والتهديد بهدمها.

ومادة البحث هذه متفرقة مبثوثة ولم تُفرد بمؤلَّف مستقل، والحاجة ماسَّة لدراستها دراسة عقدية، تتضمن جمع ماتفرق وتعدَّد، وعرض رأي المخالفين ومناقشته ونقده على ضوء كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

---

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم ٢/ ٣٨١ ، عناية وتخريج: علي بن حسين الحلبي الأثري، دار ابن القيم، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ.

(٢) مما جاء في البشارة بالنبي ﷺ وفي غيرها.

- **حدود البحث:**

تنقسم حدود البحث إلى حدَّين رئيسين، ويندرج تحت كل حدّ مايختص به:

الحدُّ الأول: الكعبة عند أهل السنة

وهو يختص بدراسة تعلُّق الكعبة بأصول الإيمان عند أهل السنة، وماتتضمنه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والآثار الواردة عن السلف الصالح- رحمهم الله - من مسائل متعددة ومتفرقة.

الحدُّ الثاني: الكعبة عند المخالفين

وهو يختص بدراسة مايتعلق بالكعبة عند مخالفي أهل السنة، على النحو التالي:

ثانياً : الإشارات إلى الكعبة الواردة في نصوص العهد القديم والعهد الجديد؛ بشهادة المهتدين من أهل الكتاب كما جاء في مصنفاتهم، ومصنفات علماء المسلمين في جدال أهل الكتاب.

ثالثاً: ماجاء في كتب الفِرق والطوائف ـ المنتسبة للإسلام ـ وهي تتضمن اعتقادات وأقوال مضاهية، أو ممتهنة للكعبة.

رابعاً: ماجاء في كتب المستشرقين ومن تأثر بهم من الكتاب المعاصرين، من مفتريات و أخطاء في شأن الكعبة.

خامساً: الدعوات الحديثة لامتهان الكعبة، ومحاولة النيل من حرمتها وأمنها.

- **مصطلحات البحث:**

تعريف الكعبة:

الكعبة تطلقُ على:

أ. بيت الله الحرام، قال تعالى: ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ ﴾[1]، ويضاف البيت إلى الله تعالى إضافة تشريف وتعظيم، قال تعالى: ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ ﴾[2][3].

(١) سورة البقرة: ١٤٤.

(٢) سورة الحج : ٢٦.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى ٦/ ١٤٥، ٣٦٩، ١٧/ ١٤٩-١٥٢.

ب. القِبلَة لقوله تعالى: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ﴾[1]، وسميت قبلة؛ لأن المصلي يستقبلها في صلاته، وقيل لإقبال الناس عليها[2].

جـ. المسجد الحرام، لقوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ﴾[3] والمقصود به هنا هو الكعبة[4]، وسمي مسجداً للعبادة فيه والسجود[5].

معنى أهل السنة والجماعة باعتباره لقباً:

نشأ مصطلح أهل السنة والجماعة – لاسيما بعد ظهور البدع والفرق – استناداً إلى الأحاديث والآثار الداعية إلى الارتباط بالجماعة، والتمسك بالسنة، والمحذرة من الفرقة والاختلاف في الدين، والابتداع فيه[6].

قال الإمام أبو نصر السجزي[7] – رحمه الله– في هذا المعنى: " أهل السنة هم الثابتون على اعتقاد مانقله إليهم السلف الصالح رحمهم الله عن الرسول ﷺ، أو عن أصحابه رضوان الله عنهم فيما لم يثبت فيه نص في الكتاب ولا عن الرسول ﷺ؛ لأنهم – رضوان الله عليهم – أئمة وقد أمرنا باقتفاء آثارهم واتباع سننهم، وهذا أظهر من أن يحتاج إلى إقامة برهان "[8].

فأهل السنة والجماعة هم أصحاب رسول الله ﷺ ومن سار على نهجهم إلى يوم القيامة [9].

---

(١) سورة الحج : ٢٦. انظر: مجموع الفتاوى ٦/ ١٤٥، ٣٦٩، ١٧/ ١٤٩-١٥٢

(٢) مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج للشيخ: محمد الخطيب الشربيني ١/ ١٤٢، المكتبة التجارية الكبرى ١٣٧٤هـ، المجموع للنووي ٣/ ١٩١، حققه وعلق عليه وأكمله بعد نقصانه: محمد نجيب المطيعي، مكتبة الرشاد، جدة،كشاف القناع عن متن الإقناع للشيخ: منصور البهوتي ١/ ٣٠١ ، مكتبة النصر الحديثة، الرياض.

(٣) سورة البقرة : ١٤٤.

(٤) أحكام القرآن للجصاص ١/ ٩٠، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، دار المصحف، شركة مكتبة ومطبعة عبدالرحمن محمد.

(٥) انظر: لسان العرب لابن منظور مادة (سجد) ٣/ ٢٠٤.

(٦) انظر: ابن تيمية والتصوف لمصطفى حلمي ٨، دار الدعوة، الاسكندرية.

(٧) هو عبيد الله بن سعيد بن حاتم الوائلي،البكري، السجستاني، شيخ الحرم وعلم السنة، حافظ، مجود، ذا معرفة بالرجال والأسانيد، من مؤلفاته: الإبانة الكبرى، الرد على من أنكر الحرف والصوت، توفي سنة ٤٤٤هـ بمكة. انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٤/ ١٦٦، تحقيق: مجموعة محققين، أشرف على التحقيق وخرج الأحاديث: شعيب الأرنؤوط مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ، تذكرة الحفاظ للذهبي ٣/ ١١١٨-١١٢٠ ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٨) الرد على من أنكر الحرف والصوت ٩٩، تحقيق: محمد باكريم، مطبوعات الجامعة الإسلامية، ط١، ١٤١٣هـ.

(٩) انظر: مجموع الفتاوى ٣/ ١٥٩.

تعريفُ مخالفي أهل السنة:

يشمل هذا التعريف:

أولاً: المخالفين لهم في المِلَّة، وهم :

أهل الكتاب: والمقصود بهم اليهود: وهم المتبعون لشريعة التوراة من بني إسرائيل وغيرهم(١).والنصارى: هم المتبعون للرسالة التي أنزلت على عيسى عليه السلام مكملة لرسالة موسى عليه السلام ومتممة لما جاء في التورة من تعاليم موجهة إلى بني إسرائيل(٢).

ثانياً: المخالفين لهم في الأصول والمذاهب الاعتقادية- من المنتسبين إلى الإسلام- وهم:

أ. **الفلاسفة الباطنية**: هم الذين عظَّموا فلاسفة اليونان كأرسطو وأمثاله، وقلدوهم في منطقهم، وعارضوا الكتاب والسنة بأقوالهم، والعجيب انهم ينهون العامة عن تقليد الرسل، ومع ذلك فهم يقلدون رؤوسهم(٣).

ب. الشيعة: وهم:

١/**الإمامية الإثنا عشرية**: هم الذين يزعمون أن علياً رضي الله عنه أحق بالإمامة وولده من بعده رضي الله عنهم، دون الشيخين وعثمان رضي الله عنهم، وسُموا إمامية؛ لأنهم جعلوا الإمامة هي القضية الأساسية التي تشغلهم، وسُموا بالاثني عشرية؛ لأنهم قالوا باثني عشر إماماً ، دخل آخرهم في سرداب سامراء، وهم من الفرق الغالية في تعظيم الأئمة(٤).

---

(١) قال شيخ الإسلام – رحمه الله – في تفسير قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾(البقرة: ٦٢):" إن لفظ ﴿ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ ﴾ يتناول جميع أهل الكتاب – التوراة والإنجيل – الذين كانوا قبل النسخ والتبديل، والذين كانوا بعد ذلك، فهذا الاسم لا يختص بالكفار منهم، كما أن لفظ (بني إسرائيل) ولفظ (أهل الكتاب) ليس مختصاً بالكفار، ولكن كانوا مسلمين ومؤمنين مع كونهم من بني إسرائيل ومن أهل الكتاب، وكذلك من اليهود والنصارى. انظر: تفسير آيات أشكلت ١/ ٢٧٥ مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ ، مجموع الفتاوى ٧/ ٥٥.

(٢) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف د. مانع الجهني ٢/ ٥٦٤، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٠هـ، الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، د. ناصر القفاري ود. ناصر العقل ٦٤، دار الصميعي، الرياض، ط١، ١٤١٣هـ.

(٣) انظر:مجموع الفتاوى ١٩٥/٨ ، ٥/ ٢٨٩.

(٤) انظر: الفصل في الملل لابن حزم ٩٠/٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، منهاج السنة ١٤٢/٢، تحقيق : د. محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤٠٦هـ، الموسوعة الميسرة ١/ ٥١.

٢/النصيرية: فرقة باطنية غالية مقصدها هدم الإسلام ونقض عراه، ظهرت في القرن الثالث الهجري بعد انشقاقها عن الشيعة الاثني عشرية، ينتسبون إلى"محمد بن نصير النميري"(١)، وقد زعم أنه هو "الباب" إلى الإمام الحسن العسكري(٢) والمرجع للناس من بعده، إلا أن الإمامية لم تُقرّ له بذلك، فانشق عنها وكوّن هذه الفرقة (٣).

٣/الإسماعيلية: فرقة باطنية ظاهرها التشيع لآل البيت، وحقيقتها هدم عقائد الإسلام، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق(٤)، وهي من فرق الشيعة في الأصل، ويتفقون مع الاثني عشرية في سياق الإمامة إلى جعفر الصادق، وتميزت عنها بالقول بإمامته – أي إسماعيل – بعد أبيه، والاثنا عشريه تقول بإمامة أخيه موسى الكاظم(٥)(٦).

٤/القرامطة: وهم فرقة من فرق الباطنية الهدامة، ظاهرها التشيع لآل البيت، والانتساب إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، وحقيقتها الإلحاد والإباحية وهدم الأخلاق، والقضاء على الدولة الإسلامية، وقد أُختلف في نسبة القرامطة على أقوال كثيرة؛ فقيل: نسبة إلى حمدان بن الأشعث الملقب بـ "قرمط"، ولقب بهذا اللقب لقصر قامته وتقارب خُطاه، وقيل: لتقارب في خطه وكتابته(٧).

---

(١) محمد بن نصير النميري، أبو شعيب البصري، وهو من الغلاة الذين يقولون : إن علياً إله، أحد دعاة الحسن العسكري، عاصر ثلاثة من أئمة الإمامية، زعم أنه هو الباب إلى الإمام العسكري، ثم ادعى النبوة والرسالة، وغلا في حق الأئمة إذ نسبهم إلى مقام الألوهية، توفي سنة ٢٧٠هـ .انظر: فرق الشيعة للحسن النوبختي وسعد القمي ٩٥ ، تحقيق: د. عبدالمنعم الحفني، دار الرشد، القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ، مجموع الفتاوى ٣٥/١٦١، والموسوعة الميسرة ١/ ٣٩٠.

(٢) الحسن بن علي الهادي بن محمد الجواد الهاشمي أبو محمد العسكري، الإمام الحادي عشر عند الإمامية، ولد في المدينة سنة ٢٣٢هـ، كان على تقى ونسك وعبادة ، وتوفي سنة ٢٦٠هـ. انظر: فرق الشيعة ٩٦، الأعلام ٢/٢٠٠.

(٣) انظر:مجموع الفتاوى ٣٥/١٦١، الحركات الباطنية، د.محمد الخطيب ٣٢٣، مكتبة الأقصى، عمان، دار عالم الكتب، الرياض، ط٣، ١٤٢٨ هـ.

(٤) إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر الهاشمي القرشي، اختلف الشيعة في إمامته بعد أبيه، فأقرَّ ذلك الإسماعيلية، وتميزوا عن الإثني عشرية، توفي في حياة والده سنه ١٤٣هـ. انظر: فرق الشيعة ٧٦، الأعلام للزركلي ١/٣١١، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م.

(٥) موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر، أبو الحسن، سابع الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، ولد في الأبواء " قرب المدينة" سكن المدينة، كان من سادات بني هاشم، ومن أعبد أهل زمانه، توفي سنة ١٨٣ ، انظر: فرق الشيعة ٨٥، الأعلام ٧/٣٢١.

(٦) انظر: فضائح الباطنية للغزالي ٢٤، لوامع الأنوار البهية للسفاريني ١/ ٣٨، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق، ط٢، ١٤٠٢هـ، الموسوعة الميسرة ١/ ٣٨٣.

(٧) انظر: فضائح الباطنية للغزالي٢٢، اعتنى به وراجعه: محمد علي قطب، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٢هـ، المنتظم لابن الجوزي ٥/١١١، دار صادر، بيروت،ط١، ١٣٥٨هـ، مجموع الفتاوى ٣٥/١٤٣، الموسوعة الميسرة ١/ ٣٧٨.

٥/الدروز: فرقة باطنية ، انشقت عن الإسماعيلية في بداية القرن الخامس الهجري، تؤله الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله[١]، وتنتسب إلى نشتكين الدرزي[٢]، عقائدها خليط من عدة أديان وأفكار، ورغم انفصالها عن الإسماعيلية واحتفاظها بكثير من المعتقدات والأصول الإسماعيلية إلا أنّ الدروز يؤكدون استقلالهم عن سائر الفرق [٣].

ج. الصوفية: ظهر التصوف في القرن الثالث الهجري، وكان يرتبط بالزهد والعبادة، ثم تطوَّر الأمر وانحرف إلى مسالك بعيدة عن الشرع، وقد كثرت الأقوال في تعريف الصوفية والتصوف حتى تجاوزت المائة، وغالب كلام الصوفية في الكشف[٤]، والذوق[٥]؛ لذا عبَّر كل واحد بما يذوقه وينازله من الوجد، فيصف الأمر بحسب مايجده؛ فاختلفت عباراتهم، قال الجنيد – رحمه الله –: " التصوف ذكر مع اجتماع، ووجد مع استماع، وعمل مع اتباع "[٦]، وغيرها من الأقوال[٧].

د. الفرق الحديثة، وهي:

١/البابية: هي فرقة باطنية ظهرت في إيران ونشأت في أحضان الاستعمار، محاولة هدم الإسلام وتشويه صورته، أسسها المرزا علي محمد الشيرازي[٨]عام ١٢٦٠هـ، وتدعو إلى الإباحية، ونسخ الشريعة الإسلامية [٩].

---

(١) هو الحاكم بأمر الله أبو علي المنصور بن العزيز بالله نزار بن المعز العبيدي، حاكم مصر، كان غليظ الطبع قاسي القلب، سفاكاً للدماء، قبيح السيرة،كثير التلون في أحكامه، وأفعاله، وأقواله، وإليه تنسب الفرقة الضالة الحاكمية، هلك سنة إحدى عشرة وأربعمائة. انظر: البداية النهاية لابن كثير ١١/٣٢٠، ١٢/١٠، تاريخ ابن خلدون ٤/ ٧١-٧٧، ضبط المتن والحواشي: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ١٤٢١هـ، ذيل تاريخ دمشق لابي يعلى ابن القلانسي ٨٠، جامعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨م.

(٢) محمد بن إسماعيل الدرزي، الملقب بنشتكين، أحد مؤسسي مذهب الدروز، فارسي الأصل، قدم مصر في أواخر ٤٠٧هـ، ودخل في خدمة الحاكم، وجاهر بتأليهه، وتسرع في ذلك مما أغضب حمزة المتعاون معه في تأسيس المذهب، ثم فرَّ إلى الشام، قُتل سنة ٤١١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١٥/١٣٥، الأعلام (٦/٣٥)، الموسوعة الميسرة ٣٩٧/١.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى ٣٥/١٦١،١٦٢، وعقيدة الدروز عرض ونقد، د.محمد الخطيب ١٢، دار عالم الكتب، الرياض، ط٣، ١٤٠٩هـ. الموسوعة الميسرة ١/ ٣٩٧.

(٤) الكشف في اللفظ: رفع الحجاب وفي الاصطلاح: هو الإطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية، والأمور الحقيقية وجوداً، وشهوداً. انظر: التعريفات للجرجاني ١٤٤، تحقيق : إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

(٥) الذوق في اللغة: إدراك الطعوم عن طريق اللسان، وفي الاصطلاح: هو عبارة عن نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه يفرقون به بين الحق والباطل من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب أو غيره. التعريفات للجرجاني ٢٣٧.

(٦) الرسالة القشيرية لأبي القاسم القشيري ٢/٤٤٢، تحقيق: د. عبدالحليم محمود، د. محمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة.

(٧) المصادر العامة للتلقي عند الصوفية لصادق سليم ٣٤، مكتبة الرشد ، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ، الموسوعة الميسرة ٣٩٧/١.

(٨) هو المرزا علي محمد رضا الشيرازي، ولد عام ١٢٣٥هـ، درس كتب الصوفية والرياضة الروحانية، ارتاد ببغداد مجلس الرشتي، ادعى النبوة، اختار ثمانية عشر رجلاً للدعوة إلى تعاليمه، ثم ادعى حلول الإلهية في شخصه، ألف كتاب البيان العربي، أُعدم سنة ١٢٦٦هـ بإيران. انظر: البابية للشيخ إحسان إلهي ظهير ٥٣، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان. الموسوعة الميسر ٤٠٩/١.

(٩) البابية للشيخ إحسان إلهي ظهير ٤٩، الحراب في صدر البهاء والباب لمحمد فاضل ٢٢١ دار المدني، جدة، ط٢، ١٤٠٧هـ، الموسوعة الميسرة ٤٠٩/١.

٢/البهائية: هي فرقة باطنية، ووريثة للبابية، وقد نشأت أيضاً تحت رعاية الاستعمار الأجنبي، بهدف إفساد عقيدة المسلمين، وإبطال الشريعة، وهي نسبة إلى أحد أتباع الباب وهو: المرزا حسين علي المازندراني الملقب بـ "البهاء"[١] [٢].

٣/القاديانية: هي فرقة باطنية، تأسست على يد المرزا غلام أحمد[٣]،ويطلق عليها " الحركة الأحمدية " نسبة إليه، نشأت سنة ١٩٠٠ م بتخطيط من الاستعمار الانجليزي في شبه القارة الهندية؛ بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم وعن فريضة الجهاد بشكل خاص، حتى لا يواجهوا المستعمر باسم الإسلام[٤].

٤/الأحباش: هي طائفة تنتسب إلى الإسلام ظاهراً وتهدم عراه باطناً، تُنسب إلى عبد الله الحبشي[٥]، ظهرت حديثاً في لبنان مستغلة ما خلّفته الحروب الأهلية اللبنانية من الجهل والفقر والدعوة إلى إحياء مناهج أهل الكلام والصوفية والباطنية؛ بهدف إفساد العقيدة، وتفكيك وحدة المسلمين، وصرفهم عن قضاياهم الأساسية [٦].

التأويل الباطني:

وهو القول بأن لكلِّ ظاهر باطناً، ولكل تنزيل تأويل[٧]، وهو منصوصٌ عليه في كتب الباطنية، فيقولون: "واعلم أن للكتب الإلهية تنزيلات ظاهرة وهي الألفاظ المقروءة المسموعة، ولها تأويلات خفيَّة باطنة وهي

---

(١) هو الميرزا حسين علي المازندراني ولد عام ١٨١٧م في قرية من قرى المازندران من إيران، أعلن في بغداد أنه المظهر الكامل الذي أشار إليه الباب، وأنه رسول الله الذي حلَّت فيه الروح الإلهية، توفي عام ١٨٩٢. انظر: البهائية للشيخ إحسان إلهي ظهير ٧، إدارة ترجمان السنة ،لاهور، باكستان، ط٢ ، ١٤٠١هـ، الموسوعة الميسرة ٤٠٩/١.

(٢) البهائية للشيخ إحسان إلهي ظهير ٥، الحراب في صدر البهاء والباب لمحمد فاضل ، الموسوعة الميسرة ٤٠٩/١.

(٣) هو المرزا غلام أحمد، ولد في قرية " قاديان " بالهند، عام ١٨٣٩م، عُرف عن أسرته الولاء للمستعمر الانجليزي، طالع كتب الاديان والفرق، عانى من عدة أمراض جسدية وعصبية، له مايزيد عن أربعة وثمانين كتاباً ورساله، توفي عام ١٩٠٧م. انظر: القاديانية نشأتها وتطورها د. حسن عبد الظاهر ٤٥، دار القلم ، الكويت، ط٢ ، ١٤٠٠هـ، القاديانية د.عامر النجار ٨، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط٥، ١٤٢٤هـ، الفرق والمذاهب الإسلامية لسعد رستم ٣٦٥، الاوائل للنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ٢٠٠٤م .

(٤) انظر: القاديانية نشأتها وتطورها ١٦٥، الموسوعة الميسرة ٤١٦/١.

(٥) هو عبد الله بن محمد الشيبي العبدري الحبشي، ولد بمدينة هرر بالحبشة، توغل في الصوفية، وبايع على الطريقة الرفاعية، كان سبباً في فتنة " كُلُب" ضد الجمعيات الإسلامية لتحفيظ القرآن بمدينة هرر، ثم انتقل إلى لبنان وبدأ بنشر دعوته ونجح في تخريج مجموعات كبيرة من المتعصبين لعقيدته، من مؤلفاته: الدليل القويم، نصرة التعقب الحثيث على من طعن فيما صح من الحديث. انظر: الموسوعة الميسرة ٤٠٩/١، فرقة الأحباش د. سعد بن علي الشهراني ٦٦/١، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٣هـ.

(٦) انظر: الموسوعة الميسرة ٤٢٧/١، فرقة الأحباش ٩٤/١.

(٧) الملل والنحل للشهرستاني ١٩١/١ ، تحقيق: محمد سيد الكيلاني، دار المعرفة ، بيروت، ١٤٠٤ هـ .

المعاني المفهومة المعقولة، وهكذا لواضعي الشريعة موضوعات عليها وضعوا الشريعة، ولها أحكام ظاهرة جلّية، وأسرار باطنة خفية"[1]. ويسمي الصوفية تفسيرهم الباطن للنصوص القرآنية (بالحقيقة) والتفسير الظاهري (بالشريعة) وقالوا الحقيقة للأولياء، والشريعة للعامة[2].

- **أهمية الموضوع وأسباب اختياره:**

١. تعظيم الله وتحريمه للكعبة، التي بُنيت على اسمه وحده لاشريك له، وصيَّرها أول بيت مبارك لعبادته إعظاماً وإجلالاً له سبحانه[3]، وأوجب على المسلمين تعظيمها وتطهيرها، وإظهار حرمتها، ومنع ما يضادها، وزجر من لايراعي حرمتها وأمنها، فهي من أعظم شعائر الله، ومن أحق مايُعظَّم، وقد جعل الله سبحانه وتعالى تعظيمها من تقوى القلوب، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ۝٣٢ ﴾[4].

٢. العلاقة الوثيقة للكعبة بأصول الإيمان – الذي هو من أجلِّ المطالب، وأهم المقاصد – كما دلَّ على ذلك كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وماجاء عن السلف الصالح – رحمهم الله – من آثار، ومسائل أصول الإيمان المتعلقة بها متعددة ومتفرقة، وجمعها وترتيبها وفق أبواب العقيدة ومباحثها – على نحو ماجاء في كتب السلف – يوضح هذه العلاقة.

٣. تضمُّن نصوص العهد القديم والعهد الجديد إشارات إلى الكعبة[5]، أسهم في تجليتها المهتدون من أهل الكتاب – المتقدمون منهم والمتأخرون – في مؤلفاتهم، وشهادتهم بأنها تصدُق عليها، ودفعهم اعتراض

---

(١) رسائل إخوان الصفا ٤/ ١٣٨، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٨م.

(٢) انظر: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة لعبدالرحمن عبد الخالق ٣٩٧، مكتبة ابن تيمية، الكويت، ط٢.

(٣) انظر :جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ٦/٢٢. تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١،١٤٢٠هـ.

(٤) سورة الحج الآية ٣٢.

(٥) منها قول أشعيا :" فإنهم سيجتمعون إليك ويحجونك ويأتيك ولدك من بعيد، وتترنى بناتك على الأرائك والسرر ويستروح قلبك من أجل أنه يميل إليك البحر، وتحج إليك عساكر الأمم حتى تعمرك الإبل المربلة وتضيق أرضك عن القُطُرات التي تجتمع إليك، ويساق إليك كباش مدين، وكباش أعفا، وتأتيك أهل سبأ ويحدثون بنعم الله ويمجدونه، وتسير إليك أغنام قيدار كلها وتخدمك رجالات نباوت، ويرفع إلى مذبحي مايرضيني، وأُحْدِث حينئذ لبيت محمدتي حمداً".

قال المهتدي علي بن ربن الطبري – ر حمه الله – :" فهذه أيضاً- يهديكم الله- نبوة قد ظهرت وآية قد برَّت وصدقت، وسارت الأمم إلى نور الدين، ومالت إلى هذه الامة ذخائر البحر، وحجت إلى مكة أرسال الأمم، وعمر أهلها الأبل والقطرات عما يردها من الرواحل والجمالات، وحجَّ إليها أهل اليمن وأهل سبأ، وأشهر من ذلك وألزم لأذان المخالفين، قيدار ونباوت، هما من أبناء إسماعيل عليه السلام، وقد احتوشوها وصاروا سادتها وخدامها، وجدد لبيت محمدته حمداً محمد ﷺ . فإن لم يكن ذلك فليسموا لنا غير النبي ﷺ وغير مكة ؟ " انظر: الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد ﷺ لعلي بن ربن الطبري ١٦١،حققه وقدم له: عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١ ، ١٣٩٣هـ، أشعياء ٦٠، الكتاب المقدس، دار المشرق، بيروت، ط٣،

المعترضين والصارفين لها عن المراد بها إلى غيرها، كما أكدَّ عليها علماء المسلمين الذين جادلوا أهل الكتاب- المتقدمين منهم والمتأخرين -.

وقد عَلِم أهل الكتاب أن توجه المسلمين إليها حقٌ بأمر الله فرضه الله على عباده، وأنه موجودٌ في كتبهم أن النبي المبشر به يصلي إلى قبلة أبيه إبراهيم عليه السلام [1]. قال ابن كثير [2]- رحمه الله - في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [3]:

" أي: واليهودُ - الذين أنكروا استقبالكم الكعبة وانصرافكم عن بيت المقدس - يعلمون أن الله تعالى سَيُوجهك إليها، بما في كتبهم عن أنبيائهم، من النعت والصفة لرسول الله ﷺ وأمّته، وما خصه الله تعالى به وشَرّفه من الشريعة الكاملة العظيمة، ولكن أهل الكتاب يتكاتمون ذلك بينهم حسدًا وكفرًا وعنادًا؛ ولهذا يهددهم تعالى بقوله: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ " [4].

فذِكرُ قصة هاجر مع ابنها إسماعيل عليه السلام في المكان القفر والمسمى "برية فاران "، وأوصاف البيت الذي يسوق إليه أبناء إسماعيل أكباش الهدي، وإذاعة التسابيح من رؤوس الجبال والتلبية من بعيد، وغيرها من الأوصاف - التي لاتصدق إلا على الكعبة -كانت محل اهتمامهم ورعايتهم، فأعطوها النصيب الأوفر من البيان والشرح.

٤. مضاهاة الفِرق والطوائف- المنتسبة للإسلام - الكعبة، فاتخذ الشيعة والصوفية القبور ومشاهد الأئمة والمشائخ والأولياء بِنًى ومزارات يجعلونها قبلة لهم، ويتبركون بزيارتها ويجتمعون عندها ينسكون لها المناسك، ويطوفون حولها ويستلمونها ويقبلونها، ويجاورون عندها، ويعلقون الستور عليها، ويرون سدانتها أفضل من خدمة بيت الله؛ يضاهون بيت المخلوق ببيت الخالق، قال ابن القيم - رحمه الله -:" وقد آل الأمر بهؤلاء الضُلاَّل المشركين إلى

١٩٩٤م.

ويقرر المهتدي إبراهيم خليل أحمد أن نصَّ أشعياء يتحدث عن إقبال الأمم لمكة ولبيت الله الحرام؛ يسوقون الهدي للذبح. انظر: محمد في التوراة والإنجيل والقرآن ٧٥، دار المنار، القاهرة، ١٤٠٩هـ. إلى غير ذلك من النصوص وشهادات العلماء الواردة في شرح الخطة أدناه ١٠٤.

(١) انظر: الموسوعة القرآنية الميسرة، أ. وهبة الزحيلي وآخرون ٢٣، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٢٣هـ.

(٢) هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن صنو بن درع القرشي البصروي ثم الدمشقي، أبو الفداء، عماد الدين: حافظ مؤرخ فقيه، اشتغل بالحديث مطالعة في متونه ورجاله فجمع التفسير، وجمع التاريخ، توفي سنة ٧٧٤، من مؤلفاته: تفسير القرآن الكريم، البداية والنهاية. انظر: الدرر الكامنة لابن حجر ١/ ٤٤٥، الاعلام للزركلي ١/ ٣٢٠.

(٣) وهذه الآية جاء فيها الأمر الإلهي بالتوجه إلى الكعبة، قال تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ سورة البقرة : ١٤٤.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٤٦١، تحقيق : سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ.

أن شرعوا للقبور حجاً، ووضعوا له مناسك حتى صنف بعض غلاتهم في ذلك كتابا وسماه (مناسك حج المشاهد) مضاهاة منه بالقبور للبيت الحرام، ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الإسلام، ودخول في دين عبادٌ الأصنام، فانظر إلى هذا التباين العظيم بين ما شرّعه رسول الله ﷺ وقصده- من النهي عما تقدم ذكره في القبور - وبين ما شرعه هؤلاء وقصدوه، ولا ريب أن في ذلك من المفاسد ما يعجز العبد عن حصره، فمنها: تعظيمها الموقع في الافتتان بها، ومنها: اتخاذها عيداً، ومنها: السفر إليها، ومنها: مشابهة عبادة الأصنام بما يُفعل عندها: من العكوف عليها، والمجاورة عندها، وتعليق الستور عليها، وسدانتها، وعُبّادها يرجّحون المجاورة عندها على المجاورة عند المسجد الحرام، ويرون سدانتها أفضل من خدمة المساجد"[1].

بل وصل حدّ المضاهاة بمشائخ الصوفية، ودعاة البابية والبهائية إلى تعظيم ذواتهم وجعلها كعبة[2] وقبلة لأتباعهم[3]، كما امتهن القرامطة الكعبة ونزعوا الحجر الأسود[4]، وفضّل عليها الشيعة والصوفية والقاديانية البقع المعظّمة عندهم ككربلاء[5]، وأم عبيدة[6]، وقاديان[7]، واعتقد الدروز الوعد بهدمها على يد الحاكم بأمر الله [8]، ويرى الشيعة

---

(١) إغاثة اللهفان لابن القيم ١/١٩٧، تحقيق: محمد سيد كيلاني، مكتبة دار التراث.

(٢) قال ابراهيم الدسوقي يحثُّ أتباعه على الحج له:

حجوا إلي فذاتي كعبة نُصبت … والسر فيها كَسِرِّ البيت والحرم

انظر: الجوهرة المضيئة لإبراهيم الدسوقي ٣٨٠، تحقيق: إبراهيم الرفاعي، مكتبة الرفاعي، القاهرة، ط١، ١٤١٩هـ.

(٣) قال :الباب الشيراي (المظهر): " قل إنما القبلة من نظهره متى ينقلب تنقلب إلى أن يستقر ثم من قبل مثل من بعد تعلمون". انظر: الباب السابع من الواحد الثامن من البيان العربي، نقلاً عن البابية لإحسان إلهي ظهير ٢٢٧.

وقال البهاء المازندراني : " وإذا أردتم الصلاة ولو وجوهكم شطري الأقدس المقام المقدس الذي جعله الله مطاف الملأ الأعلى ومقبل أهل مدائن البقاء، ومصدر الأمن لمن في الارضين والسماوات". انظر: الأقدس : ١٤، نقلاً عن البهائية لإحسان إلهي ظهير ١٥٠.

(٤) انظر: المنتظم لابن الجوزي : ٦/٢٢٢، ٢٢٣، والبداية والنهاية لابن كثير: ١١/١٦٠-١٦٢، وتاريخ ابن خلدون: ٣/٤٧٢.

(٥) قال جعفر الصادق:" إن أرض الكعبة قالت من مثلي، وقد بُني بيت الله على ظهري يأتيني الناس من كل فج عميق وجُعلت حرم الله وأمنه، فأوحى الله إليها أن كُفي وقري مافَضلُ مافُضّلت به فيما أعطيت كربلاء إلا بمنزلة الإبرة غرست في البحر فحملت من ماء البحر، ولولا تربة كربلاء مافضلتك، ولولا ماتضمنه أرض كربلاء ماخلقتك، ولاخلقت البيت الذي به افتخرت، فقري واستقري وكوني ذنباً متواضعاً ذليلاً مهيناً غير مستنكف ولا مستكبر لأرض كربلاء وإلا سخت بك وهويت بك في نار جهنم ". انظر:كامل الزيارات لابن قولويه ٤٥٠، تحقيق: جواد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٧هـ. بحار الأنوار للمجلسي ١٠١ /١٠٩، إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ.

(٦) تقع قرية أم عبيدة بين واسط والبصرة، وفيها دفن أحمد بن علي الرفاعي، مؤسس الطريقة الرفاعية، وقد جعلها قبلة للدعاء، فقال:" إذا كان لكم حاجة، ولم تقدروا إلى الوصول إلى أم عبيدة، فتوجهوا نحوها لله تعالى ثلاث خطوات واسألوا حاجتكم. انظر : قلادة الجواهر١٢٩، ١٦٥، ١٦٦، الأعلام للزركلي ١/ ١٧٤.

(٧) ادعى المرزا غلام أحمد أن قرية " قاديان" بالهند هي قبلة المسلمين، ويعتقد القاديانية أن الحج هو حضور المؤتمر السنوي في القاديان. انظر: "بركات الخلافة" لمحمود أحمد ٥،٧، نقلاً عن القاديانية لإحسان إلهي ظهير ص ٨٧، دار المجدد ،القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ.

(٨) انظر: مخطوطة في تقسيم جبل لبنان، نقلاً عن الحركات الباطنية للدكتور الخطيب ٢٤٨، ٢٤٩.

نزع الحجر الأسود مجدداً [١]، وزعم الصوفية أن الكعبة تطوف بمشائخهم[٢]، كما تأولت الفرق الباطنية الكعبة تأويلاتٍ باطلة، فهي رموز وإشارات لأهل الباطن، فعند النصيرية هي رمزٌ لاسم سلمان الفارسي[٣]، وعند الإسماعيلية رمزٌ لإمام الزمان من نبي وإمام[٤]، وعند الدروز رمزٌ لتوحيد الحاكم[٥]، والغرض من هذه التأويلات إبطال شرع الله المنزَّل[٦].

٥. موقف المستشرقين ومن تأثر بهم من الكتاب المعاصرين من الكعبة، وما أثاروه من مفتريات ومغالطات وأخطاء تتضمن نفي الحقائق، وسَوق الأكاذيب، كنفي قصة إسكان نبي الله ابراهيم زوجه هاجر وابنه إسماعيل- عليهم السلام - عند البيت[٧]، وجعل خبر بناء إبراهيم وإسماعيل - عليهم السلام - الكعبة من أساطير العرب[٨]، وأن تعظيم الكعبة من اختراع العرب، ويرجعُ إلى طقس وثني[٩]، وأن صلاة الرسول ﷺ إلى بيت المقدس سيرٌ على هدى الطقوس اليهودية والمسيحية[١٠]، وتحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة ناتجٌ عن معاداة اليهود له ﷺ، وماحصل منهم من القطيعة[١١]، بالإضافة إلى مفترياتهم بشأن

---

(١) وذلك أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال عن مسجد الكوفة - بزعمهم - :" ولا تذهب الأيام والليالي حتى ينصب الحجر الأسود فيه". انظر: الوافي للفيض الكاشاني، ١٤٤٧/٨، منشورات مكتبة الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام العامة، أصفهان، ط١، ١٤١١هـ.

(٢) ذكر النبهاني نقلاً عن إبراهيم الخواص أنه قال: " إن الكعبة طافت بالشيخ إبراهيم المتبولي حجراً حجراً ، ثم رجع كل حجر إلى مكانه. قال اليافعي رحمه الله تعالى : وقد سمعنا سماعاً محققاً أن جماعة من القوم شوهدت الكعبة وهي تطوف بهم طوافاً محققاً ". انظر: جامع كرامات الأولياء للنبهاني ٢٤٥/١، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، تحقيق ومراجعة: إبراهيم عطوة، ط٢، ١٣٩٤هـ.

(٣) النصيرية دراسة تحليلية لتقي شرف الدين ١٤٣، بيروت، (د.ن) ، ١٩٨٣م.

(٤) انظر: فضائح الباطنية للغزالي ٦٠، تأويل الدعائم لابن حيون الاسماعيلي ٣/ ١٤٣، نقلاً عن أصول الاسماعيلية، د. سليمان السلومي ٤٨٤، دار الفضيلة، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ.

(٥)انظر: الكتاب المعروف بالنقض الخفي، نقلاً عن عقيدة الدروز ١٢، الحركات الباطنية للدكتور الخطيب ٢٨٠، ٢٨١.

(٦) انظر: فضائح الباطنية للغزالي ٥٩. وغير ذلك مما هو مبسوطٌ في شرح الخطة أدناه ١٢٥.

(٧) انظر: في الشعر الجاهلي لطه حسين ٣٨، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس.

(٨) انظر: تاريخ القرآن للمستشرق الألماني تيودور نولدكه ١٧١/٣، ترجمة وقراءة نقدية، د. رضا محمد الدقيقي، دار النوادر، قطر، ط٢، ١٤٣٢هـ، الرسول حياة محمد للمستشرق الإنجليزي بودلي ١٨، ترجمة: محمد محمد فرج، عبدالحميد جودة السحار، مكتبة مصر، الفجالة.

(٩) انظر: محمد في المدينة للمستشرق الإنجليزي مونتجومري وات ٤٧٤، تعريب: شعبان بركات، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

(١٠) المصدر نفسه ٣٠٢، ٣٠٣.

(١١) تاريخ الدولة العربية للمستشرق الألماني يوليوس فلهاوزن ١٧، ١٨، ترجمة وتعليق:د.محمد أبوريدة، مراجعة الترجمة:د. حسين مونس، لجنة الترجمة والتأليف والنشر، القاهرة، ط٢، ١٩٦٨م. انظر: الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر للمستشرق مونتجمري وات ١٩٠، ١٩١.

الأسود وقصة إهلاك الله لأصحاب الفيل، وربط العبادات المختصة بالكعبة بالوثنية واستمدادها من الملل الأخرى[1].

٦. إطلاق أعداء الإسلام المعاصرين من أهل المشرق والمغرب الدعوات والتهديدات لامتهان الكعبة وهدمها؛ لِما يرون تعظيم شأنها عند الله ورسوله ﷺ والمسلمين، واستقبالهم إياها في صلواتهم، في محاولة للنيل من حرمتها وأمنها.

٧. أن هذا الموضوع لم يسبق بحثه – فيما أعلم – في بحث مستقل، ففي إفراده بالبحث جمعٌ لشتاته، وإظهارٌ لأهميته، وبيانٌ لأثره في اعتقاد المسلم، إذا ماقُرن بالعلاقة الوثيقة والارتباط القوي بين المسلمين والكعبة ومالها من التعظيم ورفعة القدر لديهم، ومايجب عليهم من دفع تطاول المعتدين عليها، قال ابن القيم– رحمه الله –:" وقد ظهر سر هذا التفضيل والإختصاص فى انجذاب الأفئدة وهوى القلوب وانعطافها ومحبتها لهذا البلد الأمين فجذبه للقلوب أعظم من جذب المغناطيس للحديد...ولهذا أخبر سبحانه[2] أنه مثابة للناس أي: يثوبون إليه على تعاقب الأعوام من جميع الأقطار ولا يقضون منه وطراً، بل كلما ازدادوا له زيارة ازدادوا له اشتياقاً... وهذا كله سر إضافته إليه سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ وَطَهِّـرْ بَيْتِيَ ﴾[3]، فاقتضت هذه الإضافة الخاصة من هذا الإجلال والتعظيم والمحبة ما اقتضته"[4].

- **الدراسات السابقة:**

يعتبر موضوع الكعبة المشرفة من الموضوعات المهمة، التي عُني بها دراسةً وتأليفاً، ولكن غلب على هذه الدراسات والمؤلفات تناولها – على نحوٍ منفرد – من الجوانب التالية: (الفقهية والتاريخية)، بالإضافة إلى مؤلفات تخصُّ عمارتها و كسوتها ودراساتٍ علمية وجغرافية – لم أذكرها خشية الإطالة، ولاقتصاري على الدراسات الدينية والتاريخية منها –.

أما ذكرُها ضمناً في المؤلفات، أو ذِكر بعض أحجارها منفرداً (كمقام إبراهيم عليه السلام)، فقد جاء في جوانب: (التاريخ، الترغيب والفضائل، الرحلات، العقيدة)، وبيان ذلك على النحو التالي:

---

(١) انظر: العقيدة والشريعة في الإسلام للمستشرق المجري أجناس جولدتسهير ٢٤، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمد يوسف موسى وآخرون، دار الكتب الحديثة، مصر، مكتبة المثنى ، بغداد، ط٢، دائرة المعارف الإسلامية ١١/ ٢٤٣، ٢٤٤، سبع، فنسنك، إعداد وتحرير: ابراهيم خورشيد، أحمد الشنتناوي، د. عبالحميد يونس، الشعب، القاهرة، ط٢، ١٩٦٩م. وغير ذلك مما هو مبيَّنٌ في شرح الخطة أدناه ١٤٨.

(٢) في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ ، سورة البقرة :١٢٥.

(٣) سورة الحج : ٢٦.

(٤) زاد المعاد ٤٧/١، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، بيروت، الكويت، ط١٤، ١٤٠٧هـ.

أولاً: الجانب الفقهي، وما يتعلق بها من أحكام شرعية؛ لارتباطها بركنين من أركان الاسلام وهما الصلاة والحج.

وبعد البحث في فهارس الرسائل العلمية [1]، وقفت على **رسالتين علميتين هما**:

١. « الأحكام المتعلقة بالكعبة ومقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام »؛ وهي رسالة ماجستير بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بكلية الشريعة بقسم الفقه، إعداد: وليد بن حسن راجح، تقع الرسالة في (٥٧٢) صفحة، وهي دراسة فقهية لأحكام العبادات المتعلقة بالكعبة.

٢. « الكعبة البيت الحرام والأحكام المتعلقة بها »؛ وهي رسالة ماجستير بجامعة الإيمان بكلية الشريعة بقسم الفقه بالجمهورية اليمنية، للباحث: محمد بن عبد الله ثابت شبالة، تقع الرسالة في (٢٥٦) صفحة، وهي دراسة فقهية لأحكام العبادات المتعلقة بالكعبة كالصلاة والطواف، والجانب العقدي الذي تناوله الباحث هو أشراط الساعة المتعلقة بها.

أما المؤلفات في هذا الجانب فهي:

٣. « الكعبة المشرفة آدابها وأحكامها، للدكتور محمد المسعودي، وهو كتاب فقهي، يقع في (٨٩) صفحة.

٤. « حكم الصلاة داخل الكعبة المشرفة »؛ للدكتور عبدالله بن عبدالعزيز الجبرين، وهو كتاب فقهي، يقع في (٨٠) صفحة.

٥. « الحج إلى الكعبة في التوراة والزبور والإنجيل والقرآن »؛ للدكتور: أحمد حجازى السقا، و أورد المؤلف في هذا الكتاب نصوصاً عن مناسك الحج في التوراة والزبور والإنجيل، ثم قارنها مع آيات القرآن الكريم، يقع الكتاب في (٣٠٧) صفحة.

٦. « فضل الحجر الأسود ومقام إبراهيم وذكر تاريخهما وأحكامهما الفقهية ومايتعلق بهما »؛ للأستاذ: سائد بكداش، ويقع هذا الكتاب في (١٨٠) صفحة.

ثانياً: الجانب التاريخي، وماجرى على الكعبة من أحداث على توالي الأزمنة والدول، وهي على النحو التالي:

٧. « تاريخ الكعبة المعظمة عمارتها وكسوتها وسدانتها »؛ لحسين عبدالله باسلامة، ويقع هذا الكتاب في (٣٦٢) صفحة.

٨. « الكعبة المشرفة »؛ لأمينة الصاوي، ويقع هذا الكتاب في (٣٢٥) صفحة، وجمعت فيه المؤلفة بين الرواية التاريخية والأدبية.

---

(١) وذلك في كل من: مكتبة الملك فهد الوطنية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، مكتبة جامعة الامام محمد بن سعود، مكتبة الملك عبدالله بجامعة أم القرى.

٩. « تاريخ الكعبة »؛ للدكتور علي حسني الخربوطلي، ويقع هذا الكتاب في (١٩٦) صفحة.

١٠.« التاريخ المفصل للكعبة المشرفة قبل الاسلام »؛ لعبدالقدوس الأنصاري، ويقع هذا الكتاب في (١٢٥) صفحة.

١١.« تاريخ الكعبة المشرفة »؛ للأستاذ الدكتور: عبدالله بن محمد الطريقي، ويقع هذا الكتاب في (٣٦٩) صفحة.

١٢.« مقام إبراهيم، ونبذة عن ترجمة إبراهيم الخليل وتاريخ الكعبة المشرفة والمسجد الحرام وفضل مكة المكرمة »؛ لمحمد طاهر الكردي (١٣٢١- ١٤٠٠هـ)، ويقع هذا الكتاب في (١٦٣) صفحة.

وقد جاء ذكر تاريخ الكعبة في الكتب التي تناولت تاريخ مكة المكرمة، وهي:

١٣.« الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة»؛ للحافظ أبي الطيب تقي الدين محمد الفاسي (٧٥٥-٨٣٢هـ)، ويقع في (٤٠٤) صفحة.

١٤.«إتحاف الورى بأخبار أم القرى »؛ للإمام: النجم عمر بن فهد القرشي (٨١٢ - ٨٨٥هـ).

١٥.« التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم »؛ لمحمد طاهر الكردي (١٣٢١- ١٤٠٠هـ)، وطُبع هذا الكتاب في ستة مجلدات، ويقع في (٣٣٥٤) صفحة.

١٦.« منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم»؛ لعلي بن تاج الدين بن تقي الدين السنجاري (١٠٥٧ – ١١٢٥هـ)، ويقع في (٣٤٠٦) صفحة.

ثالثاً: **جانب الترغيب والفضائل**، حيث جاء ذكر الكعبة ضمن هذه المؤلفات، أو أُلف في أحجارها.

١٧.« الأحاديث الواردة في فضائل مكة: جمعاً ودراسة »؛ وهي رسالة ماجستير بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بكلية الشريعة بقسم الفقه، إعداد: محمد بن عبد الله الغبّان، تقع الرسالة في (١٠٥٦) صفحة، وهي دراسة حديثية لتمييز الصحيح من السقيم فيما جاء من لأحاديث الواردة في فضائل مكة، وتضمنت دراسة صحة الأحاديث الواردة في الكعبة.

١٨.« مقام إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام »؛ للمحدث العلامة: عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني (١٣١٣- ١٣٨٦هـ) ويقع في (١٣٣) صفحة.

١٩.« أخبار مكة وماجاء فيها من الآثار »؛ للإمام أبي الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد الأزرقي (ت ٢٥٠هـ)، طُبع في مجلدين، ويقع في (١١٩٥) صفحة.

٢٠.« مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن »؛ للإمام: عبدالرحمن بن الجوزي (٥١٠- ٥٩٧هـ).

٢١.« شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام »؛ للحافظ أبي الطيب تقي الدين الفاسي (٧٥٥-٨٣٢هـ)، طُبع في مجلدين، ويقع في (٥٧٠) صفحة.

٢٢.« الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف»؛ لمحمد بن محمد بن أبي بكر بن ظهيرة (٨٣٨-٨٨٩هـ)، ويقع في (٣٤٦) صفحة.

رابعاً: جانب الرحلات، وهي الكتب التي تعرَّض مؤلفوها للكعبة بالذكر والوصف في رحلتهم للحج:

٢٣.« رحلة الصدِّيق إلى البيت العتيق »؛ للسيد صدِّيق حسن خان، ويقع في (١٩٩) صفحة.

٢٤.« رحلة الحج إلى بيت الله الحرام »؛ للشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي (١٣٢٥ . ١٣٩٣هـ)، ويقع في (٣٣٢) صفحة.

٢٥.« الرحلة الحجازية »؛ ، لمحمد لبيب البتنوني، وتقع في (٣٣٤) صفحة.

٢٦.« بجوار الكعبة المشرفة»؛ لمحيي الدين رضا، ويقع في (١٢٣) صفحة.

خامساً: الجانب العقدي، وظهر فيه تناول عددٍ من المسائل العقدية المتعلقة بالكعبة، مندرجة تحت موضوعات مختلفة ومتنوعة، ولم تتعرض لدراسة موضوع الكعبة بين أهل السنة ومخالفيهم، وهي على النحو التالي:

من الرسائل العلمية:

٢٧.« التبرك أنواعه وأحكامه »؛ وهي رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بكلية أصول الدين، إعداد: ناصر بن عبد الرحمن الجديع، تقع الرسالة في (٥٩٩) صفحة، وهي دراسة لأنواع التبرك وأحكامه، ولما للكعبة من الفضل والبركه فقد بيَّن ابالحث مسألة بركة البيت الحرام، والتبرك الممنوع، وستتناول هذه الدراسة هذه المسألة، ومسائل أخرى متعلقة بالكعبة لم يتناولها الباحث بالدراسة؛ كما لا يخفى الاختلاف بين موضوعي الرسالتين.

٢٨. «التبرك المشروع والممنوع في العقيدة»؛ وهي رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية، إعداد: ناصر بن حمدان العوفي، وهي تتناول أيضاً مسألة التبرك، والتي ستتناولها هذه الدراسة ومسائل عقدية أخرى متعلقة بالكعبة لم يتعرض لها الباحث بالدراسة.

ومن الكتب والأبحاث المحكَّمة:

٢٩.« تعظيم الحرم دراسة تعتمد على نصوص من التوراة والإنجيل والقرآن »؛ للدكتور: محمد بن عبدالله السحيم، وهو كتاب يقع في (١٠٤) صفحة[١]، تناول فيه الإجابة على شُبهة لماذا يُمنع غير المسلمين من دخول الحرم، بيَّن فيه المؤلف المسائل المتعلقة بالحرم من بناء البيت، والتطهير والتعظيم للمسجد الحرام، وأحكام الحرم، ونجاسة المشرك كماوردت في القرآن الكريم والعهد القديم والعهد الجديد، ومنع غير المسلمين من دخول الحرم، فيما ستتناول هذه الدراسة الكعبة على وجه التخصيص[٢].

٣٠.« المخالفات العقدية المتعلقة بالحج[٣] »؛ إعداد الدكتور: أحمد بن عثمان المزيد، وهو كتاب يقع في (٩٦) صفحة، تناول في الفصل الثاني منه: المخالفات العقدية داخل الحرم، وذكر المخالفات العقدية التي يقع فيها حجاج بيت الله الحرام، وقد استفدت من هذا البحث فيما يتعلق بالتبرك غير المشروع بالكعبة، وسأتناول دراسة هذه المسألة، بالإضافة إلى مسائل أخرى تتعلق بالكعبة بين أهل السنة ومخالفيهم.

٣١.« تعظيم الأماكن في مكة المكرمة بين المشروع والممنوع »؛ للدكتور: سعد بن علي بن محمد الشهراني، وهو بحث علمي محكَّم يقع في (١٠٣) صفحة[٤]، تناول فيه تعظيم الكعبة، وأورد النصوص الشرعية المبينة لفضلها، وأن لايُعبد الله عندها إلا بما شرع. وردَّ على من يطالب بدخول غير المسلمين إلى مكة. وهذا البحث يُعني بمكة المكرمة على وجه العموم، بينما تُعني هذه الدراسة بالكعبة على وجه الخصوص.

٣٢.« قدسية مكة المكرمة وفضلها: دراسة في دلالات المعنى والمكان كما ورد في المزمور الرابع والثمانين من أسفار اليهود والنصارى »؛ إعداد: عصام مدير، د.ليلى زعزوع، وهو بحث علمي محكَّم يقع في (٤٨) صفحة[٥]، وستتناول هذه الدراسة نص المزمور الرابع والثمانين، بالإضافة إلى نصوصٍ أخرى التي لم تتناولها تلك دراسة.

٣٣.« مكة البلد الأمين: مقومات الأمن المكاني ووسائل حمايته في ضوء نصوص الشرع ومقاصده »؛ للدكتور: عبد الهادي الخمليشي، وهو بحث علمي محكَّم يقع في (٤٨) صفحة[٦]، وتناول فيه الباحث مقومات هذا

---

(١) وأصله بحث علمي محكَّم من قبل جامعة أم القرى، نُشر أول مرة ضمن أبحاث الندوة العلمية الكبرى بمناسبة اختيار مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية لعام ١٤٢٦هـ، والتي رعتها وأشرفت عليها الجامعة .

(٢) الكعبة المشرفة تحيط بها دوائر ثلاث: الأولى:دائرة المسجد، الثانية: دائرة الحرم، الثالثة: دائرة المواقيت.انظر: الحرم المكي الشريف والأعلام المحيطة به "دراسة تاريخية ميدانية" للدكتور عبدالملك بن دهيش ٥٥.

(٣) وأصله بحث علمي محكَّم من قبل جامعة الملك سعود " مركز بحوث كلية التربية "، نُشر عام ١٤٢٧هـ .

(٤) حكَّمته جامعة أم القرى، ونُشر ضمن أبحاث الندوة العلمية الكبرى بمناسبة اختيار مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية لعام ١٤٢٦هـ، والتي رعتها وأشرفت عليها الجامعة.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه.

الأمن ووسائل حمايته بمكة، وأن وجود الكعبة أحد هذه المقومات، وستتناول هذه الدراسة الأمن الكوني والشرعي للكعبة على وجه التخصيص في مسائل القضاء والقدر المتعلقة بالكعبة.

٣٤.« خصائص البيت الحرام »؛ للدكتور: أحمد بن عبد الله الباتلي، وهو كتاب يقع في (١١٥) صفحة، تناول فيه الخصائص التي اختصَّ الله بها البيت الحرام والحرم عموماً، وسأتعرض لذكر هذه الخصائص في تمهيد البحث، وأضيف لها ما لم يورده المؤلف وذكرها العلماء كما في: النهي عن التفل تجاه القبلة، وفضل الجلوس تجاه القبلة، وغير ذلك مما ستتناوله هذه الدراسة من علاقة الكعبة بأصول الإيمان في عقيدة المسلم.

٣٥.« من أشراط الساعة الكبرى خراب الكعبة »؛ تصنيف محمد بن ابراهيم الشيباني، يقع الكتاب في (٥٦) صفحة، قدم المؤلف فيه عرضاً تاريخياً مختصراً لما جرى على الكعبة من البناء والعمارة والتجديد، ثم مايتعلق بها من اشراط الساعة، في حين سيشمل هذا البحث مسائل عقدية أخرى لم يتناولها الباحث بالدراسة.

٣٦.« بروتوكولات آيات قم حول الحرمين المقدسين »؛ للدكتور عبدالله الغفاري، يقع الكتاب في (١٥٥) صفحة، عرض فيه المؤلف لاعتقادات الشيعة في الحرمين الشريفين، وتضمن امتهانهم للكعبة وتعظيم المقابر والمشاهد عليها، واختص هذا البحث بالإمامية الإثنا عشرية، بينما ستتناول هذه الدراسة سائر فرق الشيعة كالنصيرية والإسماعيلية بالإضافة إلى الفرق الأخرى كالبابية والبهائية والقاديانية والأحباش.

٣٧.« التبرك المشروع والتبرك الممنوع»؛ للدكتور علي العلياني، ويقع الكتاب في (١٠٠) صفحة، تتناول فيه مسألة التبرك، والتي ستتناولها هذه الدراسة، بالإضافة إلى مسائل عقدية أخرى متعلقة بالكعبة لم يتعرض لها المؤلف.

وبعد هذ العرض للدراسات السابقة؛ فإن موضوع " الكعبة بين أهل السنة ومخالفيهم" لم يُفرد برسالة علمية مستقلة تُعتني بدراسته دراسة عقدية.

- **أهداف البحث:**

١. إبراز مكانة الكعبة وتعظيم الله ورسوله ﷺ لشأنها وشأن القبلة من خلال الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة والآثار الواردة عن السلف الصالح – رحمهم الله –.
٢. توضيح علاقة الكعبة الوثيقة بأصول الإيمان كما دلَّ على ذلك كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، والآثار الواردة عن السلف الصالح– رحمهم الله –.
٣. دراسة نصوص العهد القديم والعهد الجديد التي تشير إلى الكعبة وشهادة المهتدين من أهل الكتاب – المتقدمين منهم والمتأخرين – بذلك في مؤلفاتهم، وذكرها علماء المسلمين – المتقدمين منهم والمتأخرين – الذين جادلوا أهل الكتاب في مصنفاتهم.

٤. عرض معتقد الفِرق والطوائف - المنتسبة للإسلام - في الكعبة،من حيث امتهانهم لها، ومضاهاتها بالقبور والمشاهد الأشخاص، والقول فيها بالتأويل الباطني، والردُّ عليهم، والتحذير من معتقداتهم.

٥. بيان بطلان مفتريات المستشرقين، ومن تأثر بهم وتابعهم من الكتاب المعاصرين ودحضها، وتصحيح أخطاءهم في شأن الكعبة، والرد عليها.

٦. الرد على الدعوات الحديثة لامتهان الكعبة والمطالبة بهدمها والاعتداء عليها، في محاولة للنيل من حرمتها وأمنها.

- **أسئلة البحث:**

١. ما مكانة الكعبة والقبلة في الآيات القرآنية، والأحاديث الشريفة، والآثار الواردة عن السلف الصالح- رحمهم الله -؟

٢. ما علاقة الكعبة بأصول الإيمان كما جاء في أدلة الكتاب، والسنة، والآثار الواردة عن السلف الصالح- رحمهم الله -؟

٣. ما نصوص العهد القديم والعهد الجديد التي تشير إلى الكعبة وشهد بذلك المهتدون من أهل الكتاب في مؤلفاتهم، وذكرها علماء المسلمين الذين جادلوا أهل الكتاب في مصنفاتهم ؟

٤. ما معتقد الفِرق والطوائف - المنتسبة للإسلام - في الكعبة، من حيث مضاهاتها بالقبور والمشاهد الأشخاص، وامتهانهم لها، وأقوالهم فيها بالتأويل الباطني، وكيف نرد عليهم ؟

٥. ما مفتريات وأخطاء المستشرقين، ومن تأثر بهم من الكتاب المعاصرين في شأن الكعبة، وكيف نرد عليهم ؟

٦. ما الدعوات الحديثة لامتهان الكعبة والتي تطالب بهدمها والاعتداء عليها، وكيف نرد عليهم؟

- **منهج البحث:**

يجمع هذا البحث بين منهجين:

المنهج الأول: **هو المنهج " الاستقرائي " الاستنباطي**: القائم على جمع و تتبع المادة العلمية المتعلقة بالكعبة لدى كلٍّ من :

أولاً: **أهل السنة:**

وهي الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والآثار الواردة عن السلف الصالح – رحمهم الله –، وذلك بمطالعة كتب التفسير والحديث وشروحه، والكتب المصنفة في الاعتقاد، والسيرة النبوية، ثم استنباط مسائل العقيدة منها، تمهيداً لدراستها.

ثانياً: **مخالفي أهل السنة:**

وهي تشمل:

أ. الإشارات إلى الكعبة في نصوص العهد القديم والعهد الجديد بشهادة المهتدين من أهل الكتاب، وعلماء المسلمين – المتأخرين منهم والمتقدمين– الذين ألفوا في جدال أهل الكتّاب.

ب. معتقدات وآراء الفرق والطوائف – المنتسبة إلى الإسلام – المضاهية للكعبة أوالممتهنة لها، أو القائلة فيها بالتأويل الباطني.

جـ. افتراءات وأخطاء المستشرقين ومن تأثر بهم من الكتاب المعاصرين، في شأن بناء الكعبة، وتعظيم الله ورسوله ﷺ لها، ونزول الحجر الأسود من الجنة واستلامه وتقبيله، وتحويل القبلة، والعبادات المختصة بالكعبة، وغير ذلك.

د. الدعوات الحديثة لأهل المشرق والمغرب، التي تحاول امتهان الكعبة واستهداف حرمتها وأمنها.

المنهج الثاني: المنهج النقدي: وهو يأتي بعد بسط وعرض معتقدات وآراء وافتراءات وأكاذيب المخالفين، ويقوم على نقدها، ومناقشتها، وتقويمها، والرد عليها في نهاية كل مبحث أو مطلب بحسب مايقتضيه الحال، وذلك على ضوء ماجاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وبما نُقل عن السلف الصالح، وما وافق الحق، مع تحري آداب الحوار والدعوة إلى الله، من العدل والإنصاف، وبيان الحق والصواب مصحوباً بالرغبة في هداية الضالين والمنحرفين.

- **إجراءات البحث :**

١. الرجوع إلى المصادر الأصيلة عند أهل السنة وهي: كتاب الله وتفسيره، وكتب الحديث وشروحه، وكتب الاعتقاد، والسيرة النبوية وغيرها، لتتبع وجمع الأدلة واستنباط مسائل أصول الإيمان المتعلقة منها بالكعبة.

٢. إثبات نصوص العهد القديم والعهد الجديد من كتب المهتدين من أهل الكتاب، ووجه شهادتهم على صدقها في الكعبة، ومقابلة هذه النصوص بالطبعات الحديثة من " الكتاب المقدس " لديهم، وفي حال ذكَرَهَا من سواهم من علماء المسلمين فإني أورد النص المذكور – كما جاء في كتابه –، ووجه الاستشهاد به، وأقابله بالطبعات الحديثة أيضاً، فلا أذكر من النصوص إلا ما جاء في كتبهم مايقابله(١).

٣. الرجوع للكتب المعتمدة عند أهل الكتاب– من المعاجم والقواميس والموسوعات والتفاسير – في دراسة أسفارهم، وكشف محاولات المعارضين والمعاندين منهم استخدام النصوص لتفسيرات بديلة.

٤. الرجوع لكتب المخالفين (الفِرق والطوائف المنتسبة للإسلام) و(المستشرقين ومن تأثر بهم من الكتاب المعاصرين) ونقل ما يختصُّ بالكعبة والقبلة سواء اختص بذاتها أو مافيه مضاهاة وامتهان لها، أو النقل بواسطة في حال تعذر ذلك –كما في كتب القاديانية المؤلفة بالأوردية، والتي ترجمها من يوثق بعلمه وأمانته كالشيخ إحسان

(١) وأثبتُّ هذه النصوص كما جاءت في كتب العلماء – رحمهم الله –؛ لِمَا طال العهدين القديم والجديد من التحريف والتغيير والتبديل منذ العصور المتأخرة إلى هذا العصر، كما هو الحال في اختلاف نصوص الطبعات الحديثة.

إلهي ظهير، وأبي الحسن الندوي رحمهما الله –، وذلك في سياق عرض اعتقاداتهم وآرائهم ومفترياتهم وأكاذيبهم ومناقشتها والرد عليها على ضوء ماجاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

٥. الرجوع للمصادر الحديثة كالصحف والمجلات والمواقع الالكترونية؛ لتوثيق مايخصُّ البحث مما لا يتوفر مطبوعاً في كتب، كالدعوات الحديثة لامتهان الكعبة، فهي منشورة في الصحف والمجلات وعلى مواقع الشبكة العنكبوتية.

٦. الرجوع لكتب الباحثين من المعاصرين، وما ذكروه حول هذا الموضوع في مؤلفاتهم.

٧. الالتزام بالمنهج العلمي – المتَّبع في إعداد الرسائل العلمية – في عزو الآيات، وتخريج الأحاديث، وتوثيق النصوص، والترجمة للأعلام، التعريف بمفردات البحث قبل الشروع في الحديث عنها، والتعريف بالفِرق والطوائف، وشرح غريب الألفاظ، وإعداد الفهارس العلمية.

- **خطة البحث :**

تم تقسيم البحث إلى: مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة ثم الفهارس، على النحو التالي:

التمهيد، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالكعبة وأسمائها وأركانها وأحجارها

المطلب الأول: تعريف الكعبة.

المطلب الثاني: أسماء الكعبة.

المطلب الثالث: أركان الكعبة.

المطلب الرابع: الحجر الأسود.

المطلب الخامس: الشاذروان.

المطلب السادس: الحِجر.

المطلب السابع: الملتَزم.

المطلب الثامن: مقام إبراهيم عليه السلام.

المبحث الثاني: فضل ومميزات الكعبة والقبلة.

المطلب الأول: تعظيم الله ورسوله ﷺ الكعبة.

المطلب الثاني: البيت المعمور في السماء بحيال الكعبة من فوقها.

المطلب الثالث: مضاعفة الحسنات والسيئات عند الكعبة.

المطلب الرابع: عظم الإلحاد في الكعبة.

المطلب الخامس: النهي عن استقبال القبلة واستدبارها عند قضاء الحاجة.

المطلب السادس: النهي عن التفل تجاه القبلة.

المطلب السابع: فضل الجلوس تجاه القبلة.

المبحث الثالث: التعريف بأهل السنة ومخالفيهم.

المطلب الأول: التعريف بأهل السنة والجماعة.

المطلب الأول: التعريف بمخالفي أهل السنة.

الفصل الأول: المسائل المتعلقة بالكعبة في باب الإيمان بالله تعالى عند أهل السنة:-

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مسائل توحيد الربوبية[1]، وفيه مطلبان:

المطلب الأول : دلالة الكعبة على خصائص الربوبية.

أولاً: دفع الضر(صيانة الله وحمايته لبيته من أصحاب الفيل)

ثانياً: جلب النفع (إنعام الله على قريش بالأمن والرزق لجوارهم بيته الحرام)

المطلب الثاني : الإقرار بتوحيد الربوبية لا يكفي في الدخول في الإسلام.

---

(١) انظر: بيان هذه المسائل في شرح الخطة أدناه ٥٧.

إن المشركين مقرون بأن الله هو خالقهم من العدم، ورازقهم، والمنعم عليهم بعظيم النعم؛ لجوارهم هذا البيت الحرام، فلزمهم أن يعبدوه سبحانه وتعالى، كما أمرهم: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ ﴾[1].

المبحث الثاني : مسائل توحيد الألوهية[2].

المطلب الأول : بناء الكعبة على الحنيفية السمحة ملة ابراهيم عليه السلام.

أولاً: امتثال إبراهيم الخليل عليه السلام لأمر الله تعالى بإسكان هاجر وإسماعيل عليه السلام عند موضع الكعبة.

ثانياً: امتثال إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل – عليهما السلام – لأمر الله تعالى ببناء الكعبة.

ثالثاً: تعظيم الكعبة عند العرب وغيرهم من الأمم الأخرى قبل الإسلام.

المطلب الثاني: العبادات المتعلقة بالكعبة وثوابها.

أولاً: أعمال القلوب.

أ. الإخلاص لله تعالى عند قصد البيت.

ب. تعظيم وتوقير الكعبة والقبلة.

ثانياً: أعمال الجوارح المختصة بالكعبة من وجه دون وجه.

أ. أركان الإسلام:

- الصلاة.

- الحج.

ب. الدعاء.

جـ . الاعتكاف.

د. الذبح.

---

(١) سورة قريش :٣.

(٢) انظر: بيان هذه المسائل في شرح الخطة أدناه ٦٠.

هـ. النذر(حكم الوفاء بنذر السفر إلى الكعبة).

ثالثاً: أعمال الجوارح المختصة بالكعبة.

أ. الطواف.

ب. استلام الحجر وتقبيله.

جـ . استلام الركن اليماني.

د. الصلاة خلف مقام ابراهيم – عليه الصلاة السلام –.

المطلب الثالث: نواقض توحيد الالوهية.

أولاً: مظاهر الشرك الأكبر في جوف الكعبة وحولها.

أ. عمرو بن لحي أول من نصب الأصنام، وأظهر الشرك عند الكعبة.

ب. الشرك بالله في التلبية أثناء الطواف بالبيت.

ثانياً: تطهير النبي ﷺ الكعبة من مظاهر الشرك الأكبر.

– تحطيم النبي ﷺ الأنصاب حولها، والأمر بإخراج ماكان في جوفها منها

– صلاة النبي ﷺ في جوفها والتكبير في نواحيها

– منع النبي ﷺ المشركين من حجها والطواف بها عراة

ثالثاً: اتخاذ مشركي العرب الأنداد المعظَّمة والبيوت المحجوجة مضاهاة للكعبة.

رابعاً: أمر النبي ﷺ بهدم الأنداد المعظمة والبيوت المحجوجة المضاهية للكعبة.

المطلب الرابع: الافعال المنافية لكمال توحيد الألوهية.

أولاً: التصوير.

أمر النبي ﷺ بمحو وإخراج الصور من جوف الكعبة.

ثانياً: التطير " الاستقسام بالأزلام ".

أمر النبي ﷺ بإخراج صورة ابراهيم واسماعيل –عليهما السلام– وفي أيديهما الازلام من جوف الكعبة، وإخباره ﷺ أنهما لم يستقسما بها قط.

ثالثاً: التبرك.

أ. برَكَة الكعبة.

– الصلاة والدعاء والذكر عندها و الطواف حولها.

– استلام الحجر الأسود وتقبيله.

– استلام الركن اليماني.

– صلاة ركعتي الطواف خلف مقام ابراهيم عليه السلام .

ب. التبرك الممنوع.

– استلام وتقبيل الركنين الشاميين، أو شيء من حيطان الكعبة.

– استلام أستار الكعبة حال وجودها، أو التبرك بها بعد نزعها.

– تقبيل واستلام الحجر الاسود، والركن اليماني لذاتهما لا اتباعاً.

– استلام وتقبيل مقام إبراهيم عليه السلام .

رابعاً: رفع القبور وتجصيصها، وإسراجها، وبناء الغرف فوقها، وبناء المساجد عليها، وعبادة الله عندها، لما في ذلك من مضاهاة بيت الخالق ببيت المخلوق(١).

– النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه.

– النهي عن بناء المساجد على القبور.

---

(١) بيت الخالق: هو الكعبة، وبيت المخلوق: هو القبر، فحمى النبي ﷺ جناب التوحيد بمنع هذه الأفعال المؤدية إلى الشرك الأكبر كما حصل في الجاهلية.

- النهي عن استقبال القبر في الصلاة، والصلاة عنده، والجلوس عليه.

- النهي عن اتخاذ قبره ﷺ عيداً.

- حكم استقبال القبلة عند السلام على النبي ﷺ .

- الرد على من جوّز تقبيل قبره ﷺ ومنبره وقبور الصالحين؛ لأجل التبرك بذلك؛ قياساً على تقبيل الحجر الأسود.

- حكم شدّ الرحال لزيارة القبور.

المطلب الخامس: الألفاظ المنافية لكمال التوحيد

أولاً: الحلف بغير الله.

- الحلف بالكعبة.

ثانياً: التوسل.

- التوسل إلى الله بذات الكعبة.

- التوسل إلى الله تعالى بحق الكعبة.

- الإقسام على الله تعالى بذات الكعبة.

- الإقسام على الله تعالى بحق الكعبة.

ثالثاً: التسمي بما لايجوز.

- التسمي بعبد الكعبة.

المطلب السادس: مخاطبة الكفار بفروع الشريعة في قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾[1].

(١) سورة آل عمران :٩٧.

المبحث الثالث: مسائل توحيد الأسماء والصفات.

المطلب الأول : أسماء الله تعالى الحسنى الواردة في الآيات المتعلقة بالكعبة [1].

أولاً: اسما الله والرب.

ثانياً: اسما التواب والرحيم لله تعالى.

ثالثاً: اسما السميع والعليم لله تعالى.

رابعاً: اسم شديد العقاب لله تعالى.

خامساً: اسما الرؤوف والرحيم لله تعالى.

سادساً: اسم الشاكر لله تعالى.

سابعاً : اسما العزيز والحكيم لله تعالى.

ثامناً: اسما العزيز وذو الانتقام.

تاسعاً: اسم الغني لله تعالى.

المطلب الثاني: صفات الله تعالى الواردة في الآيات المتعلقة بالكعبة.

أولاً: صفة العلم لله تعالى.

ثانياً: صفة العفو لله تعالى.

ثالثاً: المراد بيمين الله تعالى في قول ابن عباس – رضي الله عنهما – : " الحجر الأسود يمين الله في الأرض فمن صافحه وقبّله فكأنما صافح الله تعالى وقبّل يمينه".

رابعاً: الفرق بين اضافة البيت الى الله في قوله تعالى :﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ ﴾[2]، وإضافة صفاته تعالى إليه.

---

(١) انظر: بيان الآيات التي جاء فيها ذكر الكعبة وتضمنت أسماء الله وصفاته في شرح الخطة أدناه ٧٦.

(٢) سورة الحج : ٢٦.

خامساً: معنى وجه الله في قوله تعالى :﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾[1].

سادساً: إثبات كون الله قِبَل وجه المصلي ، قال رسُول الله ﷺ : " إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلايبصق قِبَل وجهه، ولاعن يمينه، فإن الله قِبَل وجهه، ولكن عن يساره أو تحت قدمه".

سابعاً : الرد على قول الرازي : " إن الله جعل العرش قبلة لدعائنا، كما جعل الكعبة قبلة لصلاتنا "، وبيان بطلان ذلك.

الفصل الثاني: المسائل المتعلقة بالكعبة في بقية أصول الإيمان عند أهل السنة:-

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: مسائل الإيمان بالملائكة[2].

المطلب الأول: إخبار جبريل عليه السلام هاجر بموضع البيت الحرام ومن يبنيه.

المطلب الثاني: نزول جبريل عليه السلام بالحجر الأسود من الجنة.

المطلب الثالث: صلاة جبريل عليه السلام بالنبي ﷺ عند الكعبة.

المبحث الثاني: مسائل الإيمان بالرسل[3].

المطلب الأول: نبيي الله ابراهيم الخليل واسماعيل – عليهما السلام –.

– نبي الله ابراهيم الخليل عليه السلام إمام الحنفاء المخلصين الموحدين.

– حج نبيي الله ابراهيم الخليل وإسماعيل – عليهما السلام – البيت الحرام وجعل الله أفعالهم أسوة للناس وعبادة.

المطلب الثاني : نبيي الله موسى و يونس بن متى عليهما السلام.

– حج نبيي الله موسى و يونس بن متى – عليهما السلام – البيت الحرام.

(١) سورة البقرة: ١١٥ .

(٢) انظر: بيان هذه المسائل في شرح الخطة أدناه ٨٢.

(٣) انظر: بيان هذه المسائل في شرح الخطة أدناه ٨٣.

المطلب الثالث: القبلة عند الأنبياء.

المطلب الرابع: النبي ﷺ.

أولاً: إرهاصات البعثة.

أ. مولده ﷺ عام الفيل.

ب. عصمته ﷺ من التعري عند تجديد بناء الكعبة.

جـ. عصمته ﷺ من مس الأصنام أثناء الطواف بالكعبة.

د. وصفه ﷺ بالأمين، وقبول تحكيمه في وضع الحجر الأسود.

ثانياً: دلائل النبوة.

- إخباره ﷺ بالمغيبات.

أ. رؤيا النبي ﷺ إتيانه البيت مع أصحابه - رضوان الله عليهم- والطواف به، قبل خروجه إلى الحديبية.

ب. إخباره ﷺ بارتحال الظعينة من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله تعالى.

جـ. إخباره ﷺ بأن المسلمين سينجّدون بيوتهم كما تنجَّد الكعبة.

د. إخباره ﷺ أنه لايستحل البيت إلا أهله.

هـ. سقوط الأوثان حول الكعبة بإشارته ﷺ إليها دون أن يمسها.

ثالثاً: معجزات النبي ﷺ ومحلها من البيت الحرام.

أ. معجزة شق الصدر الثانية.

ب. الإسراء إلى بيت المقدس.

رابعاً: طاعته ﷺ فيما أمر والاقتداء به.

أ. الرَمْل حول الكعبة اقتداء بالنبي ﷺ.

ب. استلام الحجر الأسود وتقبيله اقتداء بالنبي ﷺ.

جـ. استلام الركن اليماني اقتداء بالنبي ﷺ.

د. إمساك عمر بن الخطاب ﷺ عن قسمة كنز الكعبة اقتداءً بالنبي ﷺ.

هـ. كسوة الكعبة اقتداءً بالنبي ﷺ .

خامساً: حكم سب النبي ﷺ

حكم قتل من سب النبي ﷺ من غير المسلمين ثم عاذ بالبيت الحرام.

المطلب الرابع: تنوع شريعة الرسول الواحد

تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة.

المبحث الثالث: مسائل الإيمان باليوم الآخر[1].

المطلب الأول: أشراط الساعة.

أ. الخسف بالجيش الذي سيغزو الكعبة.

ب. رؤية النبي ﷺ المسيح بن مريم عليه السلام يطوف بالكعبة مناماً وكذا الدجال.

جـ. إخباره ﷺ بإهلال المسيح بن مريم عليه السلام بالحج أو العمرة، أو الجمع بينهما.

د.حج الناس البيت والاعتمار به بعد خروج يأجوج ومأجوج.

هـ. يُهجر حج البيت قبيل قيام الساعة

و. خراب الكعبة على يدي ذو السويقتين آخر الزمان

المطلب الثاني: الجنة

الحجر الأسود ومقام إبراهيم عليه السلام من الجنة.

---

(١) انظر: بيان هذه المسائل في شرح الخطة أدناه ٩٥.

المطلب الثاني: البعث

بعثُ الله الحجر الأسود يوم القيامة له عينان يبصرهما، ولسان ينطق به، يشهد لمن استلمه بحق

المبحث الرابع: مسائل الإيمان بالقدر[1].

المطلب الأول: أقسام أفعال الله

أ. الجعل الكوني والشرعي في قوله تعالى: ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ ﴾[2].

ب. الجعل الشرعي في قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾[3].

جـ. الأمن الكوني والشرعي في قوله تعالى :﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾[4].

المطلب الثاني: الحكمة والتعليل في أفعال الله.

أ. حكمة الله تعالى في جعل الكعبة قياماً للناس في قوله تعالى: ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ﴾[5].

ب. حكمة الله في تخصيص الكعبة بصفات يميزها بها على ماسواها.

جـ. حكمة الله تعالى في تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة في قوله تعالى:﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾[6].

---

(١) انظر: بيان هذه المسائل في شرح الخطة أدناه ٩٩.

(٢) سورة المائدة: ٩٧.

(٣) سورة البقرة: ١٤٣.

(٤) سورة البقرة: ١٢٥.

(٥) سورة المائدة: ٩٧.

(٦) سورة البقرة: ١٤٣.

المطلب الثالث: أفعال العباد

بيان نوع الاستطاعة في قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾[1].

المبحث الخامس: مسائل الأسماء والأحكام[2].

المطلب الأول: تسمية المسلمين أهل القبلة.

المطلب الثاني: تفاضل الإيمان في الأمر بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة.

المطلب الثالث: استحلال البيت الحرام كبيرة من الكبائر.

المبحث السادس: مسائل الصحابة ﷺ.

المطلب الأول: فضائل عمر ﷺ.

رأي عمر ﷺ بالصلاة خلف مقام ابراهيم ﷺ ونزول القرآن موافقة له

المطلب الثاني: إقرار النبي ﷺ سدانة الكعبة لبني شيبة هو: ولاية منه ﷺ.

المطلب الثالث: هدم عبدالله بن الزبير ﷺ الكعبة وإعادة بنائها على قواعد نبي الله ابراهيم الخليل ﷺ استناداً لقول الرسول ﷺ .

الفصل الثالث: الكعبة عند المخالفين والرد عليهم، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أهل الكتاب.

المطلب الأول: دراسة نصوص العهد القديم المتضمنة إشارات إلى الكعبة [3].

الأول: إشارات التكوين.

الإشارة الأولى.

---

(١) سورة آل عمران :٩٧.

(٢) انظر: بيان هذه االمسائل في شرح الخطة أدناه ١٠٠.

(٣) انظر: بيان نصوص الإشارات في شرح الخطة أدناه ١٠٤.

الاشارة الثانية.

الاشارة الثالثة.

الاشارة الرابعة.

الثاني: إشارة التثنية.

الثالث: إشارات المزامير.

الإشارة الأولى.

الإشارة الثانية.

الرابع: إشارات إشعياء.

الإشارة الأولى.

الاشارة الثانية.

الاشارة الثالثة.

الاشارة الرابعة.

الإشارة الخامسة.

الاشارة السادسة.

الإشارة السابعة.

الإشارة الثامنة.

الإشارة التاسعة.

الإشارة العاشرة.

الإشارة الحادية عشر.

الإشارة الثانية عشر.

الخامس: إشارة حزقيال.

السادس: إشارة ميخا.

السابع: إشارة حبقوق.

المطلب الثاني: دراسة نصوص العهد الجديد المتضمنة إشارات إلى البيت الحرام.

الأول :إشارة يوحنا.

الثاني:إشارة برنابا.

الثالث: إشارة سفر أعمال الرسل.

الإشارة الأولى.

الإشارة الثانية.

المبحث الثاني: الفرق والطوائف المنتسبة للإسلام[1].

المطلب الأول: الفلاسفة.

الأول: حيرة الفلاسفة في أمر الكعبة.

الثاني: الكعبة مثلٌ مضروب وإشارةٌ للفلك التاسع.

الثالث: الكعبة مثالٌ وإشارةٌ إلى البيت المعمور في السماء.

الرابع: العلم بجهة القبلة لايتوقف على شيء من علوم الفلاسفة.

الخامس: إن في الاستدلال بالكواكب على جهة الكعبة، والاستدلال بها على الجهات الأربع، استدلال بجزئي على جزئي.

(١) انظر: بيان هذه المسائل في شرح شرح الخطة أدناه ١٢٥.

السادس: اعتماد المذاهب الفلسفية الحديثة على خصائص شكل الكعبة المكعب في استجلاب طاقة الطمأنينة والروحانية في المنزل.

المطلب الثاني: الشيعة.

أولاً: الإمامية الإثنا عشرية.

– مضاهاة الكعبة بتعظيم قبر الحسين وغيره من قبور الأئمة، وصورها:

أ. تعظيم قبر الحسين وتفضيل زيارته على حج بيت الله الحرام.

ب. الصلاة عند قبر الحسين ومضاعفة ثوابها.

جـ . تعظيم قبور الأئمة وتفضيل زيارتها على حج بيت الله الحرام.

د. الصلاة عند قبور الأئمة ومضاعفة ثوابها.

هـ. الدعاء والاستغاثة عند القبر.

و. الطواف بقبور الأئمة.

ز. التبرك باستلام وتقبيل القبور والأعتاب.

حـ. اتخاذ قبور الأئمة قبلة كبيت الله.

– امتهان الكعبة، وصورها:

أ. إذلال الله الكعبة ومعاقبتها وتفضيل كربلاء عليها.

ب. محاولة صرف المسلمين عن الكعبة إلى كربلاء.

جـ . الوعد بنصب الحجر الأسود في مسجد الكوفة.

– مضاهاة الكعبة بتعظيم قبر النبي ﷺ.

أ. الطواف بقبر النبي ﷺ.

ب. استلام منبر النبي ﷺ.

ثانياً: النصيرية.

- التأويل الباطني للكعبة.

ثالثاً: الإسماعيلية.

- التأويل الباطني للكعبة.

أ. **القرامطة.**

- التأويل الباطني للكعبة.
- التعدي على الكعبة ونزع الحجر الأسود.

ب. **الدروز.**

- التأويل الباطني للكعبة.
- امتهان الكعبة.
- الاعتقاد بهدم الكعبة على يد الحاكم بأمر الله يوم الحساب.

المطلب الثالث: الصوفية.

الأول: مضاهاة الكعبة بتعظيم المشايخ، وصورها:

أ. اعتبار المشايخ ذواتهم كعبة.

ب. التوجه إلى المشايخ في الصلاة أولى من التوجه إلى الكعبة.

الثاني: مضاهاة الكعبة بتعظيم القبور، وصورها:

أ. اتخاذ القبور مساجد.

ب. التبرك بزيارة القبور.

جـ. شد الرحال إلى القبور وحجها.

د. تفضيل زيارة قبر النبي ﷺ على زيارة بيت الله الحرام.

و. اتخاذ القبر قبلة والصلاة عنده.

ز. الدعاء والاستغاثة عند القبر.

حـ. الطواف بالقبر.

ط. التبرك باستلام القبر وتقبيله.

ي. سدانة القبور.

الثالث: امتهان الكعبة، وصورها:

أ. طواف الكعبة بالمشايخ.

ب. الشيخ أعظم حرمة من الكعبة.

جـ. مساواة الكعبة بغيرها من بيوت الأوثان والكنائس.

د. إتخاذ المسلم بديلاً للكعبة في بيته يطوف به ويحج إليه.

هـ.قول مالايليق في الكعبة.

الرابع: القول بحلول الله في الكعبة واتحاده بها . تعالى عمايقولون . .

الخامس: الحجر الأسود صفة من صفات الله.

السادس: رفع الكعبة آخر الزمان بعد هَجْر الأبدال والأوتاد الطواف بها.

المطلب الرابع: البابية.

مضاهاة الباب علي محمدالشيرازي الكعبة، وصورها:

أ. اعتبار الشيرازي ذاته كعبة.

ب. اعتبار الشيرازي بيته، أو بيوت أصحابه كعبة.

المطلب الخامس: البهائية.

مضاهاة البهاء حسين علي المازندراني الكعبة، وصورها:

أ. ادعاء البهاء أنه هو القبلة لأتباعه حال حياته.

ب. التبرك بزيارة قبر البهاء والطواف به وتقبيله واتخاذه قبلة.

المطلب السادس: القاديانية.

مضاهاة المرزا غلام أحمد القادياني الكعبة.

– ادعاء المرزا غلام أحمد أن قرية " قاديان" بالهند هي قبلة المسلمين.

المطلب السابع: الأحباش.

تحويل القبلة، والتوجه بها عكس قبلة المسلمين.

المبحث الثالث: المستشرقون، ومن تأثر بهم من الكتاب المعاصرين[1].

المطلب الأول: الافتراءات على نبي الله ابراهيم الخليل واسماعيل – عليهما السلام– وبناءهما البيت الحرام.

– نفي قصة اسكان نبي الله ابراهيم عليه السلام زوجته هاجر وإسماعيل عليه السلام عند البيت، وهي من ابتداع اليهود للربط بينهم وبين العرب في النسب.

– إن خبر بناء إبراهيم وإسماعيل – عليهما السلام – الكعبة من أساطير العرب.

– إن هاجر طُردت من خيام إبراهيم عليه السلام بتحريض من سارة، وهامت على وجهها في الصحراء.

– طردُ إسماعيل عليه السلام أبو العرب من بيت أبيه ثم استقراره مع أمه هاجر بمكة.

– إن إعانة اسماعيل عليه السلام لأبيه في بناء البيت تسبق سعي هاجر ونبع ماء زمزم.

---

(١) انظر: بيان هذه الافتراءات في شرح الخطة أدناه ١٤٨.

- إن القول بتأسيس إبراهيم عليه السلام للكعبة هو وجهة نظر جديدة كوّنها النبي ﷺ في المدينة، ويتضمن ذلك:

أ. إن بناء نبي الله ابراهيم عليه السلام للبيت وصلة اسماعيل عليه السلام به لم يرد في السور المكية وأُقحم في السور المدنية.

ب. سر اختلاف السور المكية والمدنية في ذكر إبراهيم عليه السلام هو اعتماد النبي ﷺ على اليهود في مكة فلما عادوه وصل حبله بيهودية إبراهيم.

جـ. إن النبي ﷺ صنع أسطورة ابراهيم عليه السلام وصوره بأنه باني البيت.

المطلب الثاني: الافتراءات في شأن تعظيم الله ورسوله ﷺ الكعبة.

- اندثار أصل الكعبة.

- إن تقديس الكعبة ليس أثراً من آثار دعوة ابراهيم إنما هو من اختراع العرب وتقاليدهم.

- إن تقديس الكعبة هو طقس وثني نتيجة فكرة سامية قديمة.

- إن الكعبة لم تكن غير صُوَان للحجر الأسود.

- إن الكعبة صنم من الأحجار العظيمة المقدسة.

- إن قصة دور النبي ﷺ في إعادة بناء الكعبة غير جديرة بالتصديق.

- احتواء جوف الكعبة على ثلاثمائة وستون صنماً في الجاهلية.

- احتواء جوف الكعبة على الأصنام الثلاثة اللآت والعزى ومناة في الجاهلية.

- دخول النبي ﷺ الكعبة وفيها الأصنام في عمرة القضاء.

- الكعبة مسجد مسيحي قبل القرآن.

- أمر النبي ﷺ بمحو جميع الصور من الكعبة إلا صورتي رسول الله عيسى عليه السلام وأمه.

- إذا كان نبي الله إبراهيم عليه السلام أبو اليهود والنصارى والمسلمين وباني الكعبة، فلماذا يُمنع غير المسلمين من زيارتها؟

المطلب الثالث: الافتراءات في شأن الحجر الأسود.

- إن الحجر الأسود يعدُّ رباً.

- إن الحجر الأسود هو صنم مكة الخاص.

- الذبح على الحجر الأسود.

- إن خبر مجيء الحجر الأسود من الجنة من الأساطير.

- الاعتراض على حديث الرسول ﷺ :" نزل الحجر الأسود من الجنة، وهو أشد بياضاً من اللبن، فسودته خطايا ابن آدم" ، كيف سودته خطايا المشركين، ولم تبيِّضه طاعات أهل التوحيد؟

- إن قصة قبول تحكيمه ﷺ في وضع الحجر الاسود مخترعة.

- وضع النبي ﷺ يده على الحجر الاسود عند إعلان تبني زيد بن حارثة.

المطلب الرابع: الافتراءات في شأن القبلة وتحويلها.

- إن النبي ﷺ لم تكن لديه بمكة قبلة، فرغب بالصلاة إلى بيت المقدس على غرار الطقوس اليهودية والمسيحية.

- لم يكن النبي ﷺ قد حدد جهة القبلة بالمدينة، ثم جعلها لمعبد أورشليم لكسب تأييد اليهود والنصارى.

- إتخاذ النبي ﷺ من القدس قبلة مجاراة لمسلمي المدينة.

- مرور فترة تردد بين تخلي المسلمين عن القدس كقبلة واتخاذ الكعبة، حتى دلَّهم اليهود عليها، فأراد النبي ﷺ مخالفتهم.

- تحويل القبلة إلى الكعبة يرجع إلى معادة اليهود للنبي ﷺ.

- إن تحويل القبلة إلى الكعبة يأتي في سياق تصور النبي ﷺ الجديد عن إبراهيم.

- تحويل القبلة إلى الكعبة من إفكار النبي ﷺ للسيطرة على الأمور وتركيز اهتمامه بمكة.

- إنكار النسخ في تحويل القبلة.

المطلب الخامس: الافتراءات في شأن إهلاك الله أصحاب الفيل.

- خبر أصحاب الفيل من الأساطير.

- سبب هلاك أصحاب الفيل هو اجتياح الوباء.

- تأويل الطير الأبابيل بالذباب والبعوض الذي يحمل الجراثيم.

- الاعتراض على مولده ﷺ في عام الفيل.

المطلب السادس: الافتراءات في شأن العبادات المختصة بالكعبة.

أولاً: الأثر الوثني في العبادات الإسلامية.

- احتفاظ النبي ﷺ بركن الحج عن الوثنية، ولكنه جعله متفقاً والتوحيد، وعدَّل في معناه.

- إن شعيرة الطواف ترجع إلى إبراهيم ويفعلها المسلمون على عادة الوثنيين.

- إن الطواف بالبيت تقليد قديم لاعلاقة له بالإسلام، ويشابه الطواف حول النار المقدسة، أو حيطان أريحا.

- إن تقبيل الحجر الأسود طقس وثني.

- إبقاء النبي ﷺ لبعض الطقوس الوثنية المتعلقة بالكعبة لأسباب شخصية واقتصادية.

- إن مناسك الحج من صنيع النبي ﷺ.

- عدم توصل المستشرقين إلى معرفة أن الطواف جزء من الحج.

ثانياً: الأثر اليهودي والنصراني في العبادات الإسلامية.

- استقبال القبلة فكرة سامرية.

- استقبال بيت المقدس في الصلاة على غرار الطقوس اليهودية والنصرانية.

- الحج عادة سامية قديمة.

- إن العدد سبعة ودوره في الطواف يرجع إلى ما أخذه المسلمون من اليهود والنصارى وغيرهم من الملل.

- زيارة الكعبة هي الهدف من الحج.

- فضيلة الطواف بالكعبة منفرداً.

- إن النبي ﷺ رمل في الطواف؛ لأسباب لايتحكم بها، ولاعلاقة لها بالدين، فهي:" هرولة غير مقصودة ".

- إن تفسير قوله تعالى: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ ﴾ المتعلق بالله والكعبة يعاني عيباً.

- إمكانية إحلال صخرة بيت المقدس محل الكعبة في الطواف.

- ارتداء كسوة الكعبة القديمة يعصم صاحبها ويحصّنه.

المطلب السابع: الافتراءات في شأن عمر ﷺ مع الكعبة.

- إن سيد بني شيبة ردَّ محاولات الخليفة عمر ﷺ الاستيلاء على كنز الكعبة.

- التقليل من شأن نزول القرآن موافقة لعمر ﷺ بالصلاة خلف مقام ابراهيم عليه السلام.

المبحث الثالث: الدعوات الحديثة لامتهان الكعبة(١).

المطلب الأول : الدعوات الشرقية

دعوة الخميني لهدم الكعبة

المطلب الثاني: الدعوات الغربية

- تهديد المرشح للرئاسة الأمريكية النائب الجمهوري توم تانكريدو بقصف الأماكن الإسلامية المقدسة في مكة المكرّمة والمدينة المنوّرة بالسلاح النووي.

- ريفن كورت يفكر في تدمير الكعبة.

الخاتمة: وستتضمن ـ بإذن الله ـ أهم نتائج وتوصيات البحث.

الفهارس العلمية.

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية.

---

(١) انظر: بيان هذه الدعوات في شرح الخطة أدناه ١٧١.

- فهرس الآثار.
- فهرس الأعلام المترجم لهم.
- فهرس الفرق والطوائف.
- فهرس البلدان والأماكن.
- فهرس الأبيات الشعرية.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس موضوعات البحث.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

مراجع الخطة

١. القرآن الكريم (طبعة المدينة المنورة، طبعة ج. فلوجل ١٨٨٧م)

كتب التفسير:

٢. أحكام القرآن، لأبي بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي.

٣. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق : سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ.

٤. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ

٥. الجامع لأحكام القرآن، الإمام أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، در إحياء التراث، بيروت.

٦. معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧ هـ.

كتب الحديث وشروحه:

١. جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط، مكتبة الحلواني ، مكتبة دار البيان، ط١.

٢. الجامع الصحيح المختصر ،محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير ،اليمامة، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

٣. الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت .

٤. السلسلة الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض.

٥. سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.

٦. شرح صحيح البخارى، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، تحقيق : أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ.

٧. صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط٥.

٨. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٩. صحيح وضعيف الجامع الصغير وزياداته " الفتح الكبير" ، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ط٣، ١٤٠٨هـ.

١٠. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق : محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.

١١. فتح الباري، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب، تحقيق : أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار ابن الجوزي، الدمام، ط٢، ١٤٢٢هـ.

١٢. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الكتاب العربي، بيروت ، ط٢، ١٩٦٧م.

١٣. المستدرك للإمام الحافظ أبي عبدالله الحاكم النيسابوري، وبذيله التلخيص للحافظ، دار المعرفة،بيروت.

١٤. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، المحقق : شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢٠هـ.

١٥. مشكاة المصابيح، محمد بن عبدالله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت.

١٦. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط٢، ١٤٠٤هـ.

١٧. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، الإمام الحافظ أبي لعباس أحمد بن عمر إبراهيم القرطبي، حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب مستو وآخرون، دار ابن كثير ، دمشق، بيروت، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت.

كتب العقيدة:

١٨. أحكام أهل الذمة، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق : يوسف أحمد البكري، شاكر توفيق العاروري، رمادى للنشر ،دار ابن حزم ، الدمام، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

١٩. الاستغاثة في الرد على البكري، شيخ الاسلام ابن تيمية ، دراسة وتحقيق: عبدالله بن دجين السهلي، دار الوطن، الرياض. ط١، ١٤١٧هـ.

٢٠. الاستقامة، لابن تيمية أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبدالحليم، تحقيق:د.محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

٢١. الأسماء والصفات، البيهقي أحمد بن الحسين أبو بكر، تحقيق : عبد الله بن محمد الحاشدي مكتبة السوادي، جدة ، ط١.

٢٢. الاعتصام، أبو إسحاق الشاطبي، تحقيق: سليم الهلالي، دار ابن عفان، الخبر، ط١، ١٤١٢هـ.

٢٣. إعلام الساجد بأحكام المساجد، محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: أبو الوفا مصطفى المراغي، وزارة الأوقاف المصرية، ط٥، ١٤٢٠هـ.

٢٤. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد سيد كيلاني، مكتبة دار التراث.

٢٥. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، شيخ الاسلام أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ.

٢٦. بدائع الفوائد، لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن قيم الجوزية، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان،دمشق، مكتبة المؤيد، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ.

٢٧. بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، أو نقض تأسيس الجهمية، أبي العباس شيخ الاسلام أحمد بن تيمية، بتصحيح وتكميل وتعليق: محمد بن عبدالرحمن بن قاسم، دار القاسم، الرياض، ط٢، ١٤٢١هـ.

٢٨. الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، اسماعيل ابن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، دار الراية، الرياض،١٤١٩هـ.

٢٩. دلائل النبوة، إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني، تحقيق : محمد محمد الحداد دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٠٩

٣٠. الرد على المنطقيين، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، دار المعرفة، بيروت.

٣١. زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، تحقيق : شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، بيروت، الكويت، ط١٤، ١٤٠٧هـ.

٣٢. السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، أبو العباس ، تقي الدين أحمد بن عبد السلام بن تيمية، المحقق: لجنة إحياء التراث العربي بدار الآفاق الجديدة، بيروت،ط١، ١٤٠٣ هـ

٣٣. شرح العقيدة الطحاوية، الإمام القاضي عليّ بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وقدم له:د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٣، ١٤١٩هـ.

٣٤. شفاء السقام في زيارة خير الأنام، علي بن عبدالكافي السبكي، مكتبة دار جوامع الكلم، القاهرة، ١٩٨٤هـ.

٣٥. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق : محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي، دار الفكر، بيروت ، ١٣٩٨هـ.

٣٦. الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية النميري الحراني، دار ابن حزم، بيروت.

٣٧. الصارم المنكي في الرد على السبكي، ابن عبدالهادي، تحقيق: أحمد سليمان، مكتبة ابن تيمية، ط١، ١٤٢٥هـ.

٣٨. الصفدية، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق :د. محمد رشاد سالم، دار الهدى النبوي، المنصورة، دار الفضيلة، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ.

٣٩. الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، للإمام أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد بن عبدالرحمن العريفي وآخرون، إشراف بكر بن عبدالله أبو زيد، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة،ط١، ١٤٢٨هـ.

٤٠. كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته على الاتفاق والتفرد، الامام الحافظ عبدالله محمد بن اسحاق بن محمد بن يحي بن منده، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه: د.علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة ، دار العلوم والحكم، سوريا،ط١٤٢٣،١هـ.

٤١. مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، وساعده ابنه محمد، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف تحت إشراف وزارة الشؤون الاسلامية والاوقاف والدعوة والإرشاد، المدينة المنورة، ١٤١٦هـ.

٤٢. مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، اختصره: الإمام محمد بن الموصلي، تحقيق : مصطفى أبو المعاطي، دار الغد الجديد، القاهرة، ط١، ١٤٢٧هـ.

٥٦. التنبيه والإشراف، علي بن الحسين المسعودي، تصوير مكتبة خياط عن الطبعة الأوروبية، بيروت، ١٩٦م.
٥٧. سير أعلام النبلاء، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: مجموعة محققين ،أشرف على التحقيق وخرج الأحاديث: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.
٥٨. سيرة النبي ﷺ ، أبو محمدعبدالملك ابن هشام، مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث، طنطا،ط١، ١٤١٦هـ.
٥٩. شفاء الغرام بأخبار البيت الحرام، الحافظ أبي الطيب تقي الدين محمد الفاسي، تحقيق: د.علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٤٢هـ.
٦٠. صحيح السيرة النبوية، محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن، ط١.
٦١. اللمحة اللطيفة في ذكر أحوال كسوة الكعبة الشريفة، الإمام الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: د.محمد علي بيومي، مكتبة زهراء الشلرق، القاهرة، ط١، ١٤٢٩هـ.
٦٢. معجم البلدان، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ.
٦٣. منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم، علي بن تاج الدين بن تقي الدين السنجاري، جامعة ام القرى، مكة المكرمة، ١٤١٩هـ.
٦٤. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج، دار صادر، بيروت، ط١، ١٣٥٨هـ.

كتب أهل الكتاب و المهتدين منهم، ومن ألف في جدالهم من علماء المسلمين:

٦٥. الأجوبة الفاخرة عن الاسئلة الفاجرة في الرد على الملة الكافرة، شهاب الدين أبي العباس أحمد بن ادريس الصنهاجي المشهور بالقرافي، تحقيق: مجدي محمد الشهاوي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ.
٦٦. إظهار الحق، الإمام العلامة الشيخ رحمة الله بن خليل الرحمن العثماني الكيرانوي، عني بطبعه ونشره: عبدالله بن ابراهيم الانصاري، إدارة إحياء التراث الإسلامي، الدوحة، قطر.
٦٧. الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الاسلام وإثبات نبوة محمد عليه الصلاة والسلام، الإمام محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي، تقديم وتحقيق وتعليق: د.أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي ، القاهرة، ١٣٩٨هـ.
٦٨. إفحام اليهود وقصة إسلام السموأل ورؤياه النبي ﷺ ، الإمام المهتدي السموأل بن يحي المغربي، تحقيق ودراسة: د. محمد عبدالله الشرقاوي، دار الجيل، بيروت، مكتبة الزهراء، القاهرة.
٦٩. البحث الصريح في أيهما هو الدين الصحيح، الشيخ زيادة بن يحي الراسي، تحقيق ودراسة: د. سعود بن عبدالعزيز الخلف، الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، عمادة البحث العلمي.

٧٠. بيان الواضح المشهود من فضائح النصارى واليهود، الامام القاضي أبي البقاء صالح بن الحسين الجعفري الهاشمي، دراسة وتحقيق :أمل مبروك ناهس اللهيبي،" رسالة دكتوراة" جامعة أم القرى، ١٤٣١هـ.
٧١. تحفة الاريب في الرد على أهل الصليب، للقس انسلم توميدا الشهير بعبدالله الترجمان الاندلسي، تقديم وتحقيق وتعليق: د. محمود علي حماية، دار المعارف، القاهرة، ط٣.
٧٢. تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري الهاشمي، دراسة وتحقيق: محمود عبدالرحمن قدح، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ.
٧٣. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، شيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية الحراني، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ.
٧٤. الحسام الممدود في الرد على اليهود، عبدالحق الاسلامي المغربي، تحقيق وتعليق: د. عمر وفيق الداعوق، دار البشائر الاسلامية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
٧٥. الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد ﷺ، علي بن ربن الطبري، حققه وقدم له: عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١ ، ١٣٩٣هـ.
٧٦. الرأي الصحيح في من هو الذبيح، الإمام عبدالحميد الفراهي صاحب تفسيرً" نظام القرآن وتاويل الفرقان بالفرقان" دار القلم، دمشق.
٧٧. غاية المقصود في الرد على النصارى واليهود، السموأل بن يحي المغربي، تحقيق ودراسة: د. إمام حنفي سيد عبدالله، دار الآفاق العربي، القاهرة، ط١، ١٤٢٧هـ.
٧٨. الفارق بين المخلوق والخالق، العلامة عبدارحمن الباجه جي زاده، تصحيح ومراجعة: عبدالمنعم فرج درويش، مطابع البيان التجارية، دبي، ١٤٠٧هـ.
٧٩. قاموس الكتاب المقدس، نخبة من الأساتذة النصارى، دار الثقافة المسيحية، القاهرة، ط٢.
٨٠. الكتاب المقدس، دار المشرق، بيروت، ط٣، ١٩٩٤م.
٨١. محمد ﷺ في التوراة والانجيل والقرآن ، ابراهيم خليل أحمد، دار المنار، القاهرة، ١٤٠٩هـ.
٨٢. محمد ﷺ كماورد في كتاب اليهود والنصارى، البروفسور: عبدالأحد داود " قسيس إرميا في إيران سابقاً "، ترجمة: محمد فاروق الزين، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ.
٨٣. محمد رسول الله هكذا بشرت به الاناجيل، بشرى زخاري ميخائيل، عالم الكتب، ط٢.
٨٤. محمد نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن، محمد عزت اسماعيل الطهطاوي، مطبعة التقدم، ١٩٧٢م.
٨٥. مسالك النظر في نبوة سيد البشر " بشارات التوراة بمحمد ﷺ ، سعيد بن حسن الاسكندراني، تحقيق: د. محمد عبدالله الشرقاوي، مكتبة الزهراء، عابدين.
٨٦. نبي أرض الجنوب في الأسفار اليهودية والمسيحية، دار هادف، جمال الدين شرقاوى، القاهرة، ط١.
٨٧. النصيحة الايمانية في فضيحة الملة النصرانية، نصر بن يحي بن سعيد المتطبب" كان نصرانياً فأسلم"، تقديم وتحقيق وتعليق: د. محمد عبدالله الشرقاوي، دار الصحوة، القاهرة، ١٤٠٦هـ.

٨٨. هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، الإمام العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، خرج أحاديثه وعلق عليه: مصطفى أبو النصر الشلبي، مكتبة السوداي للتوزيع، جدة، ط٣، ١٤١٨هـ.

كتب الفرق والطوائف :

٨٩. الأربعين في أصول الدين، للإمام فخر الدين الرازي، تقديم وتحقيق وتعليق: د. أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط١، ١٤٠٦هـ.

٩٠. أساس التقديس، الإمام فخر الدين الرازي، تحقيق: د. أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٤٠٦هـ.

٩١. أصول الإسماعيلية دراسة . تحليل . نقد، د. سليمان عبدالله السلومي، دار الفضيلة، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ.

٩٢. البابية عرض ونقد، أ. إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان.

٩٣. البهائية نقد وتحليل، أ.حسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة ،لاهور، باكستان، ط٢ ، ١٤٠١هـ.

٩٤. التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، طاهر بن محمد الإسفراييني، عالم الكتب، بيروت، تحقيق : كمال يوسف الحوت، ط١، ١٩٨٣م.

٩٥. تثبيت أهل الحق في أن القبلة إلى الجنوب الشرقي في الولايات المتحدة وكندا، جمع وترتيب: رياض الناشف، سمير القاضي فيلادلفيا، ١٤١٥هـ.

٩٦. تلبيس إبليس، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، تحقيق : د. السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت،ط١، ١٤٠٥هـ.

٩٧. التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبدالرحمن الملطي الشافعي ، تحقيق : محمد زاهد بن الحسن الكوثري ، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط٢، ١٩٧٧م.

٩٨. الحركات الباطنية في العالم الإسلامي عقائدها وحكم الإسلام فيها، د.محمد أحمد الخطيب، مكتبة الأقصى، عمان، دار عالم الكتب، الرياض، ط٣، ١٤٢٨ هـ.

٩٩. رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٨م.

١٠٠. صريح البيان في الرد على من خالف القرآن فأنكر كفر ساب النبي، عبدالله الحبشي، تخريج وإصدار: قسم الأبحاث والدراسات الإسلامية، جمعية المشاريع، بيروت، ١٤١٠هـ.

١٠١. عقيدة الدروز عرض ونقد، د.محمد الخطيب ، دار عالم الكتب، الرياض، ط٣، ١٤٠٩هـ.

١٠٢. فرقة الأحباش نشأتها – عقائده – آثارها، د. سعد بن علي الشهراني، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٣هـ.

١٠٣. الفصل في الملل والأهواء والنحل، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الطاهري أبو محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة.

١٠٤. فضائح الباطنية، للإمام أبي حامد الغزالي، اعتنى به وراجعه: محمد علي قطب، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٢هـ.
١٠٥. القادياني ومعتقداته ، الشيخ: منظور أحمد جنيوتي، الإدارة المركزية للدعوة والإرشاد،جنيوت، باكستان.
١٠٦. القاديانية دراسات وتحليل، أ.حسان إلهي ظهير، دار المجدد ،القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ.
١٠٧. قواعد العقائد ، أبو حامد الغزالي، تحقيق: موسى محمد علي، عالم الكتب، ط٢، ١٤٠٥هـ.
١٠٨. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية،شمس الدين أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق، ط٢، ١٤٠٢هـ.
١٠٩. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبي الحسن الأشعري، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١١هـ.
١١٠. الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد الكيلاني، دار المعرفة ، بيروت، ١٤٠٤هـ.
١١١. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٠هـ.
١١٢. النصيرية دراسة تحليلية، تقي شرف الدين، بيروت، (د.ن) ، ١٩٨٣م.

كتب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية:

١١٣. الاحتجاج، أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، تعليق: محمد باقر الخرسان، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤٠١هـ.
١١٤. أصول الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٣، ١٣٨٨هـ.
١١٥. بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الاطهار، محمد باقر المجلسي، إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ.
١١٦. ثواب الأعمال، ابن بابويه القمي، ط: ايران، ١٣٧٥هـ.
١١٧. الفروع من الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، تصحيح: علي أكبر الغفاري، دار صعب، دار التعارف، بيروت، ط٣، ١٤٠١هـ.
١١٨. كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه القمي، تحقيق: جواد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٧هـ.
١١٩. كشف الأسرار، الخميني ابن مصطفى، دار عمار للنشر والتوزيع، عمَّان، الأردن، ١٩٨٧م.
١٢٠. كشف النقاب عن عقائد ابن عبدالوهاب ، علي نقي إبراهيم اللكنهوري، المطبعة الحيدرية بالنجف.

١٢١. من لايحضره الفقيه، ابن بابويه القمي، دار صعب، دار التعارف، بيروت، ١٤٠١هـ.

١٢٢. الوافي للفيض الكاشاني، منشورات مكتبة الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام العامة، أصفهان، ط١، ١٤١١هـ.

١٢٣. وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمد بن الحسن الحر العاملي، تحقيق: عبدالرحيم الشيرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٥ ، ١٤٠٣هـ.

كتب الصوفية وما أُلفَ فيهم:

١٢٤. إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، دار الشعب، القاهرة.

١٢٥. الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، عبدالوهاب الشعراني، حققه وقدم له: طه عبدالباقي سرور، السيد محمد عيد الشافعي، مكتبة المعارف، بيروت، ١٤٠٨هـ.

١٢٦. جامع كرامات الأولياء، يوسف النبهاني، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، تحقيق ومراجعة: إبراهيم عطوة، ط٢، ١٣٩٤هـ.

١٢٧. الجوهرة المضيئة، إبراهيم الدسوقي، تحقيق: إبراهيم الرفاعي، مكتبة الرفاعي، القاهرة، ط١، ١٤١٩هـ.

١٢٨. دراسات في التصوف، أ.إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان.

١٢٩. ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق، ابن عربي، ط مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة .

١٣٠. الرسالة القشيرية، أبي القاسم عبدالكريم القشيري، تحقيق: د. عبدالحليم محمود، د. محمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة.

١٣١. طبقات الصوفية، أبي عبدالرحمن محمد بن الحسين السلمي، ترتيب: أحمد الشرباصي، مطابع الشعب، القاهرة، ١٣٨٠هـ.

١٣٢. الطبقات الكبرى المسماه بلواقح الأنوار في طبقات الأخيار، عبدالوهاب الشعراني، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

١٣٣. الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان، محمد النور بن ضيف الله، تحقيق: د. يوسف فضل، مطابع دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط٢، ١٩٨٥م.

١٣٤. الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الاصلية، أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني، راجعه وحققه وقدم له: عبدالحمن حسن محمود، عالم الفكر، الأزهر الشريف.

١٣٥. الفتوحات المكية، محيي الدين بن عربي، تحقيق وتقديم: د.عثمان يحي، تصدير ومراجعة: د. ابراهيم مدكور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٣٩٢م.

١٣٦. قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر، محمد بن أبي الهدى أفندي الرفاعي الخالدي الصيادي، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٣٠١هـ.

١٣٧. المدخل، ابن الحاج المكي، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٧٧م.

١٣٨. المنح القدوسية ، أحمد بن مصطفى العلاوي المستغانمي، المطبعة العلاوية بمستغانم، ط٢.

١٣٩. المواهب السرمدية في مناقب النقشبندية، محمد أمين الكردي، مطبعة السعادة، ط١، ١٣٢٩هـ.

كتب المستشرقين ومن تأثر بهم من الكتاب المعاصرين، وما أُلفَّ فيهم:

١٤٠. الإسلام والمستشرقون، نخبة من العلماء المسلمون، عالم المعرفة، جدة.
١٤١. الإسلام والمسيحية، و.مونتجمري وات، ترجمة: د. عبدالحمن عبدالله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م.
١٤٢. تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، يوليوس فلهوزن، ترجمة وتعليق:د.محمد أبوريدة، مراجعة الترجمة:د. حسين مونس، لجنة الترجمة والتأليف والنشر، القاهرة، ط٢، ١٩٦٨م.
١٤٣. تاريخ الشعوب الإسلامية، كارل بروكلمان، نقله إلى العربية: نبيه أمين، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٥، ١٩٦٨م.
١٤٤. تاريخ القرآن، للمستشرق الألماني تيودور نولدكه، ترجمة وقراءة نقدية، د. رضا محمد الدقيقي، دار النوادر، قطر، ط٢، ١٤٣٢هـ.
١٤٥. تأسيس الإسلام بين الكتابة والتاريخ، الفريد لويس دي بريمار، ترجمة: عيسى محاسبي، مراجعة: مروان الداية، دار الساقي، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.
١٤٦. تفسير القرآن الكريم" جزء عم "، الشيخ: محمد عبده، الجمعية الخيرية الاسلامية، مصر، ط٣، ١٣٤١هـ.
١٤٧. جدلية الخطاب والواقع، يحي محمد، مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت، ٢٠٠٢م.
١٤٨. الجذور التاريخية للشريعة الإسلامية، خليل عبد الكريم، سينا للنشر ، القاهرة، ط١، ١٩٩٠م.
١٤٩. حياة محمد، أميل درمنغم، نقله إلى العربية: عادل زعيتر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٨٨م.
١٥٠. حياة محمد، أميل درمنغم، نقله إلى العربية : عادل زعيتر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
١٥١. حياة محمد، محمد حسين هيكل، دار المعارف، القاهرة ، ط١٤، ٢٠٠٢م.
١٥٢. دائرة المعارف الإسلامية، أئمة المستشرقين في العالم، النسخة العربية إعداد وتحرير: ابراهيم خورشيد، أحمد الشنتناوي، د. عبالحميد يونس، الشعب، القاهرة، ط٢، ١٩٦٩م.
١٥٣. دفاع عن محمد ﷺ ضد المنقصين من قدره، د. عبدالرحمن بدوي، ترجمة: كمال جاد الله، الدار العالمية للكتب والنشر.
١٥٤. الرسول حياة محمد، ر.ف.بودلي، ترجمة: محمد محمد فرج، عبدالحميد جودة السحار، مكتبة مصر، الفجالة.
١٥٥. السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون، وهي عبارة عن: مقدمة ترجمة القرآن الكريم باللغة الفرنسية وعنوانها :" مختصر حياة محمد" م.سفاري، ترجمة: محمد عبد العظيم علي، نقد وتحقيق وتصويب: عبد المتعال محمد الجبري، دار الدعوة، الاسكندرية، ٢٠٠٢م.

١٥٦. الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية، ساسي سالم الحاج، مركز دراسات العالم الإسلامي، مالطا، ط ١، ١٩٩١م.
١٥٧. العرب تاريخ موجز، د. فيليب حتى، دار العلم للملايين، بيروت، ط٦، ١٩٩١م.
١٥٨. العقيدة والشريعة في الإسلام، المستشرق اجناس جولدتسهير، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمد يوسف موسى وآخرون، دار الكتب الحديثة، مصر، مكتبة المثنى ، بغداد، ط٢.
١٥٩. علم الأديان وبنية الفكر الإسلامي، المستشرق جيب، د. عادل العوا، منشورات عوبدات، بيروت،باريس، ط١، ١٩٧٧م.
١٦٠. في الشعر الجاهلي، د.طه حسين، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس.
١٦١. القرآن دعوة " نصرانية "، منشورات المكتبة البُولسيّة، جونيه، ط٢، ١٩٨٦م.
١٦٢. قس ونبي، أبو موسى الحريري، المكتبة المسيحية، بيروت، ٢٠٠٣.
١٦٣. لانسخ في السنة، د. عبد المتعال محمد الجبري، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤١٥هـ.
١٦٤. محمد في المدينة، مونتجومري وات، تعريب: شعبان بركات، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
١٦٥. محمد في مكة، مونتجومري وات، تعريب: شعبان بركات، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
١٦٦. معالم تاريخ الإنسانية، هـ.ج . ولز، ترجمة: عبدالعزيز توفيق جاويد، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط٣، ١٩٧٢م.
١٦٧. مكة المكرمة في عيون رحالة نصارى، أغسطس رالي، نقله إلى العربية:أ.د حسن سعيد غزالة، راجعه وعلق عليه :أ.د محمد محمود السرياني، د. معراج نواب مرزا، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٣٠هـ.
١٦٨. مناظرة بين الإسلام والنصرانية لمناقشة العقيدة الدينية بين مجموعة من رجال الفكر من الديانتين الإسلامية والنصرانية، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ط٢، ١٤١٣هـ.
١٦٩. موجز دائرة المعارف الإسلامية، تحرير: م.ت. هوتسما وآخرون، المشرف العام ورئيس التحرير: أ.د. محمد سمير سرحان، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ط١، ١٤١٨هـ.
١٧٠. النص القرآني، أمام إشكالية البنية والقراءة، د. طيب تيزيني، دار الينابيع، دمشق، ١٩٩٧م.
١٧١. النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية، الأب لويس شيخو اليسوعي، طبع مطبعة الآباء المرسلين اليسوعيين، بيروت، ١٩١٢م.

شرحٌ لخطة: (الكعبة البيت الحرام بين أهل السنة ومخالفيهم: دراسة عقدية)

مع تذييل كلِّ مسألة بمراجعها

التمهيد: ويتناول التعريف بالكعبة وأسمائها وأركانها وأحجارها،وفضل ومميزات الكعبة والقبلة، والتعريف بأهل السنة ومخالفيهم.

الفصل الأول: المسائل المتعلقة بالكعبة في باب الإيمان بالله تعالى عند أهل السنة وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مسائل توحيد الربوبية، وفيه مطلبان:

المطلب الأول : دلالة الكعبة على خصائص الربوبية

أولاً: دفع الضر

إن من خصائص ومعاني ربوبية الله تعالى تفرده سبحانه بالخلق والرزق والملك والتدبير، فلايدفع الضر ولايجلب النفع أحد سواه، وقد تجلّى هذا المعنى فيما اختصّ الله به هذا البيت من الحرمة والصيانة، فدفع عنه كيد أصحاب الفيل، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ﴿٥﴾ ﴾[1].

وتَضَمَّنَتْ هَذِهِ السورة التذكير بأن الكعبة حرم الله وأن الله حماه وصانه ممن أرادوا به سوءاً، وأظهر غضبه عليهم فعذبهم؛ لأنهم ظلموا بطمعهم في هدم بيته الحرام، وذلك ماسماه كيداً، وليكون ماحل بهم تذكرة لقريش بأن فاعل ذلك هو رب ذلك البيت،وأن لاحظ فيه للأصنام التي نصبوها حوله.

وفي هذه الحماية والعناية ببيته الحرام دليلٌ بأن الله غالب على أمره، وأن لا تغُر المشركين قوتهم ووفرة عددهم ولايوهن النبي ﷺ تألُّب قبائلهم عليه فقد أهلك الله من هو أشد منهم قوة وأكثر جمعاً[2].

(١) سورة الفيل : ١-٥.

(٢) انظر: تفسير التحرير والتنوير ٣/٥٤٣، ٥٤٤.

وفيها أيضاً آية عظيمة من آيات الله في التدبير والإحكام، قضى هلاكهم فأبرمه، لاراد لقضاءه ولامضاد لأمره ولامعقب لحكمه ولاشريك له في ملكه ولاإله غيره ولارب سواه[1] .

ثانياً: جلب النفع

إن كل سورة من القرآن تتضمن إثبات ربوبية الله تعالى، وفيها أنواع من الأدلة عليها، وفي سورة قريش امتن الله على أهل البيت الحرام بالإنعام بالرزق والأمن لجوارهم البيت الحرام، قال تعالى:﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤﴾[2] .

والإنعام : هو فعل الله القائم به ، فلو لم يقم به فعل الإنعام لم يكن للنعمة وجود البتة[3].

وهذه السورة تضمنت تذكير قريش بنعمة الله عليهم إذ يسر لهم ما لم يتأت لغيرهم من العرب فمكن لهم السير في الأرض للتجارة برحلتي الشتاء والصيف، فإن رحلة الشتاء كانت إلى اليمن، ورحلة الصيف كانت إلى الشام، لايخشون عادياً يعدو عليهم، وكانت تأتيهم من كلتا الرحلتين أموال وأرزاق؛ ولذا أتبع الرحلتين بامتنانه عليهم: بأن أطعمهم من جوعٍ، وقد دعا - من قبل- نبي الله ابراهيم عليه السلام لأهل هذا البيت الحرام بسعة الرزق حيث قال: ﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾[4]، وبالأمن، حيث قال: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾[5]، فآمنهم من عدوان المعتدين وغارات المغيرين في السنة كلها بمايسر لهم من بناء الكعبة وشرعة الحج، وجعلهم عمار بيته الحرام وجعل لهم مهابة وحرمة في نفوس العرب كلهم في الأشهر الحرم وفي غيرها.

---

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ٢٤/٦٠٥-٦١٦، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٨/٤٨٣-٤٩٠، بدائع الفوائد ٢/ ٣-٥ ، مدارج السالكين ٣١-٣٣،

(٢) سورة قريش : ١-٤.

(٣) انظر: مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ١٧٧، شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٤٢.

(٤) سورة ابراهيم : ٣٧.

(٥) سورة ابراهيم : ٣٥.

وأضاف " رب " إلى "هذا البيت" دون أن يقال : ربهم، للإيماء إلى أن البيت هو أصل نعمة الإيلاف بأن أمر إبراهيم ببناء البيت الحرام فكان سبباً لرفعة شأنهم بين العرب، قال تعالى: ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ ﴾ (١)(٢).

المطلب الثاني : الإقرار بتوحيد الربوبية لا يكفي في الدخول في الإسلام

جاء في معنى توحيد الربوبية : إن الله وحده هو الخالق للعالم، وهو الرب لهم، والرازق لهم، وهذا لاينكره المشركون، بل هم مقرُّون بأن الله خالقهم من العدم، ومالكهم ورازقهم والمنعم عليه بأنواع النعم التي لايستطيعون إحصاءها، والتي هي مستمرة في جميع الأوقات والأحوال، ولايجعلون لله فيها شريكاً، بل عامة المشركين بالله: مقرون بأنه ليس شريكه مثله، بل عامتهم يقرون أن الشريك مملوك له، سواء كان ملكاً، أو نبياً، أو كوكباً، أو صنماً ؛ كما كان مشركوا العرب يقولون في تلبيتهم:" لبيك لاشريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وماملك"(٣).

ومع هذا الإقرار العام من المشركين لله بالربوبية إلا أنه لم يدخلهم في الإسلام، بل قاتلهم الرسول ﷺ، واستحلَّ دمائهم وأموالهم؛ وذلك لأنهم أنكروا توحيد الإلهية، وأشركوا بالله في عبادته. قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾(٤)، أي مايقر أكثرهم بالله، وبأنه خلقه، وخلق السموات والأرض، إلا وهو مشرك بعبادة الأوثان(٥).

فهذه الأوثان والأصنام التي لاتضر ولاتنفع، ولاتعطي ولاتمنع، واتخذوها بزعمهم شركاء ووسطاء يقربونهم إلى الله، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾(٦)، فالمشركون رغم تعظيمهم البيت الحرام وصيانة حرمته، وحجه والطواف به، وأنهم كانوا خيراً من غيرهم من المشركين، ويكرمون مالايكرم غيرهم، ويؤتون مالايؤتاه غيرهم؛ لكونهم متمسكين بدين إبراهيم بأعظم مما كان يتمسك به غيرهم، فلم يغنهم ذلك من عذاب الله شيئاً (٧)؛ **لأن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية**، فهم مقرون بأن الله هو خالقهم من العدم ورازقهم

---

(١) سورة المائدة : ٩٧.

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ٦١٩/٢٤-٦٢٥، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٩١/٨، ٤٩٢،

(٣) انظر: مجموع الفتاوى ٩٦/٣.

(٤) سورة يوسف : ١٠٦.

(٥) انظر: تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد للصنعاني ١٣٧.

(٦) سورة الزمر : ٣.

(٧) انظر: مجموع الفتاوى ٤٣٨/٢٧.

والمنعم عليهم بعظيم النعم لجوارهم هذا البيت الحرام- كما جاء في سورة قريش- فلزمهم أن يشكروا الله تعالى على ذلك بأن يعبدوه سبحانه وتعالى ، وأن يطيعوا أوامره، ويجتنبوا نواهيه، ولايشركوا معه في عبادته أحداً من خلقه.

وقوله تعالى في شأنهم: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾ ﴾[1]، بمثابة التعليل لموجب أمرهم بالعبادة في قوله تعالى: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَـٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ﴾[2] ، لأنه سبحانه الذي هيَّأ لهم هذه النعم؛ فكان من واجبهم أن يشكروه على نعمه ويعبدوه وحده[3][4].

وسيأتي بيان هذه المسائل وتوضيحها بإذن الله تعالى.

المبحث الثاني : مسائل توحيد الألوهية

المطلب الأول : بناء الكعبة على الحنيفية السمحة ملة ابراهيمعليه السلام

نبي الله إبراهيم هو الإمام الذي قال الله فيه : ﴿ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾[5]، وهو الأمة أي القدوة الذي قال الله فيه : ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا ﴾[6] ، وهو الذي بوأه الله مكان البيت، وأمره أن يؤذن في الناس بالحج إليه، وقد حُرِّم الحرم على لسانه، وإسماعيل نبَّأه معه، وأمه هاجر هي التي أطاعت الله ورسوله إبراهيم في مقامها مع ابنها في ذلك الوادي الذي لم يكن به أنيس ، كما قال الخليل: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ ﴾[7].

- امتثال إبراهيم الخليل عليه السلام لأمر الله تعالى باسكان هاجر وإسماعيل عليه السلام عند موضع الكعبة

كما جاء في الحديث الطويل عن ابن عباس - رضي الله عنهما -: " أول ما اتخذ النساء المنطق من قِبَل أمّ إسماعيل، اتخذت منطقاً لتعفي أثرها على سارة، ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي تُرضعه، حتى وضعها

---

(١) سورة قريش : ٤.

(٢) سورة قريش : ٣.

(٣) انظر: تفسير التحرير والتنوير ٥٤٣/٣٠، ٥٦٠، ٥٦١، أضواء البيان ١١٢/٩، ١١١ .

(٤) انظر: مجموع الفتاوى ٩٦/٣-١٠٢، ١٢/١٤-١٤، ٣٧٦-٣٨٠، إغاثة اللهفان ٣٥/١-٤٠، مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ١٧٧، شرح العقيدة الطحاوية ٢٥- ٤٢.

(٥) سورة البقرة : ١٢٤.

(٦) سورة النحل : ٢٠.

(٧) سورة ابراهيم : ٣٧.

عند البيت عند دَوْحة فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء، فوضعهما هنالك، ووضع عندهما جراباً فيه تمر وسقاء فيه ماء، ثم قَفَّى إبراهيم منطلقاً، فتبعته أمّ إسماعيل، فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنسٌ ولاَ شيء؟ فقالت له ذلك مراراً، وجعل لا يتلفت إليها، فقالت له: آلله الذي أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يُضيعنا، ثم رجعت، فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثَّنِيَّة حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت، ثم دعا بهؤلاء الكلمات ورفع يديه فقال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾ حتى بلغ ﴿يَشۡكُرُونَ﴾[1]..." [2].

وسأتناول هذه المسألة بمزيد توضيح بإذن الله[3].

– امتثال إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل – عليهما السلام – لأمر الله تعالى ببناء الكعبة

قال تعالى : ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾[4]

وفي الحديث الطويل عن ابن عباس – رضي الله عنه –:" ثم جاء[5] بعد ذلك وإسماعيل يبري نبلاً له تحت دَوْحة قريباً من زمزم، فلما رآه قام إليه، فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد، ثم قال: يا اسماعيل، إن الله أمرني بأمر، قال: فاصنع ما أمر ربك. قال: وتعينني ؟ قال: وأعينك. قال: فإن الله أمرني أن أبني ها هنا بيتاً وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها، قال: فعند ذلك رفعا القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة، وإبراهيم يبني حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له، فقام عليه وهو يبني، وإسماعيل يناوله

---

(١) سورة ابراهيم : ٣٧.

(٢) صحيح البخاري ،كتاب الأنبياء، باب﴿ يزفون ﴾/ الصافات ٩٤ / النسلان في المشي،رقم: (٣١٨٤)،٣/١٢٢٧.

(٣)انظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ١٧/١٨-٢٦ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/٥١٣، ٥١٤، البداية والنهاية لابن كثير ١/١٥٣- ١٥٧.

(٤) البقرة: ١٢٧ - ١٢٩.

(٥) أي نبي الله ابراهيم عليه السلام.

الحجارة، وهما يقولان: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[1] قال: فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾" [2].

وسيأتي توضيح هذه المسألة بإذن الله[3].

– تعظيم الكعبة عند العرب وغيرهم من الأمم الأخرى قبل الإسلام

بعد إتمام نبيي الله إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بناء البيت الحرام، جاء دعاء إبراهيم الخليل عليه السلام الناس إلى حجه [4] ،قال تعالى:" ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾[5] .

قال الطبري – رحمه الله – :" يقول تعالى ذكره : عهدنا إليه أيضاً أن أذّن في الناس بالحجّ: يعني بقوله: ﴿ وَأَذِّن ﴾أعلِم وناد في الناس أن حجوا أيها الناس بيت الله الحرام،﴿ يَأْتُوكَ رِجَالًا ﴾يقول: فإن الناس يأتون البيت الذي تأمرهم بحجه مشاة على أرجلهم،﴿ وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ ﴾ يقول: وركباناً على كلّ ضامر، وهي الإبل المهازيل ﴿ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾) يقول: تأتي هذه الضوامر من كل فجّ عميق: يقول: من كلّ طريق ومكان ومسلك بعيد" [6].

وحصل هذا النداء إلى قصد البيت الحرام منذ تاريخ بناء الكعبة، وبالنظر إلى أن إسماعيل في الثلاثين من عمره، يوم أمر الله عزوجل إبراهيم ببناء الكعبة، فإن بناء الكعبة حينئذٍ يكون في حوالي ١٨٢٤ق.م، على أساس أن إسماعيل قد ولد في عام ١٨٥٤ق.م؛ لأنه ولد لإبراهيم وهو في السادسة والثمانين من عمره، وأن

---

(١) سورة البقرة :١٢٧.

(٢) صحيح البخاري،كتاب الأنبياء، باب ﴿يزفون﴾ الصافات (٩٤) النسلان في المشي،رقم: (٣١٨٤)،١٢٢٧/٣.

(٣) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ٥٥/٣–٨٨، ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤١٨/١–٤٤٤، مجموع الفتاوى ٣٣١/٨، البداية والنهاية لابن كثير ١٦٣/١– ١٦٦.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى ٢٧/ ٣٢٦.

(٥) سورة الحج: ٢٧.

(٦) جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ٦٠٥/١٨ .انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤١٤/٥، مجموع الفتاوى ٢٦/ ١١٥، ٢٥٥، ٢٥٦.

إبراهيم قد عاش في الفترة من (١٩٤٠- ١٧٦٥ ق.م)، ولما كان إسماعيل قد عاش مائة وسبع وثلاثين سنة، فإنه يكون قد انتقل إلى الرفيق الأعلى في حوالي عام ١٧١٧ق.م[١].

وعظَّمت العرب الكعبة بعد نبيي الله إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام -، فكانت حرماً آمناً، وحظيت بالكسوة طوال ولايتهم عليها، وحرص الملوك والأعيان على خصِّها بالهدايا والأموال، وعينت العرب لخدمتها الوظائف، فجُعلت الحجابة، وأكرموا ضيوف بيت الله من الحجاج بالرفادة والسقاية [٢].

وامتد قصدُ هذا البيت وتعظيمه إلى الأمم الأخرى، قال الحموي: "وليست أمة في الأرض إلا وهم يعظِّمون ذلك البيت، ويعترفون بقدَمه وفضله، وأنه بناء إبراهيم حتى اليهود والنصارى والمجوس والصابئة"[٣].

وذكر المؤرخ المسعودي في كتابه التنبيه تعظيم الفرس الكعبة ، وكذلك اعتقادهم أنهم من ولد إبراهيم، وقصد أسلافهم البيت الحرام تعظيماً لجدهم إبراهيم، حيث يقول :" وقول من قال منهم بعد ظهور الإسلام إن الفرس من ولد إسحاق بن إبراهيم الخليل، وما استشهدوا به على ذلك من من أشعار ولد أبيهم إبراهيم...وأن الفرس قد كانت في سالف الدهر تقصد البيت الحرام بالنذور العظام تعظيماً لإبراهيم الخليل عليه السلام وابنه، وأنه عندهم أجلّ الهياكل السبعة المعظمة والبيوت المشرفة في العالم"[٤]

ويرجع أيضاً سبب تقديس الفرس الكعبة اعتقادهم أن روح " هرمز " قد حلَّت بها؛ ولهذا كانوا يحجون إليها ويقربون القرابين، ويهدون الهدايا[٥].

وذكر الحموي في معجم البلدان تعظيم الفرس الكعبة، فقال :" وكان آخر من حج منهم ساسان بن بابك وكان ساسان إذا أتى البيت طاف به وزمزم على هذه البئر وفي ذلك يقول الشاعر في القديم من الزمان:

زمزمت الفرس على زمزم   وذاك في سالفها الأقدم

وقد افتخر بعض شعراء الفرس بعد ظهور الإسلام :

وما زلنا نحج البيت قدما   ونلقي بالأباطح آمنينا

---

(١) انظر: مروج الذهب ٢/ ٢٢،دراسات تاريخية من القرآن الكريم لمحمد مهران ١/ ١٩٥.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام ١/ ١٨٣-١٩٠، أخبار مكة للأزرقي ٢٨٨، ٣٥٤،٣٥٥، ٥٤٧، ٦٤٤، شفاء الغرام للفاسي ١/ ١٩٠-٢٠٨.

(٣) معجم البلدان ٤/ ٤٦٥.

(٤) التنبيه والإشراف ١٠٩.

(٥) انظر: تاريخ الكعبة للخربوطلي ٢٧.

وساسان بن بابك سار حتى أتى البيت العتيق بأصيدينا

وطاف به وزمزم عند بئر ـ لإسماعيل تروي الشاربينا " (١)

كما ذكر المسعودي أن الفرس كانت تهدي الكعبة أمولاً في صدر الزمان وجواهر، وأن ساسان بن بابك أهدى غزالين من ذهب وجواهر وسيوفاً وذهباً كثيراً، فدفنها مضاض بن عمرو الجرهمي في زمزم(٢).

ولما حفر عبدالمطلب جدّ النبي ﷺ بئر زمزم أخرج الدروع والسيوف والغزالين الذهب، فسبك الحديد صفائح، وألبسها ذهب الغزالين، وحلّى بها باب الكعبة، وهو أول ذهب حُلِّيت به الكعبة (٣).

كما عقده البدوي الشنقيطي في نظم عمود النسب بقوله:

ومن خباياه غزالاً ذهب أهدتهما الفرس لبيت العرب(٤)

وقد عظَّم الهنود الكعبة، وكانوا يعتقدون أن روح " شيوة " أحد آلهتهم قد تقمصت في الحجر الأسود، حين زار هو وزوجته بلاد الحجاز ويسمون مكة" مكشيشا" أو " موكشيشا" أو " موكشيشانا" أي بيت شيشا أو شيشانا وهما من آلهتهم(٥).

وقال ابن القيم – رحمه الله – عن تعظيم الصابئة للكعبة:" وطوائف منهم يصومون شهر رمضان، ويستقبلون في صلواتهم الكعبة، ويعظِّمون مكة، ويرون الحج إليها..." (٦).

وذكر الحموي أيضاً تعظيم الصابئة للكعبة فقال:" فاما الصابئون فهو بيت عبادتهم، لايفخرون إلا به، ولايتعبدون إلا بفضله"(٧).

وسيأتي بإذن الله مزيد بيانٍ لهذه المسألة.

---

(١) معجم البلدان ٣/ ١٤٧، ١٤٨.

(٢) انظر: مروج الذهب ١/ ٢٤٢. انظر: أخبار مكة للأزرقي ٥٤٨– ٥٥٠، شفاء الغرام للفاسي ١/ ١٩٤.

(٣)انظر: سيرة ابن هشام ١/ ١٩٠،١٦٠– ١٩٦، أخبار مكة للأزرقي ٥٤٨– ٥٥٠، منايح الكرم للسنجاري ١/ ٤٠٥.

(٤) أضواء البيان ٣/ ٣٣.

(٥) انظر: تاريخ الكعبة للخربوطلي ٢٦.

(٦) إغاثة اللهفان ٢/٢٥٠.

(٧) معجم البلدان ٤/ ٤٦٥.

المطلب الثاني: العبادات المتعلقة بالكعبة وثوابها

إن عبادة الله هي الغاية العظمى والمقصد الأساسي الذي من أجله خلق الله الخلق، وأوجدهم في هذه الأرض، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[1]، ولأجله أُرسلت الرسل وبه أنزلت الكتب، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[2][3]، وتتعلق بالكعبة أنواع من العبادات القلبية والقولية والبدنية، ورُبط بها ركنان عظيمان من أركان الإسلام وهما الصلاة والحج، فلا تصح صلاة دون استقبالها، ولا يصح حج أحدٍ حتى يطوف بها، وهو شعار الحنيفية ملة إبراهيم الخليل إمام أهل الدين[4]. واختصت الكعبة بعبادات لاتشاركها فيها شيء من البقاع، فلم يأذن الله لأحد بالطواف على بنيان غير الكعبة، وشرع استلام الحجر الأسود وتقبيلة، واستلام الركن اليماني، قال ابن القيم: " وليس على وجه الأرض بقعة يجب على كل قادر السعي إليها، والطواف بالبيت الذي فيها غيرها، وليس على وجه الأرض موضع يشرع تقبيله واستلامه، وتحط الخطايا والأوزار فيه غير الحجر الأسود، والركن اليماني" [5]، وشرع الله لنا اتخاذ مقام ابراهيم مصلى لمن طاف بالكعبة، وأثاب الله على هذه العبادات الثواب الجزيل، مما يضيق ذكره في هذا المقام، فبيان هذه العبادات المتعلقة بالكعبة وثوابها هو ماسيتضمنه هذا المطلب بإذن الله تعالى[6].

---

(١) سورة الذاريات:٦٥.

(٢)سورة النحل:٣٦.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى ٢٣٥/٤ ، ٥١/١٠، ١٥٠.

(٤) مجموع الفتاوى ٥٢٠/٤.

(٥) زاد المعاد لابن القيم ٤٧/١.

(٦) انظر: صحيح البخاري رقم (٤٣٤) ١٧١/١، (٣٦٢) ١٤٤/١، (٣٨٢) ١٥٣/١، (٣٨٤) ١٥٣/٤، (٣٨٧) ١٥٤/١، (٣٨٨) ١٥٤/١، (٣٨٩) ١٥٥/١،(٣٩٠)، ١٥٥/١، (٣٩١) ١٥٦/١، (٣٩٣) ١٥٦/١، (١٤٤٣) ٥٥٢/٢، (١٤٤٥) ٥٥٢/٢، (١٤٤٧) ٥٥٣/٢، (١٤٤٨) ٥٥٣/٣، (١٤٤٩) ٥٥٣/٣، مجموع الفتاوى ٥٢١/٤، ٢١٠/٦، ٢١١، ٤٢-٤٦، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٧٨-١٠،٣٨٠/ ١٤٩-١٥٦، ٢٣٠،٢٣١، ٢٣٤، ٢٣٧-٢٣٩، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٨-٢٦٤، ٦٥٠-٦٥٢، ١٠/١٥-٢٠، ١٦٢، ١٦٣، ٢١٧، ٣٨١، ٣٨٢، ٤١٤، ١٧/١٦،٥٣٨/ ٢٠٢،٢٠١، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٨١-٤٨٥، ١٨/ ٢٤٦، ٢٤٨-٢٥٣، ٣١٨، ٣١٩، ٥٥/٢٦، ١١٩-١٢٨، ١٤٥، ٢٤٩-٢٥٢، ٢٦٠-٢٦٦، ١٣٠/٢٧، ١٣٥، ٢٥٥-٢٥٦، ٣٢٦، ٣٦٨، ٣٦٩، ٤٠٢، ٤٠٣ ، ٤٢٤، ٤٤٩، مدارج السالكين١/ ٦٦-٧٧.

المطلب الثالث: نواقض توحيد الالوهية

أولاً: مظاهر الشرك الأكبر في جوف الكعبة وحولها

أ. عمرو بن لحي أول من نصب الأصنام، وأظهر الشرك عند الكعبة

إن أول شرك العرب إنما حصل عند الكعبة بيت الله الحرام الذي يُعظَّم ويُحجُّ إليه، فعمرو بن لحي هو أول من غيَّر دين ابراهيم – عليه الصلاة و السلام –، وكان قد أتى الشام ورآهم بالبلقاء لهم أصنام يستجلبون بها المنافع، ويدفعون بها المضار، فجلب الأصنام ونصبها حول الكعبة وجعل كبيرها وهو هبل في جوف الكعبة تعظيماً لها وتكريماً، ودعا الناس إلى تعظيمها والتقرب إليها والتوسل بها إلى الله تعالى.

وعمرو بن لحي كان عظيم أهل مكة يومئذ؛ لأن خزاعة كانوا ولاة البيت قبل قريش وكان سائر العرب متشبهين بأهل مكة؛ لأن فيها بيت الله وإليها الحج، وما زالوا معظَّمين من زمن إبراهيم عليه السلام، فكان ما فعله أصل الشرك في العرب وأصل تحريم الحلال(١).

قال أبو هريرة: قال النبي ﷺ :" رأيت عمرو بن عامر بن لحي الخزاعي، يجر قصبه في النار، وكان أول من سيب السوائب"(٢).

وعظَّمت قريش صنم هبل خاصَّة، وهو الذي ارتجز به أبو سفيان ﷺ يوم أحد،" قائلاً: اعل هبل اعل هبل، قال النبي ﷺ : ألا تجيبونه. قالوا يا رسول الله ما نقول ؟ قال: قولوا الله أعلى وأجل. قال: إن لنا العزى ولا عزى لكم فقال النبي ﷺ : ألا تجيبونه. قالوا يا رسول الله ما نقول ؟ قال : قولوا الله مولانا ولا مولى لكم " (٣).

وكان لهم إساف ونائلة، وهما رجل وامرأة فسقا في جوف الكعبة، فمسخا حجرين، قالت عائشة – رضي الله عنها – : "مازلنا نسمع أن إسافاً ونائلة كانا رجلاً وامرأة من جرهم، أحدثا في الكعبة، فمسخهما الله تعالى حجرين " (٤). ونصب أهل مكة إساف على الصفا، ونائلة على المروة للعظة والاعتبار. ولماجلب عمرو بن لحي الأصنام وأمر بعبادتها، عبد الناس إسافاً ونائلة، وقيل إنهما نقلا فبقي أحدهما بجوار الكعبة، والآخر عند زمزم، وكانوا ينحرون ويذبحون عندهما. ولكن روايات أخرى تؤكد أنهما كانا في الصفا والمروة، وقد كان السعي بينهما في الجاهلية، ويدل ذلك على أنهم تركوا الصنمين

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم ١٠٣، سيرة ابن هشام ١٢٠-١٢٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب ، باب قصة خزاعة ، رقم (٣٣٣٣) ٣/ ١٢٩٧.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة أحد، رقم (٣٨١٧)٤/١٤٨٦.

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ١٢٦، ١٢٧.

في جوف الكعبة فترة، ثم أخرجوهما منها ليتعظ الناس بهما، وعندما ظهر الشرك في مكة عبدهما الناس مع الأصنام الأخرى ونقلاهما إلى المسعى، وقد عبدتهما خزاعة وقريش ومن حج البيت بعد من العرب[1].

ب. الشرك بالله في التلبية أثناء الطواف بالبيت

قال شيخ الإسلام- رحمه الله -:" والمشركون من أجناس الأمم يحجون إلى آلهتهم، كما كانت العرب تحج إلى اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، وهم مع ذلك يحجون إلى البيت ويطوفون به ويقفون بعرفات، ولهذا كانوا تارة يعبدون الله، وتارة يعبدون غيره، وكانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك لاشريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وماملك"[2].

ولما كان رسول الله ﷺ يسمع المشركين يلبون، ويجعلون مع الله شركاء، كان ينهاهم عن ذلك، فيما رواه مسلم عن ابن عباس – رضي الله عنهما –:" كان المشركون يقولون لبيك لاشريك لك – قال- فيقول رسول الله ﷺ : ويلكم قد قد[3]. فيقولون: إلا شريكاً هو لك تملكه وماملك . يقولون هذا وهم يطوفون" [4].

واستتبع الانحراف في العقيدة انحراف في العبادة والشعائر والشرائع، وجرى الطواف حول الكعبة عراة أحياناً، حيث فرضت قريش على العرب أن يطرحوا ثياب الحل إذا دخلوا الحرم ويستبدلوها بثياب الحرم، إما شراء وإما عارية وإما هبة، فإن وجدوا ذلك وإلا طافوا عراة، وفرضوا على نساء العرب مثل ذلك، وهكذا ابتدعوا وشرعوا ما لم يأذن به الله، ومما زادوه في العبادة المكاء والتصدية عند البيت الحرام وهما الصفير والتصفيق[5].

ثانياً: تطهير النبي ﷺ الكعبة من مظاهر الشرك الأكبر

ولما فتح النبي ﷺ مكة أمر بتحطيم الأصنام وتطهير بيت الله الحرام منها، وشارك في ذلك وهو يقرأ :﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [6]، وكانت ستين وثلاثمائة من الأنصاب، ولم يدخل النبي ﷺ الكعبة حتى مُحي وأُلقي ماكان فيها من الصور و التماثيل، ثم دخلها فصلى فيها ركعتين وكبَّر في نواحيها.

ثم بعث ﷺ أبا بكر أميراً على الحاج وأمره ن ينادى أن لايحج بعد العام مشرك، ولايطوف بالبيت عريان[7].

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام ١/ ١٢٦، أخبار مكة للأزرقي ١٩٣، ١٩٤، شفاء الغرام للفاسي ٤٧٦، ٤٧٧، قريش قبل الإسلام ٢٨٠.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٧/٣٥٤.

(٣) قدْ بمعنى حَسْب، وتكرارها هنا لتأكيد الأمر، أي حسبكم لا تزيدوا على هذا. انظر: لسان العرب ٣/ ٣٤٣، مختار الصحاح ٥٦٠.

(٤) كتاب الحج، باب التلبية وصفتها ووقتها، رقم (٢٨٧٢)،٤/٨.

(٥) انظر: السيرة النبوية الصحيحة ٨٤، ٨٥.

(٦) سورة الإسراء:٨١.

(٧) انظر:صحيح البخاري رقم (٣٦١١) ٣/١٣٩٠، (٤٠٩٧) ٤/١٥٨٢، (٤٠٩٩) ٤/١٥٨٣، (٤٥٧٨) ٤/١٨٤١، (٤٥٧٩)

وأهلّ رسول الله ﷺ بالتوحيد في التلبية، وقال:" لبيك اللهم لبيك، لبيك لاشريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك"(١).

ثالثاً: اتخاذ مشركي العرب الأنداد المعظَّمة والبيوت المحجوجة مضاهاة للكعبة

وقد ضاهت قبائل العرب بيت الله الحرام باتخاذهم البيوت المعظمة لأصنامهم " بيوت الأصنام" ، يعظمونها كتعظيم الكعبة، يحجُّون إليها، ويطوفون حولها، وينحرون عندها، ويُهدون لها، ولها سدنة تقوم بخدمتها، وهي تعرف فضل الكعبة عليها؛ لأنها كانت قد عرفت أنها بيت الله، وبناء إبراهيم الخليل(٢).

قال تعالى:﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ ﴾(٣).

قال ابن كثير – رحمه الله – في تفسير هذه الآيات :

" يقول تعالى مُقَرِّعا للمشركين في عبادتهم الأصنام والأنداد والأوثان، واتخاذهم لها البيوت مضاهاة للكعبة التي بناها خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام... "(٤).

فعظمت قبيلة ثقيف صنم " اللآت"، وكان لها بيتاً مشيداً في الطائف تسير العرب إليه ويضاهي به أهل الطائف الكعبة، وكانوا يسمونه "بيت الربة" واتخذوا له الحجبة والكسوة وحرموا وادية أيضاً، ويدعونه "حَرَم الربة " لايُقطع شجره

٤/١٨٤١، (٤٥٨٠) ٤/١٨٤١، (١٦٩٨) ٢/٦٣٥،(٤٢٢٥) ٤/١٦٣٥. صحيح مسلم رقم (١٦٤٧) ٣/١٢٦٧، (٢٤٧٦) ٤/١٩٢٥، (٢٤٧٦) ٤/١٩٢٥.مجموع الفتاوى ١٧/٤٥٥،٤٥٤، ٢٧/٣٥٣-٣٦٤، ٢٥٥-٢٥٦، الاستقامة ٢/١٧١-١٧٦، اقتضاء الصراط المستقيم ١٠٢، ١٠٣، إغاثة اللهفان ٢/٢٠٠-٢١٧، سيرة ابن هشام ١/٦٧-٨٩ ، البداية والنهاية ٢/ ١٩٣.

(١) صحيح مسلم ، كتاب الحج، باب التلبية وصفتها ووقتها، رقم (٢٨٦٨)،٤/٧. مجموع الفتاوى٣/٩٦.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام ١/١٢٧، البداية والنهاية ٥/٣٣ .

(٣) سورة النجم : ١٩-٢٣.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم ٧/٤٥٥.

ولا يقتل حيوانه ومن دخله فهو آمن[1]، وأرسل الرسول ﷺ أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهما لهدمها[2].

وعظَّمت غطفان صنم "العزى" وهي شجرة بنخلة عندها وثن، وبنت له بيتاً، وجعلوا له السدنة،كما عظمتها قريش أيضاً، وكانوا يزورونها ويهدون لها ويتقربون عندها بالذبح، وحموا لها شعباً من وادي حراض يقال له: سُقام، يضاهون به حرم الكعبة، فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد، فقطع الشجرة، وهدم البيت، وكسر الوثن[3].

وعظَّمت قبائل الأوس والخزرج وغسان صنماً اسمه "مناة" بين مكة والمدينة، وكانت الأوس والخزرج إذا قضت حجها لاتحلق رأسها حتى تطوف بمناة وتذبح عندها، وذكرت عائشة – رضي الله عنها– أن الأنصار كانوا يهلّون لمناة، وكانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة فلما جاء الإسلام سألوا رسول الله ﷺ، و" قالوا: يانبي الله كنا لانطوف بين الصفا والمروة تعظيماً لمناة "[4] ، فأنزل الله :﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾[5][6].

وعظَّمت قبائل خثعم وبجيلة ذو الخلصة، وهى صخرة بيضاء منقوشة بُنى حولها بيتاً سُمى "بالكعبة اليمانية"، بين مكة واليمن، تولى سدانته بنو أمامة من باهلة، تعظمه وتهدي له خثعم وبجيلة، وبعض بطون العرب[7].

وهو الذي أرسل إليه النبي ﷺ الصحابي الجليل جرير البجلي ﷺ لهدمه، عن جرير ﷺ قال:" قال رسول الله ﷺ لي: ألا ترحني من ذي الخلصة. فقلت: بلى فانطلقت في خمسين ومائة فارس من أحمس، وكانوا أصحاب خيل، وكنت لا أثبت على الخيل، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فضرب يده على صدري حتى رأيت أثر يده في صدري وقال: اللهم ثبته واجعله هادياً مهدياً . قال فما وقعت عن فرس بعد.

قال: وكان ذو الخلصة بيتاً باليمن لخثعم وبجيلة فيه نصب تعبد يقال له "الكعبة" قال: فأتاها فحرقها بالنار وكسرها "[1].

---

(١)انظر: سيرة ابن هشام ١/٨٦، ٨٧، ١٢٩، البداية والنهاية ٢/ ١٧١.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام ٤/٢١٧، البداية والنهاية ٥/٣٣ ، لسان العرب لابن منظور ١/٣٩٩.

(٣)انظر: سيرة ابن هشام ١/ ١٢٨ /، البداية والنهاية ٤/٣٧٥ .

(٤) انظر: صحيح البخاري (٤٥٨٠)٤/١٨٤١، سيرة ابن هشام ١/ ١٢٩.

(٥) سورة البقرة: ١٥٨.

(٦) انظر: صحيح البخاري كتاب التفسير، باب قوله: " إن الصفا والمروة من شعائر الله..." رقم (٤٢٢٥)٤/١٦٣٥.

(٧) سيرة ابن هشام ١/ ١٢٩، ١٣٠، البداية والنهاية ٥/٧٩ .

وكان لحمير وأهل اليمن بيت بصنعاء يقال له " رئام "[٢]، و لبني ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم بيت "رضاء"[٣]، ولبني الحارث بن كعب " كعبة " بنجران يعظِّمونها، وهي التي ذكرها الأعشى في قوله:

وكعبة نجران حَتْمٌ عليك حتّى تُناخي بأبوابها

قال ياقوت الحموي:" بناها بنو عبد المدان بن الديان الحارثي على بناء الكعبة، وعظموها مضاهاة للكعبة، وسموها كعبة نجران، وذكر هشام بن الكلبي أنها كانت قبة من أدم من ثلاثمائة جلد، كان إذا جاءها الخائف أمن، أو طالبُ حاجة، قُضيت، أو مسترفداً أُرفد، وكان لعظمها عندهم يسمونها كعبة نجران " [٤].

وعظَّمت بكر وتغلب ابني وائل وإياد " بيت ذي الكعبات" بسنداد، وكانت تحج إليه العرب، وله يقول أعشى بني قيس بن ثعلبة:

بين الخورنق والسدير وبارق والبيت ذي الكعبات من سنداذِ [٥]

رابعاً: أمر النبي ﷺ بهدم الأنداد المعظمة والبيوت المحجوجة المضاهية للكعبة

حيث جهز رسول الله ﷺ إلى كل بيت من بيوت الشرك سرايا تخربها، وإلى تلك الأصنام من كسرها، حتى لم يبق للكعبة ما يضاهيها وعُبِدَالله وحده لا شريك له [٦].

وسيأتي بإذن الله بيان فعل النبي ﷺ ، ومن أرسل من الصحابة – رضوان الله عليهم – لهدم هذه البيوت.

---

(١) صحيح البخاري (٤٠٩٩)٤/١٥٨٣. صحيح مسلم (٢٤٧٦)٤/١٩٢٥.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام ١/ ١٣٠.

(٣) انظر: المصدر نفسه ١/١٣٠، ١٣١.

(٤) انظر: معجم البلدان ٥/ ٢٦٨.

(٥) انظر: سيرة ابن هشام ١/١٣١، البداية والنهاية ٢/١٩٢، ١٩٣.

(٦) انظر: البداية والنهاية ٢/ ١٩٣.

المطلب الرابع: الافعال المنافية لكمال توحيد الألوهية

أولاً: التصوير

جاء الإسلام بالعقيدة الصافية النقية، ومنع كل قول أو فعل فيه تنقص للرب أو مضاهاة لأفعاله، وسدَّ كل ذريعة وطريقة توصل إلى الشرك، ومن هذه الطرق: التصوير، لذلك حذر منه الرسول ﷺ ، وتوعد فاعله بأشد الوعيد، حيث قال: "إن أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة المصورون "(١)، وأمر بطمس الصور وتغييرها.

وقد اتخذ مشركي العرب الكعبة بيتاً للصور والتماثيل تعظيماً لها، فصوروا نبيي الله ابراهيم وإسماعيل – عليهما السلام- وفي أيديهما الأزلام، وفي رواية أن صورة مريم كانت داخل الكعبة أيضاً.

عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال:" دخل النبي ﷺ البيت فوجد فيه صورة إبراهيم وصورة مريم "(٢).
وأمر النبي ﷺ في فتح مكة بمحو ماكان على جدران الكعبة من الصور وإخراج ماكان فيها من التماثيل، فلطخ بالزعفران صور ابراهيم وإسماعيل، ولم يدخل النبي ﷺ الكعبة إلا بعد أن محيت هذه الصور منها، وقال: أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة.

جاء في الصحيح عن ابن عباس – رضي الله عنهما- :" أن رسول الله ﷺ لما قدم مكة أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة، فأمر بها فأخرجت، فأخرج صورة إبراهيم وإسماعيل في أيديهما من الأزلام، فقال النبي ﷺ :(قاتلهم الله لقد علموا ما استقسما بها قط)"(٣).
وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال:" دخل النبي ﷺ البيت فوجد فيه صورة إبراهيم وصورة مريم، فقال: (أما لهم فقد سمعوا أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة، هذا إبراهيم مصور فما له يستسقم)"(٤).

ثانياً: التطير " الاستقسام بالأزلام ".

وأخبر الرسول ﷺ عن ابراهيم واسماعيل- عليهما السلام- أنهما لم يستقسما بالأزلام قط(٥)، وإنما كانا يفوضان أمرهما إلى الله الذى لا يخفى عليه علم ما كان وما هو كائن، عن ابن عباس – رضي الله عنهما –:" أن رسول الله ﷺ لما قدم

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب اللباس، باب عذاب المصورين يوم القيامة، رقم (٥٦٠٦)، ٥/٢٢٢٠ .
(٢) صحيح البخاري ، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى:" واتخذ الله إبراهيم خليلا"، رقم (٣١٧)، ٣/١٢٢٣.
(٣) صحيح البخاري ، كتاب المغازي، باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح، رقم (٤٠٣٧)، ٤/١٥٦١.
(٤) صحيح البخاري ، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى:" واتخذ الله إبراهيم خليلا" ، رقم (٣١٧)، ٣/١٢٢٣.
(٥) وهي قداح يستقسمون بها الأمور، أي يطلبون بها علم ماقسم لهم، أحدهما مكتوب عليه : أمرني ربي والآخر : نهاني ربي، فأذا أرادوا

مكة أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة، فأمر بها فأخرجت، فأخرج صورة إبراهيم وإسماعيل في أيديهما من الأزلام، فقال النبي ﷺ :(قاتلهم الله لقد علموا ما استقسما بها قط)"[1].

كما أبطل الله ذلك من فعلهم وأخبر أنه فسق، وإنما جعله فسقًا؛ لأنهم كانوا يستقسمون عند آلهتهم التى يعبدونها، ويقولون: يا إلهنا، أخرج الحق فى ذلك، ثم يعلمون بما خرج فيه، فكان ذلك كفرًا بالله، لإضافتهم ما يكون من ذلك من صواب أو خطأ إلى أنه من قسم آلهتهم، قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٩٠﴾[2]، والمشركون قد ابتلوا بالأنصاب والأزلام، فالأنصاب للشرك والعبادة، والأزلام للتكهن، وطلب علم ما استأثر لله به، هذه للعلم وتلك للعمل، ودين الله سبحانه وتعالى مضاد لهذا وهذا، والذي جاء به الرسول ﷺ إبطالهما، وكسر الأنصاب والأزلام[3].

وتم تطهير البيت العتيق من مظاهر الوثنية وأوضار الجاهلية ليعود كم أراد له الله تعالى، وكما قصد ببنائه ابراهيم واسماعيل- عليهما السلام- مكاناً لعبادة الله وتوحيده[4].

ثانياً:التبرك

معتقد أهل السنة والجماعة أن البركة من الله تعالى، فلاتطلب إلامنه، وطلبها من غيره شرك.

ولكنه تعالى جعل بركة في بعض الأعيان والأزمان، فهي سبب للبركة، ولاتعرف إلابالشرع، وعلى الصفة الشروعة سداً لذرائع الشرك.

أمراً ضربوا بها ، فإن خرج الذي عليه أمرني فعلوا، وإن خرج الذي عليه نهاني تركوا. انظر: إغاثة اللهفان ١/٢٢٦.

(١) صحيح البخاري ،كتاب المغازي، باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح، رقم (٤٠٣٧)، ٤/١٥٦١.

(٢) سورة المائدة:٩٠.

(٣) انظر: إغاثة اللهفان ١/ ٢٠٩.

(٤) انظر:صحيح البخاري رقم (٤٠٣٧، ١٥٢٤، ٣١٧٣) مجموع الفتاوى ٤/١٢٦-١٢٧ ، ١٧/٤٧٢- ٤٧٣، ٢٧/١٤، إغاثة اللهفان ١/٢٠١-٢٠٣، ٢٢٦، فتح الباري لابن حجر ٨/١٧، شرح صحيح البخاري لابن بطال ٤/٢٨٢- ٢٨٤.

أ. بركة الكعبة:

الكعبة هي أفضل بقاع الأرض وهي بناء الأنبياء، وفضلها وبركتها جاءت في الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾[(١)].

وبيّن العلماء المقصود ببركة الكعبة، وأسباب وجودها، ومايكون من فعل العبادات مماورد في الشرع مايدل على فضلها فيها، كالتعبد لله بالطواف بها، واستلام وتقبيل الحجر الأسود، واستلام الركن اليماني حال الطواف، والصلاة داخلها أو في الحِجْر، والصلاة خلف مقام ابراهيم على الصفة التي جاء بها النبي ﷺ[(٢)].

ب. التبرك الممنوع

فهو مالم يرد في الشرع مايدل على تخصيصه كمن يتبرك بجدران الكعبة وأستارها بتقبيلها أو استلامها، أو يستلم ويقبل الركنين الشاميين، أو مقام ابراهيم أو الحِجر، وغير ذلك، ففي هذا مخالفة لسنة النبي ﷺ وابتداع في الدين، قال شيخ الاسلام: " ولما حج النبي ﷺ استلم الركنين اليمانيين، ولم يستلم الشاميين؛ لأنهما لم يبنيا على قواعد ابراهيم، فإن أكثر الحِجر من البيت، والحَجر الأسود استلمه وقبله، واليماني استلمه ولم يقبله، وصلى بمقام ابراهيم ولم يستلمه، ولم يقبله، فدل ذلك على أن التمسح بحيطان الكعبة غير الركنين اليمانيين وتقبيل شيء منها غير الحجر الأسود ليس بسنة، ودل على أن استلام مقام ابراهيم وتقبيله ليس بسنة " [(٣)].

ثالثاً: رفع القبور وتجصيصها، وإسراجها، وبناء الغرف فوقها، وبناء المساجد عليها، وعبادة الله عندها مضاهاة لبيت الخالق ببيت المخلوق

نهى النبي ﷺ عن رفع القبور والبناء عليها على نحو ماكانت الجاهلية تفعله تفخيماً وتعظيماً، واتخاذ المساجد عليها، ومايكون في ذلك من مضاهاة لبيت الله وتعظيماً لما لم يعظمه الله، لأن أصل الشرك وعبادة الاوثان كانت من تعظيم القبور، ونهى ﷺ عن الصلاة إلى القبور وجعلها في قبلة المصلي والصلاة والدعاء والذكر عندها مطلقاً، عن أبي مرثد

---

(١) سورة آل عمران: ٩٦-٩٧.

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ٦/٢٢ . الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤/ ١٣٩ ، مجموع الفتاوى ٢٦/ ١١٥، ٢٥٥، ٢٥٦.

(٣) مجموع الفتاوى ١٧/٤٧٦.

الغنوي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها "[1]، حتى وإن لم يقصد المصلي بركة البقعة بصلاته، كما يقصد بصلاته بركة الصلاة عند البيت الحرام، حسماً لمفسدة الشرك وقصدها للعبادة تبركاً بها وإعظاماً لها، ونهي النبي ﷺ عن اتخاذ قبره عيداً، قال ﷺ: " لا تتخذوا قبري عيداً "[2]، والعيد المكاني: هو المكان الذي يقصد الاجتماع عنده، واعتياد قصده، وانتيابه بالعبادة، كما جعل الله البيت الحرام عيداً للحنفاء ومثابة، وجعل أيام التعبد فيه عيداً؛ وذلك سداً لذرائع الشرك؛كما صار يفعله عباد القبور من الاجتماع عندها ينسكون لها المناسك، ويطوفون حولها ويستلمونها ويقبلونها، ويعكفون عليها، ويجاورون عندها، ويعلقون الستور عليها، ويرون سدانتها أفضل من خدمة بيت الله، يضاهون بيت المخلوق ببيت الخالق، وبيان أقوال العلماء في حال المسلِّم على النبي ﷺ ، أيستقبل القبلة أم القبر ؟ وحكم شدِّ الرحال لزيارة القبور، مما هو من اختصاص بيت الله الحرام [3].

المطلب الخامس: الألفاظ المنافية لكمال التوحيد

أولاً: الحلف بغير الله

من قواعد العقيدة الإسلامية سد كل باب يوصل إلى الشرك، ومن هنا جاء المنع والنهي عن كل قول فعل أو قول يوقع في الشرك الأكبر أو الأصغر، حتى ولو لم يقصد به صاحبه ذلك.

ومن هذا الباب النهي عن الحلف بغير الله؛ لأن في ذلك تعظيماً للمخلوق ورفعاً له فوق منزلته، والعظمة في الحقيقة إنما هي لله وحده فلا يحلف إلا بالله وذاته وصفاته[4].

ولما كانت الكعبة مما يعظَّم فقد جرت بعض الألسن بالحلف بها، رُوي أن ابن عمر سمع رجلاً يقول: لا والكعبة، فقال ابن عمر: لا يحلف بغير الله، فإني سمعت الرسول ﷺ يقول : " من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك " [5].

---

(١) صحيح مسلم، كتب الجنائز، باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه، رقم (٩٧٢) ٢/ ٦٦٨.

(٢) مسند أحمد، رقم (٨٧٩٠) ٢/ ٣٦٧ واللفظ له، سنن أبي داود، كتاب المناسك، باب زيارة القبور، رقم (٢٠٤٤) ٢/ ١٦٩.

(٣) انظر:صحيح البخاري (٤٢٥، ٣٢٦٧، ٤١٧٩، ٥٤٧٨،)، صحيح مسلم (٢٢، ٢٣، ٩٢، ٩٣، ٩٧، ٩٨) مسند أحمد (١٠٦٤، ١٢٣٩، ٧٤١، ٧٨٢١) مجموع الفتاوى ٣/٢٧٤، ٤/٥١٦-٥٢٦، ١٥/ ٤٩-٥٠، ١٥٢-١٥٥، ١٧/٤٥٤-٤٧١، ٤٧٦-٤٨٣، ٢٦/٢٥٠، ٣٦٠، ٢٧/ ٥-٩، ١٥-١٦، ٢٠-٢٤، ٧٧-٨٠، ١٠٧- ١١٠، ١١٢- ١٣٠، ١٩٤-١٩٩، ٢٨٤- ٢٨٨، ٣٤٤- ٤٢٨. اقتضاء الصراط المستقيم ٢٧١، ٢٦٣-٢٩٤، ٣٠٩-٣٣٩، ٣٥٧-٣٦٤، الاستغاثة في الرد على البكري ٤٢٦ - ٤٣٩، ٤٧١-٤٧٤، إغاثة اللهفان ١/٢٠١- ٢٢٥، ١/ ٢٣٣- ٢٣٨، الصارم المنكي ٥٥-٧٥، ١٠٩-١١٣، ١٤٢- ١٥٣، ٢١٤- ٢١٦، فتح الباري لابن رجب ٢/٤٤٠-٤٤٣، ٣٩٧- ٤٠٥.

(٤) انظر: نيل الأوطار للشوكاني ٩/١١٤.

(٥) رواه الترمذي في سننه، كتاب النذور والأيمان، باب كراهية الحلف بغير الله، رقم (١٥٣٥) ٤/١١٠، وحسنه، والحاكم في المستدرك وإسناده صحيح، رجاله رجال مسلم. وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (٢٠٤٢)، ٥/٦٩.

وسأبين بإذن الله في هذا المبحث حكم الحلف بالكعبة، وأنه اذا اعتقد الحالف فيها تعظيماً كتعظيم الله فهذا شرك أكبر مخرج من الملة؛ لأنه جعل لله عز وجل شريكاً في التعظيم الذي لايليق إلا به سبحانه وتعالى[1].

و بيان الحكم إذا اعتقد الحالف فيها تعظيماً لايصل إلى تعظيم الله، بل لتعظيم الشرع إياها، وأشرك في لفظ القسم لاغير[2].

ثانياً: التوسل

لما كان التوسل جزءاً من الدعاء، والدعاء عبادة من العبادات، كما ثبت في الحديث" الدعاء هو العبادة" [3]، وقد وردت النصوص الصحيحة الصريحة بتحريم إحداث عبادة لم ترد في النصوص الشرعية، فكل توسل لم يرد فيه نص يدل على مشروعيته فهو توسل بدعي محرم.

ولما كانت الكعبة من المخلوقات المعظمة المحترمة، فقد اعتقد بعض الناس أن التوسل بذاتها أو بحقها إلى الله تعالى هو مما يكون سبباً في حصول المطلوب وإجابة الدعاء، والتوسلات المتعلقة بالكعبة هي:

التوسل إلى الله بذات الكعبة

وصفته أن يقول المسلم: " اللهم إني أسألك بالكعبة أن ترحمني".

التوسل إلى الله تعالى بحق الكعبة

وصفته أن يقول المسلم في دعائه :" اللهم إني أسألك بحق الكعبة البيت الحرام عليك، أن تغفر لي..."

الإقسام على الله تعالى بذات الكعبة

وصفته أن يقول المسلم في دعائه:" اللهم إني أقسم عليك بالكعبة البيت الحرام. أن تقضي حاجتي "

الإقسام على الله تعالى بحق الكعبة

وصفته أن يقول المسلم في دعائه:" اللهم إني أقسم عليك بحق الكعبة البيت الحرام. أن تقضي حاجتي "[1]

---

(١) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال ٩٦/٦،

(٢) انظر:مجموع الفتاوى ٢٠٣/١، ٢٠٤، ٣٣٥، ٣٣٦، اقتضاء الصراط المستقيم ٣٤٢-٣٤٤، شرح العقيدة الطحاوية ٢٩٤-٣٠٠.

(٣) رواه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ باب ماجاء في فضل الدعاء، رقم (٣٣٧٢) ٤٥٦/٥، مسند أحمد رقم (١٨٣٧٨) ٢٦٧/٤، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته برقم (٣٤٠٧)، ٦٤١/١.

ثالثاً: التسمي بما لايجوز

ومما ينافي كمال التوحيد إطلاق الألفاظ الشركية كالتعبيد لغير الله تعالى، والتسمي بعبدالكعبة.

قال شيخ الإسلام- رحمه الله -:" كما كان المشركون يعبِّدون أنفسهم وأولادهم لغير الله؛ فيسمون بعضهم عبدالكعبة، كما كان اسم عبدالرحمن بن عوف... وشريعة الإسلام الذي هو الدين الخالص لله وحده: تعبيد الخلق لربهم كما سنه رسول الله ﷺ، وتغيير الأسماء الشركية إلى الأسماء الإسلامية، والأسماء الكفرية الى الأسماء الإيمانية" (٢).

المطلب السادس: مخاطبة الكفار بفروع الشريعة في قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ (٣)، وهذه الآية من الآيات التي استدل بها العلماء على أن الكافر مطالب بفروع الإسلام" حج البيت الحرام "، وأنه داخل في هذا الأمر لكونه من الناس، لكن مع تحصيل شرط التكليف المتمثل في الإيمان الذي هو أصل تلك الفروع، ولاتنفعه تلك الفروع بدونه، حيث سأتعرض بالبحث لهذه المسألة (٤).

المبحث الثالث: مسائل توحيد الأسماء والصفات

ورد ذكر الكعبة في آيات القرآن الكريم متضمنة أو مختومة بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى؛ لذا خصصتُ هذه الآيات بمبحثين الأول لأسماء الله الحسنى في الآيات التي ورد فيها ذكر الكعبة، والثاني لصفات الله العلى في الآيات التي ورد فيها ذكر الكعبة- والتي تم حصرها-، وهي على النحو التالي:

المطلب الأول : أسماء الله تعالى الحسنى الواردة في الآيات المتعلقة بالكعبة

الأول: اسما الله والرب في قوله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾(٥).

---

(١) انظر:مجموع الفتاوى ١/ ٢٢-٢٠٤، ٢١١-٢١٤،٢٢٢-٢٢٤، ٢٨٦-٢٩١،٢٩٥، ٢٩٦، ٣٣٦-٣٤٢، اقتضاء الصراط المستقيم ٣٤٢-٣٤٤، إغاثة اللهفان ٢٣٦/١،٢٣٥، شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٢٩٤-٣٠٠.

(٢) مجموع الفتاوى ١/ ٣٧٨، ٣٧٩.انظر: تحفة المودود لابن القيم ١١٣.

(٣) سورة آل عمران :٩٧.

(٤) انظر:تخريج الفروع على الأصول للزنجاني ٩٨-١٠١،الإحكام للآمدي ٩١/١-٩٤، روضة الناظر لابن قدامة ٥٠.

(٥) سورة البقرة :١٤٤.

و في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ ﴾[1]، والمقصود بالمسجد الحرام في هذين الموضعين" الكعبة".

الثاني : اسما التواب والرحيم لله تعالى كما جاء في دعاء نبيي الله ابراهيم واسمعيل عند بناء الكعبة، قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ ﴾[2].

الثالث: اسما السميع والعليم لله تعالى، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِۦمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾[3]

وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾[4].

وفي قوله تعالى: ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ﴾[5].

الرابع: اسم شديد العقاب[6] في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ وَلَا

(١) سورة البقرة :١٤٩.

(٢) سورة البقرة :١٢٨.

(٣) سورة البقرة :١٢٧-١٢٩.

(٤)سورة البقرة :١٥٨.

(٥) سورة المائدة :٩٧.

(٦) وهو من الأسماء المضافة، وعدّها شيخ الإسلام – رحمه الله – من ضمن الأسماء الحسنى:" وكذلك أسماؤه المضافة مثل:أرحم الراحمين، وخير الغافرين، ورب العالمين، ومالك يوم الدين، وأحسن الخالقين...وغير ذلك مماثبت في الكتاب والسنة، وثبت في الدعاء بها بإجماع المسلمين" مجموع الفتاوى٢٢/٤٨٥.

﴿ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾[1].

الخامس: اسما الرؤوف والرحيم لله تعالى في قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾[2].

السادس: اسم الشاكر لله تعالى في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾[3].

السابع : اسما العزيز والحكيم لله تعالى، كما جاء في دعاء نبيي الله ابراهيم واسمعيل عند بناء الكعبة، قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾[4].

الثامن: اسما العزيز وذو الانتقام[5] في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَـٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّـٰرَةٌ طَعَامُ مَسَـٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ ﴾[6].

---

(١) سورة المائدة :٢.

(٢) سورة البقرة :١٤٣.

(٣)سورة البقرة :١٥٨.

(٤) سورة البقرة :١٢٩.

(٥) وهو من الأسماء المضافة، وعدها شيخ الإسلام – رحمه الله – من ضمن الأسماء الحسنى. انظر: مجموع الفتاوى٢٢/٤٨٥.

(٦) سورة المائدة :٩٥.

التاسع: اسم الغني لله تعالى في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾[1].

المطلب الثاني: صفات الله تعالى الواردة في الآيات المتعلقة بالكعبة

أولاً: صفة العلم لله تعالى في قوله تعالى: ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَائِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَاوَاتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ﴾[2].

وفي دعاء نبي الله ابراهيم بعد إسكانه لابنه إسماعيل وزوجه هاجر عند البيت الحرام، قال تعالى:﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ﴾[3].

وفي قوله تعالى:﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾[4].

ثانياً: صفة العفو لله تعالى في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ ﴾[5][6].

---

(١)سورة آل عمران :٩٦-٩٧.

(٢) سورة المائدة :٩٧.

(٣) سورة ابراهيم :٣٨.

(٤) سورة البقرة :١٤٣.

(٥) سورة المائدة :٩٥.

(٦) انظر: التوحيد لابن منده ٢/٢١-٥١،٤٣ ، ٥٢، ٧١_٧٣، ٩٥-٩٨، ١٥١-١٥٣، ١٥٨، الحجة في بيان المحجة للأصبهاني ١٢٥-٢١٩، أحكام القرآن لابن العربي ٢/٨٠٨-٨١٥، الأسماء والصفات للبيهقي ١/ ٩٦-٩٧، ١٠٢، ١١١، ١١٢، ١١٩-١٢٤، ١٩٤-١٩٧، ١٥٠، ١٩٧، ٢١٥، ٢٩٣-٣١٣، ٣٢٨، مدارج السالكين ١/٣٢-٣٧، الكافية الشافية لابن

وإذا تأملت ختم هذه الآيات بأسماء الله وصفاته وجدت كلامه مختتماً بذكر الصفة التي يقتضيها ذلك المقام، حتى كأنها ذكرت دليلاً عليه وموجبة له[1].

ثالثاً: المراد بيمين الله تعالى في قول ابن عباس – رضي الله عنهما – : " الحجر الأسود يمين الله في الأرض فمن صافحه وقبّله فكأنما صافح الله تعالى وقبّل يمينه"[2]، حيث حكى الغزالي عن بعض الحنابلة أنه من الأحاديث التي تأوّلها الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ في باب الصفات[3]، وسأذكر ردَّ شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ عليه، ووجه كون الحجر الأسود ليس من صفات الله عزوجل[4].

رابعاً: الفرق بين اضافة البيت الى الله في قوله تعالى: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾[5]، وإضافة صفاته تعالى إليه

فإن المضاف إلى الله سبحانه وتعالى نوعان: إضافة عين قائمة بنفسها، وإضافة صفة إلى موصوفها، وفرّق العلماء بين إضافة المخلوقات الى الله، وهي الأعيان القائمة بأنفسها، كإضافة البيت في قوله تعالى : ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ [6]، وإضافتها إليه تتضمن كونها مخلوقة مملوكة، لكن أضيفت لنوع من الاختصاص المقتضي للإضافة لا لكونها صفة من صفاته تعالى، فإضافتها إليه لاتكون إلا تشريفاً، فلو لم يكن في البيت من الآيات البينات مايمتاز به عن جميع البيوت لما استحق هذه الإضافة، وأما إن كان المضاف إليه لايقوم بنفسه؛ بل لايكون إلا صفة كالعلم والقدرة والكلام والرضا والغضب فهذا لايكون إلا إضافة صفة إليه فتكون قائمة به سبحانه [7].وهذا ماسيأتي بيانه بإذن الله.

القيم الأبيات رقم (٣٢٤١ –٣٢٥٠، ٣٢٦١ – ٣٣٣٠)، ١٧٦–١٨٠، مفتاح دار السعادة لابن القيم ١/٢٩٦،٢٩٥، ٢/٢٤٩،٢٢٦– ٢٥٨، ٢٦١، ٣١٤–٣١٧، ٥١٠ ، ٥١١.

(١) انظر: شفاء العليل ٢٠٠.

(٢) قال في كشف الخفاء: رواه الطبراني في معجمه، وابو عبيد القاسم بن سلام عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً عليه...وله شواهد، فالحديث حسن، وإن كان ضعيفاً بحسب اصله" رقم (١١٠٩) ١/ ٣٩٦. انظر: مجموع الفتاوى ٦/٣٩٧، ٣٩٨.

(٣) قواعد العقائد ١٣٥.

(٤)انظر: مجموع الفتاوى ٣/ ٤٤،٣٤، ٥/٣٩٧، ٣٩٨، ٦/٣٩٧، ٣٩٨، ٥٨٠،٥٨١، ٣٣/١٨٤، لوامع الأنوار البهية للسفاريني ١/٢٣٨،٢٣٧.

(٥) سورة الحج : ٢٦.

(٦) سورة الحج : ٢٦.

(٧) انظر: مجموع الفتاوى ٦/ ١٤٥، ٣٦٩، ١٧/ ١٤٩–١٥٢، الجواب الصحيح ١٦٦–١٦٨، مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم ٣٦٤ ، الكافية الشافية لابن القيم الأبيات رقم (٧٣٧–٧٤٧) ٥٥.

خامساً: معنى وجه الله في قوله تعالى :﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ [1] فإن من العلماء ـ رحمهم الله ـ من استدل بهذه الآية علي إثبات صفة وجه الله الكريم؛ ومنهم من ذهب إلى أنها ليست من آيات الصفات، ولاتندرج في عموم قول من يقول: لاتؤول آيات الصفات؛ لأن المراد بوجه الله تعالى في الآيه: قبلة الله تعالى[2].

وسأوضح بإذن الله تفصيل قولهم ـ رحمهم الله ـ في هذه المسألة.

سادساً: إثبات كون الله قِبَل وجه المصلي ، قال رسول الله ﷺ : " إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلايبصق قِبَل وجهه، ولاعن يمينه، فإن الله قِبَل وجهه، ولكن عن يساره أو تحت قدمه" [3] . وهذه المسألة تتعلق بالكعبة من جهة أنها القبلة.

وهذا حق ظاهر، وهو سبحانه فوق العرش وهو قبل وجه المصلي؛ بل هذا الوصف يثبت للمخلوقات.

فإن الإنسان لو أنه يناجي السماء أو يناجي الشمس والقمر لكانت السماء والشمس والقمر فوقه، وكانت أيضاً قبل وجهه .وسيأتي بيان ذلك بإذن الله تعالى[4].

سابعاً : الرد على قول الرازي : " إن الله جعل العرش قبلة لدعائنا، كما جعل الكعبة قبلة لصلاتنا "، وبيان بطلان ذلك.

وهذه المسألة تتعلق بالكعبة من جهة أنها القبلة أيضاً، حيث ذكر الرازي في كتابه" أساس التقديس" هذا القول، ويذكر الأشاعرة أيضاً في كتبهم عبارة: " السماء قبلة الدعاء " رداً على من تمسك برفع الأيدي إلى السماء في إثبات كون الإله في جهة فوق، ينفون عن الله صفة العلو والاستواء على العرش، وردَّ عليهم العلماء ببطلان هذا القول في من عدة وجوه، وسأذكر بإذن الله تعالى أصل المسألة وجواب العلماء عليها[5].

---

(١) سورة البقرة: ١١٥ .

(٢)انظر: مجموع الفتاوى ٦/١٥-١٧، مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم ٣٦٤-٣٨٠.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب حك البزاق باليد من المسجد رقم (٣٩٨) ١/١٥٩، صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن البصاق في المسجد في الصلاة وغيرها، رقم (٥٤٧) ١/٣٨٨.

(٤)انظر: مجموع الفتاوى ٥/١٠٧، ١٠٨.

(٥) انظر: أساس التقديس للرازي ٩٢-٩٩، الأربعين في أصول الدين للرازي ١٥٢- ١٦٤، بيان تلبيس الجهمية ٢/٤٥٢-٤٦٤ ، شرح العقيدة الطحاوية ٢/٣٩٢-٣٩٤.

الفصل الثاني: المسائل المتعلقة بالكعبة في بقية أصول الإيمان عند أهل السنة، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: مسائل الإيمان بالملائكة

المطلب الأول: إخبار جبريل عليه السلام هاجر بموضع البيت الحرام ومن يبنيه

وجرى ذلك لما أرسل الله جبريل عليه السلام لإغاثة هاجر أم اسماعيل بمكة، ففي صحيح البخاري عن ابن عباس عن النبي ﷺ في قصة مهاجرة إبراهيم بابنه إسماعيل وأمّه هاجر إلى أرض مكة - وهي قصة طويلة - وفيها أن أمّ إسماعيل سعت سعي الإنسان المجهود بين الصفا والمروة سبع مرات تبحث عن الماء، " فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت: صه - تريد نفسها - ثم تسمعت فسمعت أيضاً، فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غواث، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه، أو قال بجناحه، ... قال لها الملك: لا تخافوا الضيعة فإن ها هنا بيت الله يبني هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله. وكان البيت مرتفعا من الأرض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله"[(١)].

وهذا الملك الذي جاءها هو جبريل عليه السلام، روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال :" فإذا هي بصوت فقالت: أغث إن كان عندك خير، فإذا جبريل قال: فقال بعقبه هكذا، وغمز عقبه على الأرض قال: فانبثق الماء فدهشت أم إسماعيل فجعلت تحفر..." [(٢)]. [(٣)]

المطلب الثاني: نزول جبريل عليه السلام بالحجر الأسود من الجنة

عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال :" نزل جبريل بالحجر الأسود من الجنة، فوضعه حيث رأيتم، وإنكم لن تزالوا بخير مابقي بين ظهرانيكم، فاستمتعوا منه ما استطعتم، فإنه يوشك أن يجيء فيرجع به من حيث جاء"[(٤)].

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : " نزل الحجر الأسود من الجنة، وهو أشد بياضاً من اللبن، فسودته خطايا ابن آدم" [(١)]. [(٢)]

---

(١) صحيح البخاري،كتاب الأنبياء، باب ﴿يزفون﴾ الصافات (٩٤) النسلان في المشي،رقم: (٣١٨٤)،١٢٢٧/٣.

(٢) المصدر نفسه، رقم: (٣١٨٥)،١٢٣٠/٣.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ٦٢/٣، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٢٩/١-٤٣١ ، صحيح البخاري رقم (٣١٨٤) ١٢٢٧/٣، (٣١٨٥)١٢٣٠/٣، فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٤٦/١٠، عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٥٩،٦٠/١٩، ٢٢٥/٢٣-٢٢٨، ٢٣٥،٢٤٤.

(٤) أخبار مكة للأزرقي ١/ ٤٤٨ ، أخبار مكة الفاكهي واللفظ له ٩١/١، وعزاه الهيثمي إلى الطبراني، فقال: رواه كله الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح. انظر: مجمع الزوائد ٢٤٢/٣.

المطلب الثالث: صلاة جبريل ﷺ بالنبي ﷺ عند الكعبة

روى ابن عباس وجابر أن النبي ﷺ قال:" أمّني جبريل ﷺ عند البيت مرتين "(٣).

وروى مسلم في صحيحه عن أبي مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " نزل جبريل فأمّني فصليت معه ثم صليت معه ثم صليت معه ثم صليت معه يحسب بأصابعه خمس صلوات" (٤)(٥).

وسيأتي توضيح هذه المسائل بإذن الله تعالى.

المبحث الثاني: مسائل الإيمان بالرسل

المطلب الأول: نبيي الله ابراهيم الخليل و اسماعيل – عليهما السلام –.

– نبي الله ابراهيم الخليل ﷺ إمام الحنفاء المخلصين الموحدين

نبي الله ابراهيم ﷺ هو صاحب الملّة وإمام الأمة، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾(٦)، وقال: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ۚ ﴾(٧)، وقال: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۗ ﴾(٨)، وقال: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾(٩)، و" الأمة " هو معلم الخير الذي يؤتم به، وإبراهيم الخليل إمام الحنفاء المخلصين، حيث بُعث وقد طبق الأرض دين المشركين، قال: ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي

---

(١) الجامع الصحيح للترمذي ، الحج، باب ماجاء في فضل الحجر الأسود، قال أبو عيسى: حديث ابن عباس حديث حسن صحيح، رقم (٨٧٧)٣/٢٢٦. صححه الشيخ الألباني انظر: صحيح الجامع رقم (٣١٧٤، ٣١٧٥، ٦٧٥٧).

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ٣/٧٠، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٤٣٢، الجامع الصحيح للترمذي، رقم (٨٧٧)٣/٢٢٦.

(٣) الجامع الصحيح، أبواب الصلاة ، مواقيت الصلاة عن النبي ﷺ رقم (١٤٩) ١/ ٢٧٨، (١٥٠) ١/٢٨١. قال أبو عيسى: حديث ابن عباس حديث حسن صحيح. صححه الشيخ الألباني انظر: صحيح الجامع رقم (١٤٠٢)

(٤) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب أوقات الصلوات الخمس رقم (٦١٠) ١/٤٢٥ .

(٥) فتح الباري لابن رجب ٢/١١٧، ٣٠٥، تحفة الاحوذي بشرح جامع الترمذي للمباركفوري ١/٤٦٤-٤٦٨.

(٦) سورة النحل: ١٢٣.

(٧) سورة البقرة: ١٣٠.

(٨) سورة النحل: ١٢٠.

(٩) سورة النساء: ١٢٥.

﴿ جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾[1] [2]، وهو خير البرية، عن أنس بن مالك ﷺ قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا خير البرية، فقال رسول الله ﷺ : ذاك إبراهيم عليه السلام"[3][4].

– حج نبي الله ابراهيم الخليل وإسماعيل – عليهما السلام – البيت الحرام وجعل الله أفعالهم أسوة للناس وعبادة

إن من المعلوم باتفاق الأمم والنقل أن ابراهيم واسماعيل بنيا البيت، ودعا براهيم الناس إلى حجه بأمره تعالى: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾[5][6]، وقد قال هو واسماعيل إذ يرفعان القواعد من البيت : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ ﴾ فالمناسك هنا مشاعر الحج كلها، وقد أرى الله ابراهيم وابنه اسماعيل المواضع التي تقصد في الحج، والأفعال التي تفعل هناك: كالطواف والسعي والوقوف والرمي، كما ذكر ذلك غير واحد من السلف[7].

وكان لإبراهيم وآل ابراهيم من محبة الله وعبادته والإيمان به وطاعته ما لم يكن لغيرهم، فخصهم الله بأن جعل لبيته الذي بنوه له خصائص لا توجد لغيره، وجعل ما جعله من أفعالهم قدوة للناس وعبادة يتبعونهم فيها، ولا ريب أن الله شرع لإبراهيم السعي ورمي الجمار والوقوف بعرفات بعد ما كان من أمر هاجر وإسماعيل وقصة الذبح وغير ذلك ما كان[8][9].

ومازال هذا البيت محوجاً من عهد ابراهيم، تحجه العرب وغير العرب من الأنبياء وغيرهم؛ كما حج إليه موسى ابن عمران، ويونس بن متَّى كما ثبت في الصحيح[10].

---

(١) سورة البقرة: ١٢٤.

(٢) مجموع الفتاوى ٤/٣١٧، ١٠/ ٥٠١، ٥٠٢، ١٦/٢٠٢،٢٠١.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل ابراهيم ﷺ ، رقم (٢٣٦٩) ٤/١٨٩.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى ٤/٣١٧، ٨/١٤١، ١٤٢، ٣٦١، ١٠/٢٠١، ٢٠٢، ٥٠٢، ١٣/٢٠٢، ١٤/١٣٠، ١٦/٢٠٢،٢٠١.

(٥) سورة الحج: ٢٦ – ٢٧.

(٦) مجموع الفتاوى ١٧/ ٤٨٥، ٢٦/٢٥٠، الجواب الصحيح ٧٠٠.

(٧)انظر: مجموع الفتاوى ١٧/ ٢٧،٤٨٥/٣٦٨.

(٨) المصدر نفسه ١٧/٤٨٣.

(٩) مجموع الفتاوى ٤/٥٢٠، ١٧/٤٨٣ –٤٨٥، ٢٧/٢٦٤، ٢٦٥، ٣٢٦، ٣٦٨، ٣٦٩، الجواب الصحيح ٧٠٠ – ٧٠٣.

(١٠) انظر: الجواب الصحيح ٧٠٠.

المطلب الثاني : نبيي الله موسى و يونس بن متى – عليهما السلام –.

- حج نبيي الله موسى و يونس بن متى – عليهما السلام – البيت الحرام

ثبت في الصحيح حج أنبياء الله موسى بن عمران و يونس بن متى – عليهما السلام – البيت الحرام، فعن ابن عباس – رضي الله عنهما –: أن رسول الله ﷺ مر بوادي الأزرق[1] فقال: أي واد هذا؟ فقالوا: هذا وادي الأزرق، قال :كأني أنظر إلى موسى عليه السلام هابطاً من الثنية وله جؤار[2] إلى الله بالتلبية، ثم أتي على ثنية هرشى[3]، فقال: أي ثنية هذا ؟ قالوا: ثنية هرشى قال: كأني أنظر إلى يونس بن متى عليه السلام على ناقة حمراء جعدة، عليه جبّة من صوف، خطام ناقته خُلْبَةٌ[4] وهو يلبي"[5]. وسيأتي بيان هذه المسائل بإذن الله.

المطلب الثالث: القبلة عند الأنبياء

من العلماء من قال إن الكعبة هي قبلة الأنبياء، مستدلاً بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[6]، وما جاء عن أبي ذر ﷺ قال: قلت: يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال المسجد الحرام قلت: ثم أي ؟ قال المسجد الأقصى قلت كم بينهما ؟ قال أربعون سنة"[7].

وإن الكعبة هي قبلة نبي الله موسى ومن معه من بني إسرائيل، في قوله تعالى:﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾[8]

---

(١) وادي الأزرق بالحجاز؛ والأزرق : ماءٌ في طريق حاج الشام دون تيماء. انظر: معجم البلدان ١/ ١٦٨.

(٢) الجؤار: رفع الصوت والاستغاثة. انظر: النهاية في غريب الحديث للجزري ١/ ٢٣٢.

(٣) هرشى: بالفتح ثم السكون، وشين معجمة، والقصر، وهي ثنية في طريق مكة قريبة من الجحفة يُرى منها البحر، وهي على (١٨) كيلاً من رابغ من جهة الشمال الشرقي وبينها وبين الأبواء : (١٣) كيلاً . انظر: معجم البلدان ٥/ ٣٩٧، معجم معالم الحجاز ٥/ ١٦٩-١٧١.

(٤) الخُلْبة: الحَلْقة من الليفِ، والليفَة خُلْبَة وخُلُبَة. انظر لسان العرب لابن منظور ١/ ٣٦٣.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات، رقم (١١٦) ١/١٥٢. انظر: المفهم للقرطبي١/ ٣٩٦، مجموع الفتاوى ٢٧/٢٦٤، الجواب الصحيح ٧٠٠.

(٦) سورة آل عمران: ٩٦ .

(٧) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم (٥٢٠) ١/٣٧٠. انظر: مجموع الفتاوى ٢٧/ ٢٥٨، ٣٥١، ٣٥٢.

(٨) سورة يونس: ٨٧ .

حيث قال البغوي في تفسيره :" قال أكثر المفسرين: كانت بنو إسرائيل لا يصلون إلا في كنائسهم وبِيَعِهم، وكانت ظاهرة، فلما أُرسل موسى أمر فرعون بتخريبها ومنعهم من الصلاة فأُمروا أن يتخذوا مساجد في بيوتهم ويصلوا فيها خوفًا من فرعون، هذا قول إبراهيم وعكرمة عن ابن عباس.

وقال مجاهد: خاف موسى ومَنْ معه من فرعون أن يصلوا في الكنائس الجامعة، فأُمروا بأن يجعلوا في بيوتهم مساجد مستقبلة الكعبة، يصلون فيها سرًّا. معناه: واجعلوا بيوتكم إلى القبلة. وروى ابن جريج عن ابن عباس – رضي الله عنهما– قال: كانت الكعبة قِبْلَةَ موسى ومَنْ معه[1]".

والذين تأولوا البيوت بالمساجد فسروا القبلة بأنها قبلة الصلاة، أي جهة الكعبة[2].

وقال شيخ الإ سلام – رحمه الله– في بيان قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ﴾[3]: " قال : أي : إذا حولّت، والمعنى: أن الكعبة هي القبلة التي كان في علمنا أن نجعلها قبلتكم؛ فإن الكعبة ومسجدها وحرمها أفضل بكثير من بيت المقدس وهي البيت العتيق، وقبلة إبراهيم وغيره من الأنبياء، ولم يأمر اللّه قط أحداً أن يصلي إلى بيت المقدس، لا موسى ولا عيسى ولا غيرهما؛ فلم نكن لنجعلها لك قبلة دائمة، ولكن جعلناها أولاً قبلة لنمتحن بتحويلك عنها الناس، فيتبين من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه، فكان في شرعها هذه الحكمة [4].

واستدلوا بما أخبر به النبي ﷺ أن الكعبة هي القبلة التي ضلّ عنها اليهود وهدى الله المسلمين لها، كما جاء في الحديث الذي روته عائشة – رضي الله عنها – في قول اليهود للنبي ﷺ السام عليكم، وبيَّن فيه حسد اليهود للمسلمين في ثلاثة أمور:" انهم لا يحسدونا على شيء كما يحسدونا على يوم الجمعة التي هدانا الله لها وضلوا عنها، وعلى القبلة التي هدانا الله لها وضلوا عنها، وعلى قولنا خلف الإمام آمين "[5].

وسيأتي بسط أقوال العلماء في هذه المسألة بإذن الله تعالى.

المطلب الرابع: النبي ﷺ

تم جمع المسائل التي ذكرها العلماء في باب إرهاصات بعثة النبي ﷺ ودلائل نبوته، وهي على النحو التالي:

أولاً: إرهاصات البعثة

أ. مولده ﷺ عام الفيل

(١) معالم التنزيل ٤/١٤٦.

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن ١٥/١٧١– ١٧٦، تفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٨٩، ٢٩٠، التحرير والتنوير ١١/١٦١.

(٣) سورة البقرة : ١٤٣ .

(٤) مجموع الفتاوى ٧/ ٢٧٨، ٢٧٩.

(٥) مسند أحمد ٤١/ ٤٨١، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١/ ١٢٤.

من الثابت تاريخياً مولده ﷺ في عام الفيل[1]، وكانت آية الفيل التي أظهر الله تعالى بها حرمة الكعبة لما أرسل عليهم الطير الأبابيل ترميهم بحجارة من سجيل، ومولده ﷺ في هذا العام هو من دلائل نبوته، وأعلام رسالته، ودلائل شريعته. فهذه الآية كانت لأجل البيت، أو لأجل النبي ﷺ الذي ولد به في ذلك العام عند البيت أو لمجموعهما وأي ذلك كان فهو من دلائل نبوته[2].

ويرى ابن القيم - رحمه الله -: أن حادثة الفيل كانت توطئة وإرهاصاً لظهوره ﷺ، حيث دفع الله نصارى الحبشة عن الكعبة، دون حولٍ من العرب المشركين، تعظيماً لبيته الحرام [3].

ب. عصمته ﷺ من التعري عند تجديد بناء الكعبة

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : "لما بنيت الكعبة ذهب النبي ﷺ وعباس ينقلان حجارة، فقال العباس للنبي ﷺ: اجعل إزارك على عاتقك من الحجارة. ففعل فخر إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء ثم قام فقال : "إزارى إزارى" فشد عليه إزاره، وفى رواية : فما رؤى بعد ذلك اليوم عرياناً" [4][5].

ج. عصمته ﷺ من مس الأصنام أثناء الطواف بالكعبة

عن زيد بن حارثة رضي الله عنه قال : "... وكان صنماً من نحاس يقال له إساف أو نائلة يتمسح به المشركون إذا طافوا، فطاف رسول الله ﷺ وطفت معه، فلما مررت مسحت به، فقال رسول الله ﷺ: "لا تمسه" قال زيد: فطفنا. فقلت فى نفسى لأمسنه؛ حتى أنظر ما يقول! فمسحته فقال رسول الله ﷺ : "ألم تُنه؟" قال زيد: فوالذى أكرمه وأنزل عليه الكتاب، ما استلمت صنماً حتى أكرمه الله بالذى أكرمه، وأنزل عليه الكتاب..." [6].

د. وصفه ﷺ بالأمين، وقبول تحكيمه في وضع الحجر الأسود

---

(١) قال خليفة خياط في تاريخه عن وقت مولده ﷺ :" والمجتمع عليه عام الفيل" ٥٣.انظر: تاريخ الرسل والملوك للطبري ٢/ ١٥٥ ، العبر لابن خلدون ٢/ ٤٠٧.

(٢) الجواب الصحيح ٧٩٢،٧٩٣.

(٣) انظر: دلائل النبوة لابي نعيم الأصبهاني ١/ ١٤٣- ١٥١، الجواب الصحيح ٧٩٢،٧٩٣، زاد المعاد لابن القيم ١/ ٧٠

(٤) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب فضل مكة وبنيانها، رقم (١٥٠٥) ٢/٥٧٣، صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب الاعتناء بحفظ العورة ، رقم (٣٤٠) ١/٢٦٧.

(٥) انظر: دلائل النبوة لابي نعيم الأصبهاني ١/ ١٨٨- ١٩٠، صحيح البخاري رقم (١٥٠٥) ٢/٥٧٣، صحيح مسلم، رقم (٣٤٠) ١/٢٦٧.

(٦) المعجم الكبير للطبراني ٥/٨٨ ، المستدرك للحاكم ٣/٢١٦، ٢١٧، قال الذهبي في التلخيص: صحيح على شرط مسلم. انظر: صحيح السيرة النبوية للشيخ الألباني ٢٣.

وذلك قبل بعثته بخمس سنوات، إذ جنَّب قريشاً الاقتتال بسبب نزاعها بشأن من يضع الحجر الأسود في موضعه من الكعبة بعد أن أتمُّوا بناءها؟ ثم اتفقوا على أن يحكموا أول من يدخل من باب بني شيبة فدخل رسول الله ﷺ، فأمر بثوب فأخذ الحجر ووضعه في وسطه، وقال:" لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعاً" [1]. وقد ذكر عبدالله بن السائب المخزومي- وهو شاهد على هذه الحادثة واشترك في بناء الكعبة- بأن قريشاً قالت لما دخل النبي ﷺ من باب بني شيبة: " أتاكم الأمين".[2]

ثانياً: دلائل النبوة

- إخباره ﷺ بالمغيبات

وهي من الكثرة بحيث لاتحصى، ومنها ما أخبر به النبي ﷺ مما يتعلق بالكعبة، وهذه المعجزات الغيبية يحصل بمجموعها العلم القطعي بأن النبي ﷺ كان يطلعه الله على كثيراً من المغيبات التي لايعلمها إلا هو سبحانه وتعالى [3].

وقد أخبر النبي ﷺ بما يكون إلى قيام الساعة، فعن حذيفة قال: قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً ما ترك فيه شيئا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به، حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابي هؤلاء، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته، فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه، ثم إذا رآه عرفه" [4].

أ. رؤيا النبي ﷺ إتيانه البيت مع أصحابه رضوان الله عليهم والطواف به، قبل خروجه إلى الحديبية [5]

وجاء ذلك لما راجع عمر بن الخطاب ﷺ النبي ﷺ في شأن الصلح الذي جرى بينه وبين والمشركين، فقال:" فأتيت نبي الله ﷺ فقلت: ألست نبي الله حقا ؟ قال: بلى. قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال : بلى. قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذاً ؟ قال: إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري. قلت أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به ؟ قال: بلى، فأخبرتك أنا نأتيه العام. قال: قلت: لا، قال: فإنك آتيه ومطوف به. قال: فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقا قال: بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال: بلى، قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذاً ؟ قال: أيها الرجل إنه لرسول ﷺ وليس يعصي ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه فوالله إنه على

---

(١) المسند لأحمد ٣/٤٢٥، المستدرك للحاكم ١/٤٥٨، ٤٥٩، صححه الحاكم وأقرّه الذهبي.

(٢) انظر: دلائل النبوة لابي نعيم الأصبهاني ١/١٧٥-١٧٧.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم للقرطبي ٦/٥٨.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة ، رقم (٢٨٩١) ٤/٢٢١٦.

(٥) انظر: مجموع الفتاوى ١٥/١٨٤.

الحق ؟ قلت: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به، قال: بلى أفأخبرك أنك تأتيه العام ؟ قلت: لا، قال: فإنك آتيه ومطوف به" [1].

ب. إخباره ﷺ بارتحال الظعينة من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله تعالى [2]

ذكر البخاري في باب علامات النبوة عن عدي بن حاتم قال : بينا أنا عند النبي ﷺ إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة، ثم أتاه آخر فشكا قطع السبيل، فقال: يا عدي هل رأيت الحيرة. قلت: لم أرها وقد أنبئت عنها، قال: فإن طالت بك الحياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله – قلت فيما بيني وبين نفسي فأين دُعَّارُ طيء الذين قد سعَّروا في البلاد –...قال عدي: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله[3].

ج. إخباره ﷺ بأن المسلمين سينجِّدون بيوتهم كما تنجَّد الكعبة

حيث اختصت الكعبة بالتنجيد والتزيين، فأخبر ﷺ أن الدنيا ستفتح على المسلمين، وسيتخذون من –دعة العيش – الزينة والستر لجدران بيوتهم كما تزين وتنجد الكعبة.

قال رسول الله ﷺ: "ستفتح عليكم الدنيا حتى تُنَجِّدُوا بيوتكم كما تُنَجَّدُ الكعبة، قلنا: ونحن على ديننا ؟ قال: نعم، فأنتم اليوم خيرٌ من يومئذ، قلنا : يومئذ ؟ قال: بل أنتم اليوم خيرٌ" [4].

د. إخباره ﷺ أنه لايستحل البيت إلا أهله

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : " يُبايع لرجل مابين الركن والمقام، ولن يستحل البيت إلا أهله، فإذا استحلوه فلا تسأل عن هلكة العرب، ثم تأتي الحبشة، فيخربونه خراباً لايعمره بعده، وهم الذين يستخرجون كنزه" [5].

ذكر ابن حجر –رحمه الله – في فتح الباري أن ماوقع من وقائع كثيرة للبيت الحرام " من أعظمها وقعة القرامطة بعد الثلاثمائة فقتلوا من المسلمين في المطاف من لا يحصى كثرة، وقلعوا الحجر الأسود، فحولوه إلى

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط رقم (٢٥٨١) ٩٧٤/٢،

(٢) صحيح البخاري رقم (٤٠٠) ١١٦/٣. الجواب الصحيح ٨٠٠.

(٣) كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم (٤٠٠) ١١٦/٣.

(٤) المعجم الكبير للطبراني، رقم (١٨١٢١) ١٠٨/٢٢. وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة ،رقم (٢٤٨٦) ٦٣٧/٥ .

(٥) مسند أحمد، رقم (٧٩١٠) ٢٨٩/١٣، والحاكم في المستدرك ٤٥٢/٤، ٤٥٣، قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة ،رقم (٥٧٩) ١٢٢/٢ .

بلادهم، ثم أعادوه بعد مدة طويلة...إنما وقع بأيدي المسلمين فهو مطابق لقوله ﷺ ولن يستحل هذا البيت إلا أهله فوَقَعَ ما أخبر به النبي ﷺ وهو من علامات نبوته" (١).

هـ. سقوط الأوثان حول الكعبة بإشارته ﷺ إليها دون أن يمسها

عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال:" دخل رسول الله ﷺ يوم فتح مكة وحول البيت ثلاثمائة وستون صنماً، وفي يد رسول الله ﷺ قضيب ، فجعل يشير إليها ويقول :﴿ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾(٢)، ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾(٣)، فجعلت تستلقي من غير أن يمسها " (٤).

ثالثاً: معجزات النبي ﷺ ومحلها من البيت الحرام

أ. معجزة شق الصدر الثانية

وذلك أن معجزة شق الصدر الثانية قد جرت للنبي ﷺ في الحطيم أو الحجر– وهما من البيت –كما جاء في رواية الإمام البخاري– رحمه الله –، وعند البيت كما جاء في رواية الإمام مسلم– رحمه الله –.

رواية الإمام البخاري– رحمه الله –:

عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة – رضي الله عنهما –: أن نبي الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسري به " بينما أنا في الحطيم وربما قال: في الحجر مضطجعاً إذ أتاني آت فقد – قال: وسمعته يقول: فشق – ما بين هذه إلى هذه – فقلت للجارود وهو إلى جنبي ما يعني به ؟ قال: من ثغرة نحره إلى شعرته، وسمعته يقول: من قصه إلى شعرته – فاستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيماناً فغسل قلبي ثم حشي ثم أعيد،ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض – فقال له الجارود هو البراق يا أبا حمزة ؟ قال أنس نعم – ..."(٥).

---

(١) انظر: فتح الباري ٣/٤٦٢،٤٦١.

(٢) سورة الإسراء: ٨١

(٣) سورة سبأ: ٤٩.

(٤) رواه الطبراني في الكبير بنحوه رقم (١٠٦٧٨) ١٠/٢٧٩، (١٣٦٧٧) ١٢/٤٥٢. انظر: دلائل النبوة لابي نعيم الأصبهاني ٢/٥١٩، ٥٢٠.

(٥) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب المعراج ، رقم (٣٦٧٤) ٣/١٤١٠ .

رواية الإمام مسلم – رحمه الله –:

قال الإمام مسلم– رحمه الله –: حدثنا محمد بن المثنى حدثنا ابن أبي عدي عن سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك (لعله قال) عن مالك ابن صعصعة (رجل عن قومه) قال : قال نبي الله ﷺ بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان إذ سمعت قائلاً يقول: أحد الثلاثة بين الرجلين، فأُتيت فانطلق بي فأُتيت بطست من ذهب فيها من ماء زمزم فشرح صدري إلى كذا وكذا – قال قتادة فقلت للذي معي ما يعني ؟ قال إلى أسفل بطنه – فاستخرج قلبي فغسل ماء زمزم ثم أعيد مكانه ثم حشي إيماناً وحكمة، ثم أُتيت بدابة أبيض يقال له البراق فوق الحمار ودون البغل يقع خطوه عند أقصى طرفه فحملت عليه..." [1].

ب. الإسراء إلى بيت المقدس

وأما مكان وقوع الإسراء فقد جاء في الأحاديث أقوال مختلفة فقيل في المسجد، وقيل بين المقام وزمزم، وقيل في الحِجر، وقيل في بيته، وقيل في بيت أم هاني، وقيل في بيت خديجه ، وقيل في شعب أبي طالب.

وسيأتي بيان هذه الروايات والجمع بينها، بإذن الله تعالى.

وقد وصف النبي ﷺ بيت المقدس وهو في الحِجر ، وذلك لما كذبته قريش في مسراه إليه، عن جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ قال :" لما كذبتني قريش قمت في الحِجر فجلا الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه"[2] .

رابعاً: طاعته ﷺ فيما أمر والاقتداء به

أصل الدين متابعة النبي ﷺ وموافقته بفعل ما أمرنا به وشرعه لنا وسنه لنا، والاقتداء به في أفعاله التي شرع لنا الاقتداء به فيها[3].

أ. الرَمْل حول الكعبة اقتداء بالنبي ﷺ

عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: قدم رسول الله ﷺ وأصحابه فقال المشركون: إنه يقدم عليكم وقد وهنهم حمى يثرب، فأمرهم النبي ﷺ أن يرملوا الأشواط الثلاثة وأن يمشوا ما بين الركنين، ولم يمنعه أن يأمرهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم " [4][1].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات، رقم (٣٦٧٤) ٣/١٤١٠ .

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال، رقم (١٧٠)١ ،(١٧٢)/١٥٦ .

(٣) مجموع الفتاوى ٢٧/ ٤٨٢.

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الحج، باب كيف كان بدء الرمل، رقم (١٥٢٥) ، (١٥٢٦) ٢/٥٨١، صحيح مسلم، كتاب الحج، باب استحباب الرمل في الطواف العمرة وفي الطواف الأول من الحج ، رقم (١٢٦٦)٢/٩٢٣.

قال عمر ﷺ وهو يوضح أن الرمل اتباع لسنة النبي ﷺ : " فما لنا وللرمل؟ إنما كنا راءينا به المشركين وقد أهلكهم الله، ثم قال: شيء صنعه النبي ﷺ فلا نحب أن نتركه " (٢).

وجاء في سنن ابن ماجة بلفظ: " فيم الرملان الآن ؟ وقد أطأ الله الإسلام، ونفى الكفر وأهله. وأيم الله ما ندع شيئاً كنا نفعله على عهد رسول الله ﷺ " (٣) .

ب. استلام الحجر الأسود وتقبيله اقتداء بالنبي ﷺ

عن ابن شهاب عن سالم عن أبيه – رضي الله عنهم – قال: لم يكن رسول الله ﷺ يستلم من أركان البيت إلا الركن الأسود والذي يليه من نحو دور الجمحيين " (٤)(٥).

عن عابس بن ربيعة عن عمر ﷺ : أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبله فقال: إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت النبي ﷺ يقبلك ما قبلتك (٦).

ج. استلام الركن اليماني اقتداء بالنبي ﷺ

عن عبدالله ابن عمر– رضي الله عنهما – أن قال: لم أرى رسول الله ﷺ يمسح من البيت إلا الركنين اليمانيين " (٧).

عن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال:" ما تركت استلام هذين الركنين في شدة ولا رخاء منذ رأيت النبي ﷺ يستلمهما " (٨).

---

(١) انظر: صحيح البخاري، رقم (١٥٢٥) ، (١٥٢٦) ٢/ ٥٨١، صحيح مسلم، رقم (١٢٦٦)٢/٩٢٣، مجموع الفتاوى ١٧/ ٤٨١، ٤٨٢.

(٢) صحيح البخاري كتاب الحج، باب كيف كان بدء الرمل، رقم (١٥٢٨) ، ٢/ ٥٨٢ .

(٣) سنن ابن ماجه، كتاب المناسك، باب الرمل حول البيت، (٢٩٥٢) ٢/ ٩٨٤.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب ماذكر في الحجر الأسود، (١٢٦٧) ٢/ ٩٢٤ .

(٥) انظر: صحيح البخاري ، رقم (١٥٢٨) ، (١٥٢٩) ٢/ ٥٨٢، (١٥٣٠) ٢/ ٥٨٢، (١٥٣١) ٢/ ٥٨٣، (١٥٣٢) ٢/ ٥٨٣، (١٥٣٣) ٢/ ٥٨٣ ، (١٥٣٥) ٢/ ٥٨٣، صحيح مسلم، رقم (١٢٦٦)٢/٩٢٣، (١٢٦٧) ٢/ ٩٢٤، (١٢٦٨) ٢/ ٩٢٤، (١٢٦٩) ٢/ ٩٢٥، (١٢٧٠) ٢/ ٩٢٥، (١٢٧١) ٢/ ٩٢٦، (١٢٧٢) ٢/ ٩٢٦، (١٢٧٣) ٢/ ٩٢٦، (١٢٧٤) ٢/ ٩٢٧، (١٢٧٥) ٢/ ٩٢٧.

(٦) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب ماذكر في الحجر الأسود، (١٥٢٠) ٢/ ٥٩٧ .

(٧) المصدر السابق، رقم (١٢٦٧) ٢/ ٩٢٤ .

(٨) صحيح البخاري، كتاب الحج، الرمل في الحج والعمرة، رقم (١٥٢٩)٢/٥٨٢

قال شيخ الإسلام – رحمه الله – : " أما مسائل الإجماع فلا نزاع بين الأئمة الأربعة ونحوهم من أئمة العلم، أنه لا يقبّل الركنين الشاميين، ولا شيئاً من جوانب البيت فإن النبي ﷺ لم يستلم إلا الركنين اليمانيين. وعلى هذا عامّة السلف، وقد روي أن ابن عباس ومعاوية طافا بالبيت، فاستلم معاوية الأركان الأربعة، فقال ابن عباس: إن رسول الله ﷺ لم يستلم إلا الركنين اليمانيين فقال معاوية: ليس شيء من البيت متروك. فقال ابن عباس: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[1]، فرجع إليه معاوية [2] "[3].

د. إمساك عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن قسمة كنز الكعبة اقتداءً بالنبي ﷺ [4]

عن واصل عن أبي وائل قال:" جلست مع شيبة على كرسي في الكعبة فقال: لقد جلس هذا المجلس عمر رضي الله عنه فقال: لقد هممت أن لا أدع فيها صفراء ولا بيضاء إلا قسمته، قلت: إن صاحبيك لم يفعلا قال: هما المرآن أقتدي بهما " [5].

هـ. كسوة الكعبة اقتداءً بالنبي ﷺ

وذلك أن قاعدة الشرع تعظيم هذا المحل بل طلب زيادة تعظيمه وتبجيله في النفوس، ومضاعفة مهابته، فلو أهمل – والعياذ بالله – إلباس الكعبة كسوتها لأدى إلى ضد التعظيم، والتعظيم واجب، وماعطل الواجب فتركه واجب فينتج الإكرام، والإكرام واجب [6][7].

وعن الوقت الذي تكسى فيه الكعبة، أخرج البخاري – رحمه الله – من حديث هشام بن عروة عن أبيه – رضي الله عنهما – أن النبي ﷺ قال عن يوم الفتح: " ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة، يوم تكسى فيه

---

(١) سورة الأحزاب : ٢١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب من لم يستلم إلا الركنين الشاميين، ٢/٥٨٢ ، فتح الباري لابن حجر ٣/٤٧٣-٤٧٥، مسند أحمد رقم (١٦٨٥٨) ٢٨/٧٣.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ٣٦٠.

(٤) انظر: صحيح البخاري، رقم (١٥٢٨) ٢/٥٧٨، فتح الباري لابن حجر ٣/٤٥٦- ٦٠، ١٣/٢٥٢، شرح صحيح البخاري لابن بطال ٤/ ٢٧٦،٢٧٧، اللمحة اللطيفة في ذكر أحوال كسوة الكعبة الشريفة لابن حجر ١١١-١١٤.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب كسوة الكعبة، رقم (١٥٢٨) ٢/ ٥٧٨.

(٦) انظر: اللمحة اللطيفة في ذكر أحوال كسوة الكعبة الشريفة لابن حجر ١٠٦، ١٣٤، ١٣٥.

(٧) انظر: فتح الباري ٣/٤٥٥- ٤٦٠، أخبارمكة للأزرقي ١/ ٣٥٥، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ١/١٩٩، إعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشي ٥١-٥٣.

الكعبة " [1]، قال ابن حجر- رحمه الله -: "فأشار النبي إلى أنه هو الذي يكسوها في ذلك العام ، ووقع ذلك" [2].

وسيأتي بيان الاتِّباع في كسوتها، ومافعل الصحابة - رضوان الله عليهم - بالكسوة القديمة ؟

خامساً: حكم سب النبي ﷺ

حكم قتل من سب النبي ﷺ من غير المسلمين ثم عاذ بالبيت الحرام

لما كانت الكعبة بيت الله الذي يدعي ويذكر عنده، فإنه سبحانه يستجار به هناك، وقد يستمسك بأستار الكعبة كما يتعلق المتعلق بأذيال من يستجير به، كما قال عمرو بن سعيد :" إن الحرم لا يعيذ عاصياً، ولا فارًا بدم، ولا فارًا بخربة [3]"، وفي الصحيح : " يعوذ عائذ بهذا البيت "[4][5].

وسيأتي بيان ما أحدثه ابن خطل من القتل والردَّة وهجاء النبي ﷺ، ثم تعلقه باستار البيت يوم الفتح، وماجرى من إهدار النبي ﷺ لدمه ،- وقد فرَّ إلى البيت عائذاً به - ثم قتله، وإثبات أن هذا التغليظ في قتله إنما كان لأجل سبّه النبي ﷺ[6].

ففي الصحيحين من حديث الزهري - رحمه الله -، عن أنس ﷺ" أن النبي ﷺ دخل مكة عام الفتح وعلى رأسه المغفر، فلما نزعه جاء رجل فقال: ابن خطل متعلق بأستار الكعبة فقال : اقتلوه" [7].

المطلب الرابع: تنوع شريعة الرسول الواحد

تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة

(١) صحيح البخاري كتاب المغازي، باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح، رقم (٤٠٣٠) ٤/١٥٥٩.

(٢) فتح الباري ٩/٨، ١٠.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب منزل النبي ﷺ يوم الفتح، رقم (٤٠٤٤) ٤/ ١٥٦٣، قال أبو عبدالله: الخربة البلية.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت، رقم (٢٨٨٢)٤/٢٢٠٨ .

(٥) مجموع الفتاوى ١٥/٢٢٧.

(٦) انظر: الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ ٩٠-٩٦، مجموع الفتاوى ١٨/٢٤٨، سيرة النبي ﷺ لابن هشام ٤/٣١.

(٧) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح، رقم (٤٠٣٥) ٤/١٥١٦، صحيح مسلم، كتاب الحج، باب جواز دخول مكة بغير إحرام، رقم (١٣٥٧)٢/٩٨٩ .

قال تعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾[1].

وعن البراء ﷺ أن رسول الله ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً، أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قِبَلَ البيت[2]، وكانت صلاته ﷺ إلى بيت المقدس قبل تحويل القبلة من الإسلام، ولما جاء الامر الإلهي بالصلاة إلى الكعبة في السنة الثانية من الهجرة، نَسَخَ هذا الأمر الصلاة إلى بيت المقدس، وصارت الصلاة إلى الكعبة من شريعة الإسلام[3].

وسيأتي بيان مدة صلاة النبي ﷺ إلى بيت المقدس في مكة، والمدينة، ثم ماكان من تلقيه الوحي الإلهي بالصلاة إلى البيت الحرام، وتوضيح أقوال العلماء في وقت ومكان هذا التحويل، ومايتعلق به من مسائل كالنسخ وقبول خبر الواحد، والردُّ على من لايحتج بخبر الآحاد في هذه المسألة بإذن الله تعالى[4].

المبحث الثالث: مسائل الإيمان باليوم الآخر

حيث ستُعرض الأحاديث المتعلقة بالكعبة و أشراط الساعة، حتى هدمها، والظاهر من الأحاديث أن هدم الكعبة يكون بعد موت المسيح عيسى ابن مريم، وهبوب الريح التي يموت بها من كان في قلبه ذرة إيمان، وبعدها يهدمون الكعبة ثم لاتعمر بعدها أبداً.

المطلب الأول: أشراط الساعة

أ. الخسف بالجيش الذي سيغزوا الكعبة

عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: قال رسول الله ﷺ : " يغزو جيش الكعبة، فإذا كانوا ببيداء من الأرض يُخسف بأولهم وآخرهم "[1].

---

(١) سورة البقرة: ١٤٤.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿ سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم ﴾، رقم (٤٢١٦) ٤/١٦٣١.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى ٢٧/١٥٠.

(٤) انظر:صحيح البخاري (٤٢٢٢) (٤٢٢٣) ٤/١٦٣٤، (٤٢٢٤) ٤/١٦٣٥، صحيح مسلم (٥٢٥) ١/٣٧٤،(٥٢٦) (٥٢٧) ١/٣٧٥، جامع البيان في تأويل القرآن ٣/ ١٢٩ – ١٨٧ ، تفسير القرآن العظيم ١/ ٤٥٢– ٤٦٣ ، مجموع الفتاوى ٢٧/١٥٠، الجواب الصحيح ٩١، الرد على المنطقيين ٢٩٢.

وعن أم المؤمنين – رضي الله عنها –: أن رسول الله ﷺ قال:" سَيعُوذُ بهذا البيت – يعني الكعبة – قومٌ ليستْ لهم منعةٌ ولا عددٌ ولا عدةٌ، يُبعثُ إليهم جيشٌ، حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض خُسِف بهم "(٢).

ب. رؤية النبي ﷺ المسيح بن مريم عليه السلام يطوف بالكعبة مناماً وكذا الدجال (٣)

عن نافع قال عبد الله : ذكر النبي ﷺ يوما بين ظهري الناس المسيح الدجال فقال:" أراني الليلة عند الكعبة في المنام، فإذا رجل آدم كأحسن ما يرى من أدم الرجال تضرب لمته بين منكبيه رجل الشعر يقطر رأسه ماء واضعا يديه على منكبي رجلين، وهو يطوف بالبيت فقلت: من هذا ؟ فقالوا: هذا المسيح بن مريم ثم رأيت رجلاً وراءه جعداً قططاً أعور العين اليمنى كأشبه من رأيت بابن قطن واضعاً يديه على منكبي رجل يطوف بالبيت فقلت: من هذا ؟ قالوا: المسيح الدجال "(٤).

ج. إخباره ﷺ بإهلال المسيح بن مريم عليه السلام بالحج أو العمرة، أو الجمع بينهما

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول:" والذي نفسي بيده ليهلنَّ ابن مريم بفج الروحاء حاجاً، أو معتمراً، أو ليثنيهما "(٥).

د. حج الناس البيت والاعتمار به بعد خروج يأجوج ومأجوج

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال:" ليُحَجَّنَّ هذا البيت وليُعتمرنَّ بعد خروج يأجوج ومأجوج"(٦).

هـ. يُهجر حج البيت قبيل قيام الساعة

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال": "لا تقوم الساعة حتى لا يُحَجُّ البيت" (١).

---

(١) صحيح البخاري ،كتاب البيوع ، باب ماذكر في الأسواق ،رقم: (٢٠١٢)،٢/٧٤٦.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت ، رقم (٢٨٨٣)،٤/٢٢٠٩.

(٣) صحيح البخاري رقم (٣٢٥٦)/٣/١٢٦٩ ، (٦٥٩٨) ٦/٢٥٦٩، (٣٢٥٧) ٣/١٢٧٠، (٥٥٦٢) ٥/٢٢١١، صحيح مسلم رقم (٢٧٣) (٢٧٤) ١/١٥٤.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب ﴿ واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها ﴾، رقم (٣٢٥٦)،٣/١٢٦٩، صحيح مسلم ، كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال، رقم(١٦٩) ١/ ١٥٤.انظر: المفهم للقرطبي ١/ ٤٠٠.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب إهلال النبي ﷺ وهديه ، رقم (١٢٥٢)،٢/٩١٥.

(٦) صحيح البخاري ،كتاب الحج ، باب قول الله تعالى ﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس... ﴾ ،رقم: (١٥١٦)،٢/٥٧٨.

و. خراب الكعبة على يدي ذو السويقتين آخر الزمان

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ " يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة"[٢].

عن ابن عباس – رضي الله عنهما –: عن النبي ﷺ قال: "كأني به أسود أفحج يقلعها حجراً حجراً"[٣].

المطلب الثاني: الجنة

الحجر الأسود ومقام ابراهيم من الجنة

عن عبدالله بن عمر – رضي الله عنهما –، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: " إن الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة، طمس الله نورهما، ولو لم يطمس الله نورهما لأضاءتا مابين المشرق والمغرب"[٤].

عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : قال رسول الله ﷺ " نزل الحجر الأسود من الجنة أشد بياضاً من الثلج فسودته خطايا بني آدم" [٥].

المطلب الثاني: البعث

بعثُ الله الحجر الأسود يوم القيامة له عينان يبصر بهما، ولسان ينطق به، يشهد لمن استلمه بحق

عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله ﷺ في الحَجَر:" والله ليبعثنه الله يوم القيامه، له عينان يبصر بهما، ولسان ينطق به، يشهد على من استلمه بحق" [٦].

---

(١) المصدر نفسه، رقم: (١٥١٦)،٢/٥٧٨.

(٢) المصدر نفسه ،رقم: (١٥١٤)،٢/٥٧٧.

(٣) صحيح البخاري ،كتاب الحج، باب هدم الكعبة ،رقم: (١٥١٨)،٢/٥٧٩.

(٤) سنن الترمذي، كتاب الحج، باب فضل الحجر الأسود والركن والمقام، رقم (٨٧٨) ٣/٢٢٦، مسند أحمد رقم (٧٠٠٨) ٢/٢١٤، مشكاة المصابيح للتبريزي كتاب المناسك، باب دخول مكة والطواف رقم (٢٥٧٩)٢/٨٠، تحقيق الشيخ الألباني، قال – رحمه الله– عن رواية الترمذي: وغيره من طريق يتقوى الحديث بها .

(٥) سنن الترمذي، كتاب الحج، باب ماجاء في الحجر الأسود، رقم (٩٦١) ٣/٢٩٤، قال أبو عيسى: حديث ابن عباس حديث حسن صحيح. مسند أحمد رقم (١٣٩٧٤) ٣/٢٧٧، (٢٧٩٦) ١/٣٠٧، مشكاة المصابيح للتبريزي كتاب المناسك، باب دخول مكة والطواف رقم (٢٥٧٧)٢/٧٩، تحقيق الشيخ الألباني، قال – رحمه الله– : وهو كما الترمذي .

(٦) سنن الترمذي، كتاب الحج، باب ماجاء في الحجر الأسود، رقم (٩٦١) ٣/٢٩٤، سنن الدارمي، كتاب المناسك، باب الفضل في استلام الحجر، رقم (١٨٣٩) ٢/٦٣، سنن ابن ماجة، كتاب المناسك، باب استلام الحجر، رقم (٢٩٤٤) ٢/٩٨٢، مشكاة

المبحث الرابع: مسائل الإيمان بالقدر

المطلب الأول: أقسام أفعال الله

أ. الجعل الكوني والشرعي في قوله تعالى: ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ ﴾ [(١)]، قال ابن القيم – رحمه الله –:" فهذا يتناول الجعلين فإنها جعلها كذلك بقدره وشرعه، وليس هذا استعمالاً للمشترك في معنييه بل إطلاق اللفظ وإرادة القدر المشترك بين معنييه فتأمله"[(٢)].

والجعل الشرعي في قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾[(٣)].

ب. الأمن الكوني والشرعي في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ [(٤)] [(٥)] .

المطلب الثاني: الحكمة والتعليل في أفعال الله

إن الله سبحانه حكيم لا يفعل شيئاً عبثاً ولا لغير معنى ومصلحة وحكمه هي الغاية المقصودة بالفعل، بل أفعاله سبحانه صادرة عن حكمة بالغة لأجلها فعل، كما هي ناشئة عن أسباب بها فعل[(٦)].

فأخبر أنه فعل كذا لكذا ، وأنه أمر بكذا لكذا ، كما سيأتي بيانه في المسائل التالية:

أ. حكمة الله تعالى في جعل الكعبة قياماً للناس في قوله تعالى: ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ﴾ [(١)] [(٢)].

المصابيح للتبريزي كتاب المناسك، باب دخول مكة والطواف رقم (٢٥٧٨)٢/٨٠ ، تحقيق الشيخ الألباني، قال – رحمه الله–: إسناده صحيح.

(١) سورة المائدة: ٩٧.

(٢)شفاء العليل ٢٨٢، انظر: جامع البيان في تأويل القرآن ١١/٨٩-٩٥.

(٣) سورة البقرة: ١٤٣.

(٤) سورة البقرة: ١٢٥.

(٥) مجموع الفتاوى ١٤/٢٠١، ١٨/٣٤٣.

(٦) شفاء العليل في مسائل القدر والحكمة والتعليل ١٩٠.

ب. حكمة الله في تخصيص الكعبة بصفات يميزها بها على ماسواها

حيث ذكر شيخ الإسلام – رحمه الله – أن الحكمة الناشئة من الأمر ثلاثة أنواع، وذكر" النوع الثاني: أن ما أمر به ونهى عنه صار متصفاً بحسن اكتسبه من الأمر، وقبح اكتسبه من النهي، كالخمر التي كانت لم تحرم ثم حرمت فصارت خبيثة، والصلاة إلى الصخرة التي كانت حسنة فلما نهى عنها صارت قبيحة... وكذلك المكان والزمان الذي يحبه ويعظمه – كالكعبة وشهر رمضان – يخصه بصفات يميزه بها على ماسواه، بحيث يحصل في ذلك الزمان والمكان من رحمته وإحسانه ونعمته ما لايحصل في غيره" (٣)(٤).

وسيأتي بيان أقوال أهل العلم في هذه المسألة بإذن الله تعالى.

ج. حكمة الله تعالى في تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة في قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ (٥)(٦).

المطلب الثالث: أفعال العباد

بيان نوع الاستطاعة في قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ (٧).

حيث جاءت الاستطاعة في كتاب الله على نوعين :

النوع الأول: الاستطاعة المشترطة للفعل، وهي مناط الأمر والنهي كقوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ (٨)، وقوله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾(٩)...فإن الاستطاعة في هذه النصوص لو كانت

---

(١) سورة المائدة: ٩٧.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن ١١/٨٩-٩٥ ، مجموع الفتاوى ١٦/٦٢، شفاء العليل ١٨٥، ١٩٠ ، ٢٠٣.

(٣) مجموع الفتاوى ١٧/٢٠١، ٢٠٢.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى ٨/٣٧٧-٣٨١، ١٧/٢٠٢،٢٠١، ٤٨٢، ١٤/١٤٤.

(٥) سورة البقرة: ١٤٣.

(٦) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن ٣/ ١٢٩- ٢٠٧، تفسير القرآن العظيم ١/٤٥٢ -٤٦٤ مجموع الفتاوى ٨/٤٩٦، شفاء العليل ١٩٠.

(٧) سورة آل عمران :٩٧.

(٨) سورة آل عمران :٩٧.

(٩) سورة التغابن :١٦.

لا توجد إلا مع الفعل؛ لوجب ألا يجب الحج إلا على من حج، ... والنوع الثاني: .الاستطاعة التي يكون معها الفعل، وقد ذكروا فيها قوله تعالى :﴿ ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا ﴿١٠١﴾ ﴾[1]..."[2].
وسيأتي مزيد بيان لنوع الاستطاعة في هذه الآية بإذن الله تعالى.

المبحث الخامس: مسائل الأسماء والأحكام

المطلب الأول: تسمية المسلمين أهل القبلة

تميَّز أهل الإسلام عما سواهم باستقبال البيت الحرام وتعظيمه؛ فإنه شعار الملة بين أهلها وغيرهم؛ ولهذا يقال : أهل القبلة، كما قال رسول الله ﷺ :" من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم، الذي له ذمة الله وذمة رسوله فلا تحقروا الله في ذمته"[3] [4].
ويورد أهل العلم مسمى " أهل القبلة" كثيراً في كتبهم للدلالة على المسلمين، فإن شعار المسلمين الصلاة إلى القبلة، ولهذا يعبر عنهم بها، فيقال : اختلف أهل الصلاة، واختلف أهل القبلة[5][6].

المطلب الثاني: تفاضل الإيمان في الأمر بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة

" فمن المنافقين من كان آمن ثم كفر باطناً، وهذا مما استفاض به النقل عند أهل العلم بالحديث والتفسير والسير أنه كان رجال قد آمنوا ثم نافقوا، وكان يجري ذلك لأسباب:

منها أمر القبلة لما حوّلت ارتد عن الإيمان لأجل ذلك طائفة، وكانت محنة امتحن الله بها الناس، قال تعالى :
﴿ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ ﴾ [7] "[8].

وسيأتي بيان هذا التفاضل بإذن الله تعالى.

---

(١) سورة الكهف :١٠١.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ١٣٠/٨،١٢٩، ٢٦٧، ٢٩٠-٢٩٦، ٣٧١-٣٩٠،٣٧٦-٣٩٣، ٤٣٧-٤٤٠، ٤٧٩، ٤٨٠، ٣٢/١٠، ٣٤٤-٣٤٨، شرح العقيدة الطحاوية ٦٣٣/٢-٦٣٩.

(٣) صحيح البخاري كتاب الصلاة، باب قبلة أهل المدينة وأهل الشام والمشرق، رقم (٤٨٣) ١٥٣/١.

(٤) انظر : مجموع الفتاوى ٤٢/١٤، شرح العقيدة الطحاوية ٤٢٦/٢، ٤٢٧.

(٥) انظر : مجموع الفتاوى ٦١٣/٧.

(٦) انظر: مجموع الفتاوى ٧/ ٦١٣، ٤٢/١٤، شرح العقيدة الطحاوية ٤٢٦/٢، ٤٢٧.

(٧) سورة البقرة: ١٤٣.

(٨) مجموع الفتاوى ٢٧٨/٧.

المطلب الثالث: استحلال البيت الحرام كبيرة من الكبائر

حيث عدّ العلماء استحلال البيت الحرام من كبائر الذنوب، كما جاء في الحديث:" الكبائر تسع، أعظمهنّ إشراك بالله، وقتل النفس بغير حق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة والفرار يوم الزحف، وعقوق الوالدين، واستحلال البيت الحرام، قبلتكم أحياءً و أمواتاً " [١].

المبحث السادس: مسائل الصحابة ﷺ

المطلب الأول: فضائل عمر ﷺ

رأي عمر ﷺ بالصلاة خلف مقام ابراهيم ﷺ ونزول القرآن موافقة له [٢]

وهي إحدى موافقات عمر ﷺ لربه عزوجل، عن أنس ﷺ قال:" قال عمر: وافقت ربي في ثلاث فقلت: يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى، فأنزلت ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾[٣]، وآية الحجاب قلت: يا رسول الله لو أمرت نساءك أن يحتجبن فإنه يكلمهن البر والفاجر فنزلت آية الحجاب، واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه، فقلت لهن: عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيراً منكن فأنزلت هذه الآية" [٤].

المطلب الثاني: إقرار النبي ﷺ سدانة الكعبة لبني شيبة هو: ولاية منه ﷺ [٥].

سدانة الكعبة وحجابتها: خدمتها، والقيام بشأنها، وفتح بابها وإغلاقه، وهي ولاية البيت الحرام[٦].

وكانت السدانة في الجاهلية في بني شيبة، ولما فتح النبي ﷺ مكة أقبل من أعلاها على راحلته مردفاً أسامة بن زيد، ومعه بلال، وعثمان بن طلحة من الحجبة، حتى أناخ في المسجد فأمره أن يأتي بمفتاح البيت، فدخل رسول الله ﷺ ومعه

---

(١) سنن أبي داوود، المعجم الكبير للطبراني رقم (١٣٧٨٩) ٤٧/١٧ و المستدرك للحاكم وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.قال الشيخ الألباني: حسن، صحيح الجامع الصغير وزياداته رقم (٤٦٠٥)، ٢/ ٨٤٤، ٨٤٥.

(٢)انظر: صحيح البخاري، رقم (٣٩٣) ١٥٧/١، (٤٢١٣) ١٦٢٩/٤، صحيح مسلم (٢٣٩٩) ١٨٦٥/٤، فتح الباري لابن رجب ٣١٦/٢، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٠٧، ٣٨٤، فتح الباري لابن حجر ٥٠٥/١، ١٦٩/٨.

(٣) سورة البقرة: ١٢٥.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب ما جاء في القبلة ومن لا يرى الإعادة على من سها فصلى إلى غير القبلة رقم (٣٩٣) ١٥٧/١.

(٥) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن ٤٩٠/٨- ٤٩٥، تفسير القرآن العظيم ٢/ ٣٣٨-٣٤٢، سنن ابن ماجة رقم (٢٦٢٨) ٨٧٨/٢، سنن أبي داوود رقم (٤٥٤٩) ٣٠٩/٤، مسند أحمد رقم (٢٣٤٩٣) ٤٧٨/٣٨، سيرة ابن هشام ٤/ ٣٣-٣٥، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية لابن تيمية ٤- ٩،

(٦) انظر: مختار الصحاح ، مادة (سدن) ٢٦، المجموع للنووي ٤٦٨/٧.

أسامة بن زيد، وبلال، وعثمان بن طلحة [1]. واستبقى النبي ﷺ في خطبته يوم الفتح سدانة البيت في أيديهم، عن ابن عمر – رضي الله عنهما – أن رسول الله ﷺ قام يوم فتح مكة، وهو على درج الكعبة فحمد الله وأثنى عليه فقال:" الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، ألا إن قتيل الخطإ قتيل السوط والعصا فيه مائة من الإبل، منها أربعون خلفة في بطونها أولادها، ألا إن كل مأثرة كانت في الجاهلية ودم تحت قدمي هاتين، إلا ما كان من سدانة البيت وسقاية الحاج ألا إني قد أمضيتهما لأهلهما كما كانا" [2].

وذكر شيخ الإسلام – رحمه الله – أن رسالته في السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية" مبنية على آية الأمراء في كتاب الله، وهي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾[3]، قال العلماء : نزلت في ولاة الأمور عليهم أن يؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكموا بين الناس أن يحكموا بالعدل، ثم قال : وإذا كانت الآية قد أوجبت أداء الأمانات إلى أهلها، والحكم بالعدل، فهذان جماع السياسة العادلة والسياسة الصالحة ، ثم قال : أما أداء الأمانات فيه نوعان :

أحدهما : الولايات وهو كان سبب نزول الآية، فإن النبي ﷺ لما فتح مكة وتسلم مفاتيح الكعبة من بني شيبة وطلبها العباس ليجمع له بين سقاية الحاج وسدانة البيت فأنزل الله هذه الآية، فرد مفاتيح الكعبة إلى بني شيبة، فيجب على وليّ الأمر أن يولي على كل عمل من أعمال المسلمين أصلح من يجده لذلك العمل"[4].

والحجابة منصب بني شيبة ولاه رسول الله ﷺ إياها، كما ولى السقاية للعباس...قال العلماء: لايجوز لأحد ان ينزعها منهم، قالوا: وهي ولاية رسول الله ﷺ ، فتبقى دائمة أبداً لهم ولذرياتهم لا يحل لاحد منارعتهم فيها ما داموا موجودين صالحين لذلك، وأعظم مالك – رحمه الله – أن يشرك معهم غيرهم لأنها ولاية من النبي ﷺ إذ دفع المفتاح لعثمان بن طلحة [5].

المطلب الثالث: هدم عبدالله بن الزبير ﷺ الكعبة وإعادة بنائها على قواعد نبي الله ابراهيم الخليل ﷺ استناداً لقول الرسول ﷺ

حيث سيأتي بيان ماجرى من تضرر الكعبة في عهد عبدالله بن الزبيرﷺ؛ مما حمله على هدمها وإعادة بنائها، مستنداً إلى قول الرسول ﷺ لعائشة – رضي الله عنها –، كما جاء في صحيح البخاري:

---

(١) صحيح البخاري كتاب المغازي، باب أين ركز النبي ﷺ رايته يوم الفتح، رقم (٤٠٣٨) ٤/١٥٦٢.

(٢) سنن ابن ماجة باب دية شبه العمد مغلظة رقم (٢٦٢٨) ٢/٨٧٨ ، سنن أبي داوود كتاب الديات، باب دية الخطأ شبه العمد، رقم (٤٥٤٩) ٤/٣٠٩. مسند أحمد رقم (٢٣٤٩٣) ٣٨/٤٧٨.

(٣) سورة النساء :٥٨.

(٤) انظر: السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ٤– ٩.

(٥) انظر: القِرى لقاصد أم القرى ٥٠٦، المجموع للنووي ٧/٤٦٨ .

عن عائشة – رضي الله عنها – زوج النبي ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: ألم تري أن قومك لما بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد إبراهيم. فقلت: يا رسول الله ألا تردها على قواعد إبراهيم ؟ فقال: لولا حدثان قومك بالكفر" [١][٢].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب ﴿ يزفون ﴾/ الصافات ٩٤ / النسلان في المشي، رقم: (٣١٨٨)، ٣/١٢٣٢.

(٢) انظر: صحيح مسلم (١٣٣٣) ٢/٩٦٨.

الفصل الرابع: الكعبة عند المخالفين والرد عليهم:-

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أهل الكتاب.

المطلب الأول: دراسة نصوص العهد القديم المتضمنة إشارات إلى الكعبة.

الأول: إشارات التكوين.

الإشارة الأولى : " واجتاز إبرام في الأرض إلى مكان شكيم إلى بلوطة مورة وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض، و ظهر الرب لإبرام، وقال: لنسلك أعطي هذه الأرض، فبنى هناك مذبحاً للرب الذي ظهر له، ثم نقل من هناك إلى الجبل شرقي بيت إيل و نصب خيمته و له بيت إيل من المغرب و عاي من المشرق فبنى هناك مذبحاً للرب ودعا باسم الرب، ثم ارتحل إبرام ارتحالا متوالياً نحو الجنوب"(١).

قال المهتدي عبد الحق الإسلامي المغربي، وهو من أحبار اليهود بسبته الذين منَّ الله عليهم بالإسلام في كتابه الحسام الممدود في الرد على اليهود :

" إن ابراهيم عليه السلام كان يصلي إلى مكة حسبما شهدت به نصوصهم، فمن ذلك(٢):

(وكان إبراهيم عليه السلام في أكثر رحيله إنما يرحل إلى مكة) وقوله في النص – أي العبري -:(هتنجبه) عدده مكة (٣)، فإن قيل: مالدليل في هذا النص؟ فالجواب : أن اليهود لعنهم الله يزعمون أنهم على ملة إبراهيم، وأنهم أولى به من غيرهم، وإبراهيم عليه السلام كان يصلي بمكة ويدخل إليها، وهؤلاء اليهود – لعنهم الله ودمرهم – لايذكرون مكة بشفة ولا بلسان، فقد تناقض قولهم مع حالهم واختلفوا، وصارت دعاويهم مجردة لايوافقها علمهم.

وقد دل النص أنهم إذاً غير متبعين لإبراهيم عليه السلام، والمسلمون وفرهم الله تعالى متبعون له، ومامن أمة تسير إلى مكة وتعمل الرحلة إليها وتعتني بها إلا أمة محمد فهم التابعون لإبراهيم، وعلى ملته حقيقة " (٤).

---

(١) الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح ٦٢، التكوين ١٢.

(٢) أورد عبد الحق الإسلامي في كتابه نصاً بالعبرية، وذكر شرحه، وهو : " وكان إبراهيم عليه السلام في أكثر رحيله إنما يرحل إلى مكة"

(٣) حساب الجُمل: هي طريقة اتبعها اليهود في تفسير نصوصهم الدينية، ولا أصل لها في الشريعة الإسلامية، وإن اعتماد عبدالحق الإسلامي على أسلوب العدّ في كتابه هو من باب إقامة الحجة عليهم، وإلزامهم بما يعتقدونه. انظر مقدمة كتاب: الحسام الممدود في الرد على اليهود ٣١، ٣٢.

(٤) انظر :الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح ٦٠، ٦١.

وسيأتي – بإذن الله – بيان أقوال العلماء – رحمهم الله – في مايدل عليه لفظ " بلوطة مورة"، وعلاقته بجبل المروة المجاور للكعبة، حيث أسكن إبراهيم عليه السلام زوجه هاجر وجابنه إسماعيل[1].

الإشارة الثانية: " وقال يا هاجر جارية ساراي من أين أتيت و إلى أين تذهبين فقالت أنا هاربة من وجه مولاتي ساراي، فقال لها ملاك الرب: ارجعي إلى مولاتك واخضعي تحت يديها، و قال لها ملاك الرب: تكثيراً أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة، و قال لها ملاك الرب: ها أنت حبلى فتلدين ابنا و تدعين اسمه إسماعيل لأن الرب قد سمع لمذلتك، وإنه يكون إنساناً وحشياً يده على كل واحد ويد كل واحد عليه وأمام جميع اخوته يسكن، فدعت اسم الرب الذي تكلم معها أنت ايل رئي؛لأنها قالت: ههنا أيضا رأيت بعد رؤية، لذلك دعيت البئر بئر لحي رئي هاهي بين قادش وبارد، فولدت هاجر لإبرام ابناً ودعا إبرام اسم إبنه الذي ولدته هاجر اسماعيل، و كان إبرام ابن ست و ثمانين سنة لما ولدت هاجر إسماعيل لإبرام" [2] .

قال الإمام القرطبي– رحمه الله –:" فالتوراة تخبر بأن هاجر نبية[3]، أو صديقة مباركة، أوحى الله إليها، وكلمها وبشرها بنبوة ولدها إسماعيل وأخبر عنه بما لم يخبر به عن إسحاق، حيث قال فيه:(يده على كل، ويد كل به، وسيحل على جميع حدود إخوته)[4] .

وقد جاء في التوراة في حقها ما لم يجيء في حق سارة، وذلك أن ملاك الرب كلمها عن الله، وأبلغها أمره: مرتين، أو أكثر، فإذن هي نبية أو صديقة، وفي أي موضع من التوراة جاء أن سارة نبية، وأن الله أرسل إليها ملكاً ليبلغها أمره ونهيه، كما فعل بهاجر ؟

ولاشك أن من آتاه الله النبوة هو أفضل ممن لم يؤته إياها، ولايظن الجاهل أن هذا الكلام غض من منصب سارة رضي الله عنها، بل هي صديقة مباركة، وكل له مقام معلوم، والحق أحق أن يتبع " [5].

الإشارة الثالثة: " فبكَّر إبراهيم في الصباح وأخذ خبزاً وقربة ماء فأعطاها هاجر وجعل الولد[6] على كتفها، وصرفها، فمضت وتاهت في برية بئر سبع، ونفد الماء من القربة، فطرحت الولد تحت بعض الشيح، ومضت فجلست تجاهه على بعد رمية قوس؛ لأنها قالت: لارأيت موت الولد، فجلست تجاهه ورفعت صوتها وبكت.

---

(١) الحسام الممدود في الرد على اليهود ١٠٨، ١٠٩.

(٢) الدين والدولة ١٣١، مسالك النظر ٥١، تحفة الأريب ١٣٧، ١٣٨، الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح ٧١، التكوين ١٦.

(٣) ذهب جمهور العلماء إلى عدم جواز نبوة النساء. انظر: فتح الباري: ٦/ ٤٤٧.

(٤) التكوين ١٦.

(٥) انظر: الإعلام بمافي دين النصارى من الفساد والأوهام ٢٣٣.

(٦) جاء في سفر التكوين (١٦: ١٥):" وولدت هاجر لإبرام ابناً، فسمى إبرام ابنه الذي ولدته هاجر اسماعيل ".

وسمع الله صوت الصبي فنادى ملاك الرب هاجر من السماء وقال لها : مالك ياهاجر؟ لاتخافي، فإن الله قد سمع صوت الصبي حيث هو، قومي فخذي الصبي وشدّي عليه يدك، فإني جاعله أمة عظيمة، وفتح الله عينيها فرأت بئر ماء، فمضت وملأت القربة ماء وسقت الصبي، وكان الله مع الصبي حتى كبر فأقام بالبرية وكان رامياً بالقوس، وأقام ببرية فاران، واتخذت له أمه امرأة من أرض مصر"[1].

قال المهتدي علي بن ربن الطبري- رحمه الله -:" ففاران هي البلدة التي سكنها اسماعيل عليه السلام ولذلك قدم الله ذكرها في التوراة في قوله: فكان يتعلم الرمي في برية فاران، وقد علم الناس كلهم أن إسماعيل سكن مكة، فولده وأعقابه فيها وفيما حولها يعرفون مأوى جدّهم ولايجهلون بلده ووطنه"[2].

وأخبر النبي ﷺ عن إسماعيل عليه السلام أنه كان رامياً، كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري، عن يزيد بن أبي عبيد قال سمعت سلمة بن الأكوع ﷺ قال: مر النبي ﷺ على نفر من أسلم ينتضلون فقال النبي ﷺ :" ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً " [3].

الإشارة الرابعة: " وهذه سلالة إسماعيل بن إبراهيم، الذي ولدته هاجر المصرية خادمة سارة لإبراهيم، وهذه أسماء بني إسماعيل بحسب أسمائهم وسُلالتهم: نبايوت بِكْرُ إسماعيل، وقيدار وأدبئيل ومبسام ومشماع ودومة ومسَّا وحدار وتيما ويطور ونافيش وقدمة، هؤلاء هم بنو إسماعيل وهذه أسماؤهم بحسب قراهم ومخيماتهم: إثنا عشر زعيماً لعشائرهم. وهذه سنو حياة اسماعيل: مئة سنة وسبع وثلاثون سنة، ثم فاضت روحه ومات وانضم إلى أجداده، وأقاموا من حويلة إلى شور التي تجاه مصر وأنت آتٍ نحو أشور، وكان قد نزل قبالة جميع إخوته "[4].

وقيدار هو الإبن الثاني من أبناء إسماعيل عليه السلام بنص العهد القديم، ومن نابت وقيدار نشر الله العرب[5].

قال شيخ الإسلام- رحمه الله -:" وذلك أن رجال بني قيدار؛ هم (ربيعة) و(مضر) أبناء عدنان، وهما جميعا من ولد قيدار بن إسماعيل، والعرب كلهم من بني عدنان وبني قحطان؛ فعدنان - أبو ربيعة -، ومضر، وأنمار من ولد إسماعيل، باتفاق الناس، وأما قحطان؛ فقيل: هم من ولد إسماعيل، وقيل: هم من ولد هود. ومضر ولد إلياس بن مضر، وقريش هم من ولد إلياس بن مضر، وهوازن؛ مثل عقيل، وكلاب، وسعد بن بكر، وبني نمير، وثقيف، وغيرهم هم من ولد إلياس بن مضر.

وهؤلاء انتشروا في الأرض؛ فاستولوا على أرض الشام، والجزيرة، ومصر، والعراق، وغيرها، حتى إنهم لما سكنوا الجزيرة بين الفرات ودجلة، سكنت مضر في حران وما قرب منها؛ فسميت ديار مضر، وسكنت ربيعة في الموصل وما قرب منها؛ فسميت ديار ربيعة "[1].

---

(١) الدين والدولة ١٣٢، ١٣٣، محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن ٦٧ ، التكوين ٢١: ١٤-٢١.

(٢) الدين والدولة ١٣٨، ١٣٩. أنظر: غاية المقصود بالرد على النصارى واليهود ٥٦.

(٣) كتاب باب التحريض على الرمي، رقم (٢٧٤٣) ٣/١٠٦٢.

(٤) الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح ٧٠، التكوين ٢٥

(٥) انظر: تاريخ الرسل والملوك ١/ ٣١٤.

قال المهتدي إبراهيم خليل أحمد:" إن ذرية اسماعيل صارت معلومة لدى الاسرائيلين بأنهم سكان الصحراء العربية، ولم تكن مصادفة أن واحداً من الاثني عشر رئيساً من أبناء اسماعيل ذلك الابن المسمى قيدار، وأن اسم قيدار صار أكثر شهرة في مجال النبوة من أنبيآء بني إسرائيل، وتقول التوراة:(وهذه مواليد إسماعيل بن ابراهيم الذي ولدته هاجر المصرية خادمة سارة لإبراهيم، وهذه أسماء بني إسماعيل بأسمائهم حسب مواليدهم، نبايوت بكر إسماعيل، وقيدار وأدبئيل ومبسام...اثنا عشر رئيساً حسب قبائلهم)[٢].

وبعض نصوص الكتاب المقدس تبين أن قيدار رمز للعرب عامة، كما يقول حزقيال:(العرب وكل رؤساء قيدار هم تُجار يدك بالخرفان والكباش والأعتدة في هذه كانوا تجارك) [٣].

ويقول أشعياء: (كل غنم قيدار تجتمع إليك، كباش نبايوت تخدمك، تصعد مقبولة على مذبحي وأزين بيت جمالي)[٤]. وهذا دلالة هامة على أن ذرية إسماعيل صارت مرموقة عند الله سبحانه، وليست هذه الشهرة عفواً، ولكن بهدف رباني، وغرض لامثيل له ليؤكد لبني إسرائيل أن من نسل هذا يولد الذي حياته وأعماله، فضلاً عن سمو ذاته سيتحقق فيه النصيب المضاعف لحقوق البكر من المجد لسلالة إسماعيل ولاريب " [٥].

قال الإمام عبدالحميد الفراهي – رحمه الله –:"وقد جعل الله تعالى بلدة إسماعيل قبلتهم، فأسكن إبراهيم أولاده في مشرق العرب وشماله، ولكن جعل لهم قبلة إلى مسكن إسماعيل، فإنه أنزله أمام جميع إخوتهم، (وسكنوا من حويلة إلى أشور التي أمام مصر حينما تجيء من نحو أشور أمام جميع إخوتهم نزل)، (وإنه يكون إنساناً وحشياً يده على كل واحد، ويد كل واحد عليه، و أمام جميع اخوته يسكن)، ولايصح لذلك تأويل آخر فإن أولاد إبراهيم غير بني إسماعيل سكنوا في المشرق والشمال فلايكون أمام جميعهم إلا أن يكون في جهة قبلتهم، فجعل الله إبراهيم إماماً، وأورثه أسماعيل، فلم يجعل مسكن إسماعيل قبلة لقرابينهم إلا لكون المنحر الإبراهيمي عنده" [٦].

ويؤكد الإمام رحمة الله بن خليل الرحمن الكيرانوي (ت ١٣٠٨هـ) :" إن لفظ (الإخوة) جاء بهذا الإستعمال الحقيقي في وعد الله هاجر في حق إسماعيل عليه السلام في الآية الثانية عشرة من الباب السادس عشر من سفر التكوين، وعبارتها في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤م هكذا :(وقبالة جميع إخوته ينصب المضارب)، وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة١٨١١م هكذا :(بحضرة جميع إخوته يسكن) وجاء بهذا الإستعمال أيضاً، في الآية الثامنة عشرة من الباب الخامس والعشرين من سفر التكوين في حق إسماعيل في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤م هكذا : (منتهى إخوته

---

(١) الجواب الصحيح ٧١٦.

(٢) التكوين ٢٥.

(٣) محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن ٣٩، حزقيال ٢٧.

(٤) أشعياء ٦٠.

(٥) محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن ٣٨، ٣٩، التكوين ٢٥.

(٦) الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح ٧١،٧٠.

جميعهم سكن) وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١م هكذا: (أقام بحضرة جميع إخوته)، والمراد بالإخوة ههنا بنو عيسو وإسحاق وغيرهم من أبناء إبراهيم عليه السلام" [١].

الثاني: إشارة التثنية.

" إن الرب جاء من طور سينين، وطلع لنا من ساعير، وظهر من جبال فاران، ومعه عن يمينه ربوات القديسين فمنحهم العز وحببهم إلى الشعوب ودعا بجميع قديسيه بالبركة " [٢]

قال الإمام المهتدي السموأل بن يحي المغربي: وهم يعلمون أن جبل سيعير هو جبل الشراة الذي فيه بنو العيص، الذين آمنوا بعيسى عليه السلام، بل في هذا الجبل كان مقام المسيح عليه السلام، ويعلمون أن سيناء، هو جبل الطور، لكنهم لايعلمون أن جبل فاران هو جبل مكة .

وفي الإشارة إلى هذه الأماكن الثلاثة، التي كانت مقام نبوة هؤلاء الأنبياء، مايقتضي للعقلاء، أن يبحثوا عن تأويله المؤدي إلى الأمر باتباع مقالتهم.

فأما الدليل الواضح من التوراة، على أن جبل فاران، هو جبل مكة، فهو أن إسماعيل لما فارق أباه الخليل عليه السلام، سكن في برية فاران، ونطقت التوراة بذلك في قوله:(وأقام في برية فاران، وأنكحته أمه امرأة من أرض مصر) [٣] [٤].

قال المهتدي الشيخ زيادة بن يحي الراسي- رحمه الله، وهو من علماء النصارى الذي أسلموا في القرن الحادي عشر الهجري - :" ولفظة فاران لها معان كثيرة في (شوراش) العبراني، أي القاموس، منها الجبل الظليل، ومنها الجبل الذي فيه مغر مجوف من داخله، كما ترجمت هذه اللفظة من اللغة اليونانية.

وجبل مكة الذي شرحنا عنه، الذي موقعه بقربها مسافة ثلاثة أميال، واسمه الآن(غار حراء)، بمعنى المغور، الذي كان ﷺ يختلي فيه في مغارة ثمان سنوات، معتزلاً لفراغ القلب بالذكر، وفيه أوحى الله تعالى إليه بواسطة جبرائيل عليه السلام، ولذي يؤكد ذلك ظهور أنوار سيدنا محمد ﷺ منه وشريعته الغراء وليس سواها،

---

(١) إظهار الحق ٥٢٠.

(٢) الدين والدولة ١٣٨، افحام اليهود ١١٨، النصيحة الايمانية ١٤٤، مسالك النظر ١٦، تحفة الأريب ١٣٩،البحث الصريح ٢٢١، بيان الواضح المشهود ٣٨٤، ، الأجوبة الفاخرة ١٧٩، غاية المقصود بالرد على النصارى واليهود ٥٥، الفارق بين المخلوق والخالق ٣٨٣، إظهار الحق ٥٢٧، محمد ﷺ كماورد في كتاب اليهود والنصارى ٢٠، محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن ٦٥، سفر التثنية ٣٣.

(٣) التكوين ٢١.

(٤) انظر: إفحام اليهود ١١٨، ١١٩.

كما قد يثبت هذا الباب حبقوق النبي في الشهادة التي تتلو هذه، إذ أنه مع ذكر اسم فاران، يعين أيضاً جهتها، التي هي القبلة لئلا تجهل وتلتبس.

وأيضاً أقول: إن لفظة فاران مشتقة من فاران في اللغة العبرية وتعريبها المتجمل المتزين، وكأن حبقوق مع موسى عليهما السلام يقولان عن نبينا: إنه يأتي من الجبل المتزين، وجبل مكة يصدق عليه هذا الاسم أيضاً، بحيث هو المتجمل بوجود بيت الله، الحرم الأعظم المبني فيه من دهور عديدة، قبل ظهور النبي الكريم من سيدنا إبراهيم، المتردد على تلك الأمكنة، كما هو محرر في سفر التكوين في الإصحاح الثاني عشر "[١].

قال سعيد بن حسن الاسكندراني- رحمه الله ، وكان يهودياً فأسلم سنة ٦٩٨هـ -: " اتفق أهل اللغة العبرانية على أن جبال فاران: هي جبال مكة، وربوات قدسه هم: أهل البيت الحرام "[٢].

قال الإمام القاضي أبي البقاء الهاشمي- رحمه الله -: " وفاران: هو جبل بني هاشم الذي كان رسول الله ﷺ يتحنث فيه ويتعبد، وفيه فاتحة الوحي"[٣].

الثالث: إشارات المزامير.

الإشارة الأولى: قول داود عليه السلام " يجوز البحر من البحر، ومن لدن الانهار الى منقطع الارض، وأنه يخر أهل الجزائر بين يديه على ركبهم وتلحس أعداؤه التراب. تأتيه ملوك تارسيس والجزائر بالقرابين، وتقرب إليه ملوك سابا القرابين، وتسجد له الملوك كلهم، وتدين له الأمم كلها بالطاعة والانقياد، لأنه يخلص المضطهد البائس ممن هو أقوى منه، وينقذ الضعيف الذي لاناصر له، ويرأف بالضعفاء والمساكين، وينجي أنفسهم من الضر والضيم ، وتعز عليه دماؤهم، وأنه يبقى ويعطي من ذهب بلاد سبأ، ويصلي عليه في كل وقت، ويبارك عليه كل يوم مثل الزروع الكثيرة على وجه الارض، ويطلع ثماره على رؤوس الجبال كالتي تطلع من لبنان، وينبت في مدينته مثل عشب الارض ويدوم ذكره إلى الأبد، وإن اسمه لموجود قبل الشمس فالأمم كلهم يتبركون به وكلهم يحمدونه" [٤]

---

(١) البحث الصريح في أيهما الدين الصحيح ٢٢٣-٢٢٦.

(٢) مسالك النظر في نبوة سيد البشر ٤٩.

(٣) بيان الواضح المشهود من فضائح النصارى واليهود ٣٨٥.

(٤) الدين والدولة ١٤٠ ، تحفة الأريب ١٤١، المزمور ٧٢.

قال المهتدي علي بن ربن الطبري: " فما نعلم أحداً ملك مابين البحر والبحر، وبين الانهار التي ذكرها الله في التوراة، وهي دجلة والفرات وبيشون وجيحون، وخرت الملوك بين يديه سجداً على الركب، ولحس أعداؤه التراب، وأتته ملوك اليمن بالقرابين، إلا النبي وأمته وإلا مكة ومافيها من آثار قدم إبراهيم..." [(١)].

الإشارة الثانية: قول داود عليه السلام في المزمور الرابع والثمانين " ما أحلى مساكنك يارب الجنود، تشتاق بل تتوق نفسي إلى ديار الرب، قلبي ولحمي يهتفان بالإله الحي، العصفور أيضاً وجد بيتاً والسنونة عشاً لنفسها حيث تضع أفراخها، مذابحك يارب الجنود ملكي وإلهي. طوبى للساكنين في بيتك أبداً يسبحونك..سِلاه.

طوبى لأناس عزهم بك، **طُرق بيتك في قلوبهم، عابرين في وادي البكاء**، يصيرونه ينبوعاً، أيضاً ببركات يُغطُّون مورة، يذهبون من قوة إلى قوة، يرون قدام الله في صهيون.يارب إله الجنود اسمع صلاتي واصغ يا إله يعقوب. سِلاه.

يامجننا انظر يا الله والتفت إلى وجه مسبحك، لأن يوماً واحداً في ديارك خير من ألف، اخترت الوقوف على العتبة في بيت إلهي على السكن في خيام الاشرار، لأن الرب الله شمس ومجنّ، الرب يعطي رحمة ومجداً، لا يمنع خيراً عن السالكين بالكمال، يارب الجنود طوبى للإنسان المتكل عليك"[(٢)].

حيث سيأتي بيان ماجرى للاسم القديم لمكّة وهو بَكّة، والذي يطلق أيضاً على الكعبة[(٣)]، فقد جاء اسمها في مزمور " ٨٤: ١ ـ ٧ " حسب الأصول العبرية والترجمات الإنجليزية تحت اسم بكا أو بكة (Baca) ، ثم تحوَّل إلى "وادي الجفاف" في بعض النسخ[(٤)].

" ونجد هذا النصّ حسب النسخة الكاثوليكية العربية هكذا: "... تذوب نفسى شوقا إلى ديار الرب، قلبى وجسمى يُرنِّمان للإله الحىّ ... هنيئا للمقيمين فى بيتك، هم على الدوام يُهللون لك، هنيئا للذين عِزَّتهم بك، وبقلوبهم يتوجهون إليك يعبرون فى وادى الجفاف فيجعلونه عيون ماء، بل بركاً يغمرها المطر، ينطلقون من جبل إلى جبل ". يلاحظ هنا أنَّ العبارات ديار الرب، بيتك، مورة، من جبل إلى جبل.. إذا سمعها المسلمون علموا أنَّ الحديث يشير إلى مكة المكرمة وبيت الله الحرام. وكلمة مورة تذكرهم بجبل الـ مروة، ومن جبل إلى جبل تذكرهم بالسعى بين جبلى الصفا والـ مروة " [(٥)].

---

(١) الدين والدولة ١٤١، ١٤٢.

(٢) الحج إلى الكعبة في التوراة والزبور والقرآن ١٥٥، ١٥٦، المزمور ٨٤.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن ٦/ ٢٥، تفسير القرآن العظيم ٢/ ٧٨.

(٤) انظر: نبي أرض الجنوب في الأسفار اليهودية والمسيحية ١٠٢.

(٥) المصدر نفسه ١٠٢.

الرابع: إشارات إشعياء.

الإشارة الأولى:" إني رافع آية للأمم، من بلد بعيد، وأصفر لهم من أقاصي الأرض صفيراً فيأتون سراعاً عجالاً... " [(١)]

قال شيخ الإسلام – رحمه الله – :" والنداء هو ماجاء به النبي ﷺ من التلبية في الحج، وهم الذين جعلوا لله الكرامه؛ فوحدوه، وعبدوه، وأفردوه بالربوبية، وكسروا الأصنام، وعطلوا الأوثان، والعلم المرفوع، النبوة، وصفيره: دعاؤهم إلى بيته ومشاعره، فيأتون سامعين مطيعين" [(٢)] .

قال الإمام ابن القيم – رحمه الله –: " الصفير بهم دعائهم من أقاصي الأرض للحج فإذا هم سراع يأتون، وهذا مطابق لقوله تعالى:﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ٢٧ ﴾[(٣)]"[(٤)].

ويرى المهتدي الشيخ زيادة بن يحي الراسي أن قول أشعيا يقصدُ به النبي ﷺ وأن الله يرفعه، وينصبه علامة للأمم، ودليلاً ليهديهم به، وقوله: (من بعيد) لاتشير إلى أرض إسرائيل التي تكلم فيها أشعيا هذه الإشارة، وقوله (وأصفر لهم من أقاصي الأرض) كأنه يقول: إن نهاية وأقصى أرض إسرائيل هي التي خرج منها نبينا ﷺ، أعني : مكة المشرفة، التي هي عند أقصى أرض إسرائيل[(٥)].

الاشارة الثانية:" هكذا يقول الرب إنك تأتي من جهة التيمن، من بلد بعيد، ومن أرض البادية مسرعاً..."[(٦)].

قال المهتدي علي بن ربن الطبري– رحمه الله –:" ولقد شرح أشعيا النبي ذلك، ولم يدعهم في عمى وفتح منهم الآذان الصماء، فقال: إنَّ هكذا يقول الرب إنك ستأتي من جهة التيمن، ثم فسر ذلك فقال: من بلد بعيد ومن أرض البادية، لئلا يدع لمحتج حجة "[(٧)].

---

(١) الدين والدولة ١٤٥، الجواب الصحيح ٧١٢، هداية الحيارى ١٥١، البحث الصريح في أيهما الدين الصحيح ١٦٨، أشعياء ٥.

(٢) الجواب الصحيح ٧١٢.

(٣) سورة الحج: ٢٧.

(٤) هداية الحيارى ١٥١.

(٥) انظر: البحث الصريح في أيهما هو الدين الصحيح ١٦٨– ١٧٠.

(٦) الدين والدولة ١٤٨ ، اشعيا ١٢.

(٧) الدين والدولة ١٤٨ .

الاشارة الثالثة: قال أشعيا:" إنكم ستبيتون في الغيضة التي على طريق دورنيم، فتلقوا العطاش بالماء ياسكان التيمن واستقبلوا بالأطعمة القوم المبددين المفرقين؛ لأن السيف بدَّدَ ومن الشفار المشحوذة والقسي الموترة والحرب العوان المستعرةكان تشردهم " [(١)].

قال المهتدي علي بن ربن الطبري- رحمه الله -:" فمن هؤلاء العطاش الذين أقبلوا من جهة التيمن الذين أمر الله عز وجل أهل بلدانهم بتلقيهم؟ أو من هؤلاء الذين أجلتهم الحروب أو شردت بهم؟ ومن الذين أمر الله باستقبالهم بالمياه والمطاعم غير العرب"[(٢)].

وفسر المهتدي الشيخ زيادة بن يحي الراسي- رحمه الله – التيمن بالقبلة في أكثر من موضع، حيث قال: :"ياسكان التيمن – أي القبلة – اخرجوا بالخبز والماء " [(٣)]. ، وقال:" وقد لاقوه سكان التيمن أي القبلة بالخبز والماء" [(٤)]، ويرى أن هذه النبوءة من أشعيا قد انطبقت على نبينا محمد ﷺ لما هاجر من وطنه، أي مكة المشرفة وجاء إلى المدينة المنورة فعلى الطريق قدم له الخبز والماء من سكان التيمن[(٥)].

الاشارة الرابعة: قول أشعياء حاكياً عن الله تعالى في الإصحاح الحادي والأربعون :" سأبعث من الصبا قوماً يأتون من المشرق مجيبين أفواجاًكالصعيد كثرة ، ومثل الطيان الذي يدوس برجله الطين" [(٦)].

قال الإمام ابن القيم- رحمه الله -: " "والصبا" يأتي من نحو مطلع الشمس، بعث الله سبحانه من هناك قوماً من اهل المشرق مجيبين بالتلبية كالتراب كثرة. وقوله" ومثل الطيان الذي يدوس برجله الطين" إما أن يراد به الهرولة بالطواف والسعي، وإما أن يراد به رجال قد كلّت ارجلهم من المشي"[(٧)].

الإشارة الخامسة: " تفرح البرية والأرض اليابسة، يبتهج القفر ويزهر كالنرجس يزهر إزهاراً ، ويبتهج ابتهاجاً ويرنم، يدفع إليه مجد لبنان، بهاء كرمل وشارون، هم يرون مجد الرب بهاء إلهنا. شددوا الأيادي المسترخية، والركب المرتعشة ثبتوها، قولوا لخائفي القلوب: تشددوا لاتخافوا هوذا إلهكم، الانتقام يأتي جزاء الله، هو يأتي ويخلصكم، حينئذ تفتح عيون العمي، وأذان الصم تتفتح، حينئذ يقفز الأعرج كالايل، ويترنم لسان الأخرس؛ لأنه قد انفجرت في البرية مياه، وأنهار في القفر، ويصير السراب أجماً، والمعطشة ينابيع ماء، في مسكن الذئاب في مرابضها دار للقصب

---

(١) الدين والدولة ١٥٢، البحث الصريح في أيهما الدين الصحيح ٢١٥، محمد ﷺ كماورد في كتاب اليهود والنصارى٢٢، أشعياء ٢١.

(٢) الدين والدولة ١٥٢.

(٣)المصدر نفسه ٢١٦,٢١٥.

(٤) المصدر نفسه ٢١٨.

(٥)البحث الصريح في أيهما الدين الصحيح ٢١٦.

(٦) هداية الحيارى ١٥٢ ، الإعلام بما في دين النصارى من الأوهام ٢٧٨، اشعياء ٢٥.

(٧) هداية الحيارى ١٥٢.

والبردى، وتكون هناك سكة وطريق يقال لها الطريق المقدس، لايعبر فيها نجس بل هي لهم من سلك في الطريق حتى الجهال، لايكون هناك أسد وحش مفترس، لايصعد إليها لايوجد هناك، بل يسلك المفديون فيها ومفديوا الرب يرجعون ويأتون إلى صهيون بترنم، وفرح أيدي على رؤوسهم، ابتهاج وفرح يدركانهم، ويهرب الحزن والتنهد"(١).

قال العلامة عبدالرحمن الباجه جي زاده: "والمراد بالبرية والأرض اليابسة والقفر أراضي الحجاز وبادية العرب حيث ابتهجت وتحول إليها مجد لبنان واتخذ الناس من جميع البلاد إليها طريقاً مقدسة وهي طريق الحج التي لايسلكها إلا التائبون الطاهرون المنيبون إلى الله تعالى المفديون الذين يقربون القرابين إليه سبحانه في مناسكهم ويتقربون له بأضاحيهم وذبايحهم".

وقوله:" وتكون هناك سكة وطريق يقال لها الطريق المقدس، لايعبر فيها نجس" "إشارة لطريق الحج لأن مكة المشرفة مقدسة وفيها بيت الله الحرام ولايعبر فيها نجس بل هي للمسلمين إلى هذا اليوم، إذ لايعبر طريق الحج في بلاد العرب أحد خلاف المسلمين(٢).

وقوله:" يرجعون ويأتون إلى صهيون بترنم، وفرح أيدي على رؤوسهم، ابتهاج وفرح يدركانهم، ويهرب الحزن والتنهد" أي: " ثم يرجعون من الحج قاصدين زيارة بيت المقدس كما أمرهم خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام فيأتونه عائدين من الحج فرحين مبتهجين بما وفقهم الله تعالى إليه من زيارة البيت الحرام وحصولهم على المرام بالوصول إلى البيت المقدس الذي هو أحد المساجد الثلاثة الذي شرع لهم السفر إليها والعبادة فيها"(٣).

الاشارة السادسة: " لترتاح البوادي وقراها، ولتصر أرض قيدار مروجاً، وليسبح سكان الكهوف ويهتفوا من قلل الجبال بحمد الرب، ويذيعوا تسابيحه في الجزائر"(٤).

قال المهتدي علي بن ربن الطبري- رحمه الله -:" فلمن البوادي يابن عمي يهديكم الله إلا لهذه الأمة، أو من قيدار؟ إلا ولد إسماعيل عليه السلام، وهم سكان الكهوف الذين يحمدون الرب ويذيعون تسابيحه في الهواجر والأسحار " (٥) .

---

(١) الدين والدولة ١٥٣، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ٢٨٠، هداية الحيارى ١٥٠، الفارق بين المخلوق والخالق ٣٩٣، أشعياء ٣٥.

(٢) محمد نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن ٢١.

(٣) انظر: الفارق بين المخلوق والخالق ٣٩٣.

(٤) الدين والدولة ١٤٣، الأجوبة الفاخرة ١٨٥، الجواب الصحيح ٧٠٩، هداية الحيارى ١٤٧، بيان الواضح المشهود من فضائح النصارى واليهود ٣٩٢، تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ٢/ ٦٦١، إظهار الحق ٥٣٦، الفارق بين الخالق والمخلوق ٣٩٢، أشعياء ٤٢: ١١-١٢.

(٥) الدين والدولة ١٤٣ .

قال الإمام القاضي أبي البقاء الهاشمي – رحمه الله –: هذه صفة محمد ﷺ وأمته وشعارهم في الحج ولايعرف ذلك لغيرهم، وليس سكان الجبال سواهم و(قيدار) هو ابن اسماعيل والد محمد ﷺ "[1].

وبيَّن الإمام رحمة الله بن خليل الرحمن الكيرانوي– رحمه الله – أن الهتاف من رؤوس الجبال" إشارة إلى العبادة المخصوصة التي تؤدى في أيام الحج، يصيح ألوف ألوف من الناس بلبيك اللهم لبيك"، وأن إذاعة تسابيحه في الجزائر" إشارة إلى الأذان يخبر به ألوف ألوف في أقطار العالم في الأوقات الخمس بالجهر"[2].

قال العلامة عبدالرحمن الباجه جي زاده– رحمه الله –: " والتسبيحات هو القرآن الكريم وسائر عبادات المسلمين ومايلهجون به من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير في صلواتهم وصيامهم وحجهم ولاسيما عند التلبية بجبل عرفات حفاة عراة يوحدون الله تعالى ويتضرعون إليه ولايشركون به شيئاً ويطلبون منه الغفران"[3].

الإشارة السابعة: قول إشعياء مخاطباً مكة وهاجر: " أنا رسمتك على كفي فأسوارك أمامي في كل وقت، وسيأتيك ولدك سراعاً، ويخرج عنك من أراد أن يتحيفك ويخربك، فارفعي بصرك إلى مافوق، وانظري فإنهم يأتونك ويجتمعون عن آخرهم إليك. يقول الله مقسماً باسمه : إني أنا الحي، لتلبسنهم مثل الحلة، ولتزيين بالإكليل مثل العروس، ولتضيقن عنك قفارك وخراباتك، والأرض التي أجئوك إليها، وضغطوك فيها من كثرة سكانها والراغبين فيها، وليهربن منك من كان يناويك ويهتضمك، وليقولن لك ولد عقمك: أيتها النزور الرقوب، قد ضاقت بنا البلاد فتزحزحوا وانفرجوا فيها لتتسع في فيافيها، وستحدثين حينئذ فتقولين: من رزقني هؤلاء كلهم، ومن تكفل لي بهم" [4] .

قال شيخ الإسلام– رحمه الله –:" وذلك إيضاح من أشعيا بشأن الكعبة، فهي التي ألبسها الله الحلل والديباج الفاخرة، ووكَّل بخدمتها الخلفاء والملوك، ومكة هي التي ربى الله لها الأولاد من حجاجها، والقاطنين بها، وذلك أن مكة هي التي أخرج عنها كل من أن أراد أن يخيفها ويخربها؛ فلم تزل عزيزة مكرمة محرمة لم يهنها أحد من البشر قط، بل أصحاب الفيل لما قصدوها عذبهم الله العذاب المشهور، ولم تزل عامرة محجوجة من لدن إبراهيم الخليل، بخلاف بيت المقدس؛ فإنه قد أخرب مرة بعد مرة، وخلا من السكان، واستولى العدو عليه وعلى أهله.

وكذلك إخباره بإهانة كل من يناويها: هو للكعبة دون بيت المقدس؛ قال تعالى: ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾[5]"[1].

---

(١) بيان الواضح المشهود من فضائح النصارى واليهود ٣٩٣. انظر: الجواب الصحيح ٧٠٩، هداية الحيارى ١٤٧.

(٢) انظر: إظهار الحق ٥٣٦.

(٣) الفارق بين الخالق والمخلوق ٣٩٢.

(٤) الدين والدولة ١٦٤، الجواب الصحيح ٧١٤، اشعيا ٤٩.

(٥) سورة الحج: ٢٥.

الإشارة الثامنة: قول إشعياء في الفصل السادس والعشرين مخاطباً هاجر عليها السلام: " سبحي أيتها النزور الرقوب، واغتبطي بالحمد أيتها العاقر، فقد زاد ولد الفارغة المجفية على ولد المشغولة الحظية، وقال لها الرب: أوسعي مواضع خيامك، ومدي ستور مضاربك، لاتنفسي ولاتضني بل طولي أطنابك، واستوثقي من أوتادك، من أجل أنك تتبسطين وتنتشرين في الأرض يميناً وشمالاً، وترث ذريتك الأمم، ويسكنون القرى المعطلة اليباب" (٢).

قال: الإمام القاضي أبي البقاء الهاشمي – رحمه الله –:" هذه نبوءة من نبي الله أشعيا من صرفها عن هاجر أم إسماعيل والكعبة المحجوج إليها، فما شم رائحة الفهم، ولا ذاق طعم العلم، ولادرى صناعة الاستنباط من كتب الله المنزلة ".

ويرى – رحمه الله – أن قول أشعيا: " لقد زاد ولد الفارغة المجفوة على ولد المشغولة الحظية" يحمل معنيين:" فهو يريد أن أولاد هاجر عليها السلام، وهي أم ولد إبراهيم الخليل زادوا على أولاد سارة (المشغولة الحظية، أو يريد أن زوار الكعبة قد زادوا على زوار البيت المقدس، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم" (٣).

وأوضح الإمام رحمة الله بن خليل الرحمن الكيرانوي– رحمه الله – هذا النص بقوله:" فخاطب الله مكة آمراً لها بالتسبيح والتهليل وإنشاء الشكر؛ لأجل أن كثيرين من أولاد هاجر صاروا أفضل من أولاد سارة، فحصلت الفضيلة لها بسبب حصول الفضيلة لأهلها، ووفى بما وعد بأن بعث محمداً ﷺ رسولاً أفضل البشر خاتم النبيين من أهلها في أولاد هاجر، وحصل لها السعة بواسطة هذا النبي وماحصل لغيرها من المعابد في الدنيا إذ لايوجد في الدنيا معبد مثل الكعبة من ظهور محمد إلى هذا الحين، والتعظيم الذي يحصل لها من القرابين في كل سنة".

وفسّر – رحمه الله – سُكنى القرى المعطلة، وعُمران المدن الخربة بقوله: إن " سلاطين الإسلام سلفاً وخلفاً اجتهدوا اجتهاداً تاماً في بناء الكعبة والمسجد الحرام وتزيينهما، وحفر الآبار والبرك والعيون في مكة ونواحيها، ومن المدة الممتدة هذه الخدمة الجليلة متعلقة بسلاطين آل عثمان، غفر الله لأسلافهم ورضي الله عنهم وزاد الله إقبال أخلافهم ووسع مملكتهم في الجهات، ووفقهم للعدل والحسنات، فهم خدموا ويخدمون الحرمين المعظمين أدام الله شرفهما من هذه المدة إلى هذا الحين كما هي، حتى صار لقب خادم الحرمين الشريفين

---

(١) الجواب الصحيح ٧١٣، ٧١٤.

(٢) الدين والدولة ١٥٨، بيان الواضح المشهود من فضائح النصارى واليهود ٣٩٩، الأجوبة الفاخرة ١٨٨، الفارق بين المخلوق والخالق ٣٩٤، إظهار الحق ٥٣٧، محمد رسول الله هكذا بشرت به الأناجيل ٦٧، أشعياء ٥٤.

(٣) بيان الواضح المشهود من فضائح النصارى واليهود ٤٠٠.

عندهم أشرف الألقاب وأعزها، والغرباء يحبون مجاورتها من ظهور الإسلام إلى هذا الحين، سيما في هذا الزمان، وألوف من الناس يصلون إليها في كل سنة من أقاليم مختلفة وديار بعيدة"[1].

وبيَّن العلامة عبدالرحمن الباجه جي زاده- رحمه الله -: مايشير إليه قوله " سبحي أيتها النزور الرقوب، واغتبطي بالحمد أيتها العاقر" بأنه " أراد به مكة المشرفة ووصفها بالعاقر لكونها لم يخرج منها نبي قبل ذلك فبشرها بخاتم الأنبياء الذي يحق لا أن تترنم من أجله أو لكونها خالية من الزرع كما قال تعالى في القرآن العظيم : ﴿أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ ﴾[2]، وقوله: " فقد زاد ولد الفارغة المخفية على ولد المشغولة الحظية" يشير إلى هاجر أم إسماعيل لأنها كانت مستوحشة مطرودة في البر الأقفر فكان بنوها من نسل إسماعيل أمة عظيمة أكثر من نسل إسحاق ابن سارة المعبر عنها بذات البعل، وقوله:" أوسعي مواضع خيامك، ومدي ستور مضاربك، لاتنفسي ولاتضني بل طولي أطنابك" أشار به إلى ما أعطاها من الشأن والمجد بقصدها من جميع البلاد والأصقاع وتوارد الأمم الكثيرة إليها من عامة البقاع لزيارة البيت الحرام والحج أضعاف زوار البيت المقدس وقوله: " واستوثقي من أوتادك، من أجل أنك تتبسطين وتنتشرين في الارض يميناً وشمالاً، وترث ذريتك الأمم، ويسكنون القرى المعطلة اليباب" وقع حرفاً بحرف لأن نسل هاجر من المسلمين ورثوا أمماً عظيمة وعمروا مدناً كثيرة، وقد طهَّر الله مكة من خزي الجاهلية وعارها ببعثة محمد ﷺ فأبدلها بالكفر إيماناً وبالوحشة أنساً وبالخوف أمناً يبقى إن شاء الله أبد الآبدين"[3].

الإشارة التاسعة: قال إشعياء في الفصل الثامن والعشرين مخاطباً هاجر عليها السلام:

" أيتها المنغمسة المتغلغلة في الهموم التي لم تنل حظوة ولا سلواً، إني جاعلٌ حجرك بلوراً، وموثق أساساتك بالحجر الأسمانجولي، ومزين حيطانك بالحجر اللازورد، وأبوابك بحجر البلق، ومزخرف حدود بيتك بالأحجار النفيسة، ويعرفني هنالك جميع ولدك ولاينكرونني، وأعم أبناءك بالسلم وتكونين مزينة بالصلاح والبر، فتنحَّي عن الأذى والمكاره لأنك آمنة منها، فانحرفي عن الانكسار والانخذال فلن يقرباك، ومن انبعث من بين يدي فإليك وفيك حلوله، وتصيرين وزراً وملجأ لقاطنيك وسكانك" [4].

---

(١) سورة إبراهيم : ٣٧.

(٢) إظهار الحق ٥٣٨، ٥٣٩.

(٣) انظر: الفارق بين المخلوق والخالق ٣٩٤، ٣٩٥.

(٤) الدين والدولة ١٥٩، الأجوبة الفاخرة ١٨٦، هداية الحيارى ١٤٩، الفارق بين المخلوق والخالق ٣٩٤، إظهار الحق ٥٣٧، أشعياء ٥٤.

قال المهتدي علي بن ربن الطبري- رحمه الله -:" هل تعرفون المذللة التغلغلة في الهموم إلا هاجر ؟ وهل تقع هذه المخاطبة إلا عليها وعلى ولدها ؟ فأي شيء أرفع وأعظم من شهادة الله لهم أنهم جميعاً يعرفونه ولايجهلونه، وأنه صير بلدهم وزراً وملجأ للناس أي حَرَماً وأمناً "[١].

قال الإمام شهاب الدين الصنهاجي المشهور بالقرافي- رحمه الله - :" ولم توجد هذه الصفة إلا لهذه الملة؛ لأن المهدي من بني العباس والملوك قبله وبعده تأنقوا في بناء البيت والمسجد الحرام بالأحجار النفيسة والذهب والأصباغ واللازورد حملت تيجان الملوك وذخائرهم فحليت بها الكعبة، حتى ان سقوف الحرم تأخذ بالبصر، وليس على وجه الارض كذلك غيرها، ولايمكن صرف هذا إلى بيت المقدس ؛ لأنه لم يكن متغلغلاً في الهموم من الكفر وعصيان الرب وعبادة الأصنام وأنواع الفجور والبهتان على الله تعالى سواه، ولم يكن أمناً لمن قصده إلا مكة فإنها محال الأمن في الجاهلية والإسلام وتعظيمها من خصائص الإسلام" [٢].

قال العلامة عبدالرحمن الباجه جي زاده- رحمه الله -:" وهذا أيضاً خطاب للكعبة المعظمة الموصوفة بتلك الأوصاف فليس اليوم على وجه الأرض بيت إلهي يقصده الناس مثلها في الشرف والاعتبار وفي كل سنة يُجلب إليها من الأموال النفيسة والأحجار الثمينة من أقطار الأرض مالايحصى"

الإشارة العاشرة: قول أشعيا عليه السلام مخاطباً هاجر عليها السلام وبلاد ولدها مكة " قومي وازهري مصباحك فقد دنا وقتك، وكرامة الله طالعة عليك، فقد تخللت الارض الظلام وغطى على الامم الضباب، فالرب يشرق عليك اشراقاً، وتظهر كرامته عليك، وتسير الامم الى نورك والملوك الى ضوء طلوعك ارفعي بصرك الى ماحولك وتأملي، **فإنهم سيجتمعون اليك ويحجونك ويأتيك ولدك من بعيد،** وتتربى بناتك على الأرائك والسرر ويستروح قلبك من أجل أنه يميل اليك البحر، **وتحج اليك عساكر الأمم** حتى تعمرك الابل المربلة وتضيق أرضك عن القُطُرات[٣] التي تجتمع اليك ويساق اليك كباش مدين، وكباش أعفا، وتأتيك أهل سبأ ويحدثون بنعم الله ويمجدونه، وتسير إليك أغنام قيدار كلها وتخدمك رجالات نباوت، ويرفع إلى مذبحي مايرضيني، وأحدث حينئذ **لبيت محمدتي حمداً**" [٤]

قال المهتدي علي بن ربن الطبري- رحمه الله -:" فهذه أيضاً يهديكم الله، نبوة قد ظهرت وآية قد برَّت وصدقت، وسارت الأمم إلى نور الدين، ومالت إلى هذه الامة ذخائر البحر، وحجت إلى مكة أرسال الأمم،

---

(١) الدين والدولة ١٥٩.

(٢) الأجوبة الفاخرة ١٨٦، ١٨٧.

(٣) قُطُرٌ بضمتين جمع القِطَارُ بالكسر، وهو العدد الكبير من الإبل، وجمعها قُطُراتٌ بضمتين أيضاً. انظر: مختار الصحاح ٥٦٠.

(٤) الدين والدولة ١٦١، بيان الواضح المشهود ٣٩٧، الإعلام بما في دين النصارى من الأوهام ٢٨٠، الجواب الصحيح ٧١١، هداية الحيارى ١٤٨، الأجوبة الفاخرة ١٨٦، تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ٦٨٣/٢، محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن ٧٥، محمد ﷺ كماورد في كتاب اليهود والنصارى ٢١،٢٣، محمد رسول الله هكذا بشرت به الأناجيل ٦٩، أشعياء ٦٠.

وعمر أهلها الأبل والقطرات عما يردها من الرواحل والجمالات، وحجَّ إليها أهل اليمن وأهل سبأ، وأشهر من ذلك وألزم لأذان المخالفين، قيذار ونباوت، هما من أبناء إسماعيل عليه السلام، وقد احتوشوها وصاروا سادها وخدامها، وجدد لبيت محمدته حمداً محمد ﷺ . فإن لم يكن ذلك فليسموا لنا غير النبي ﷺ وغير مكة "[1].

قال الإمام القاضي أبي البقاء الهاشمي – رحمه الله –: " رجال نبايوت – هو نبايوت بن إسماعيل – وهم: سدنة البيت الحرام، ومكة هي التي حملت إليها ذخائر البحرين، وحج إليها عساكر الأمم، ومن حضر مكة في أيام الحج عرف حقيقة ذلك.

واعلم أن نبؤة أشعيا هذه لاتليق إلا بمحمد رسول الله وبيته المحجوج وبلده المشهور"[2].

وقال أيضاً – رحمه الله –كتابة: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل :" وهذه نبوءة على تخصيص مكّة بشدّ الرحال إليها وتمليك أهلها وظهور الإيمان بالله منها، وإزالة ظلم الجهل بمصباح العلم المأخوذ عن أولادها، فمن أبى من المخالفين تنْزيل هذا الكلام على مكّة والكعبة فليرنا كعبة أخرى في الأرض شرقاً وغرباً وشريعةً هاديةً من الضلال، وملة ثابتة خالدة على مرّ الأحوال "[3].

قال الإمام القرطبي :" وقيدار ونبايوت ولدا إسماعيل وأغنامهم هي التي تساق إلى مكة هدياً، وهم أهل مكة، وخدام البيت وليس بعد هذا بيان "[4].

ويقرر المهتدي إبراهيم خليل أحمد أن نص أشعياء يتحدث عن إقبال الأمم لمكة ولبيت الله الحرام، يسوقون الهدي للذبح [5].

الإشارة الحادية عشر: **قال أشعياء في الفصل الثامن والعشرين** "هكذا يقول الرب سيترجاني أهل الجزائر، ومن في سفن تارسيس كما فعلوا من قبل، ويوردون عليك أبناءك من بلد بعيد ومعهم فضتهم وذهبهم، من أجل اسم الرب إلهك قدوس إسرائيل الذي أحمدك وأكرمك، ويبني أبناء الغرباء سورك، وملوكهم يخدمونك، وتفتح أبوابك في كل وقت وأوان من آناء الليل والنهار فلا تغلق، ويدخل إليك أرسال الأمم، ويقاد إليك ملوكهم أسرى، لأن كل أمة ومملكة لا تخضع لك تتبدد ستورها، وتصطلم الشعوب بالسيف اصطلاماً،

---

(١) الدين والدولة ١٦٢. انظر: الجواب الصحيح ٧١١، هداية الحيارى ١٤٨.

(٢) بيان الواضح المشهود ٣٩٨.

(٣) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ٦٨٣/٢.

(٤) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ٢٧٩.

(٥) محمد في التوراة والإنجيل والقرآن ٧٥.

وتأتيك الكرامة من صنوبر لبنان البهي، ومن أبهلّها **ليبخر به بيتي، ويعظم به موضع قدمي ومستقر كرامتي**، وتأتيك أبناء القوم الذين كانوا يُذلُّونك، **ويُقبِّل آثار أقدامك** جميع من كان يؤذيك ويضطهدك، وأجعلك كرامة إلى الأبد، وغبطة وفرحاً إلى دهر الدّاهرين، وسترضعين ألبان الشعوب، وستصيبين من غنائم الملوك، وتتمزَّزين من غاراتك عليهم، وتعلمين حينئذ أني أنا الرب مخلصك؛ لأني أعطيك بدل النحاس ذهباً، وبدل الحديد فضة، وبدل الخشب نحاساً، وبدل الحجارة حديداً، وأجعل السلامة مدبرك، والصلاح والبر سلطانك، ويكون الرب نورك ومصباحك إلى الأبد" (١).

قال المهتدي علي بن ربن الطبري– رحمه الله –: هل تعلمون لقدم خليل الله مستقراً مذكوراً غير مكة التي يحجون إليها خاشعين ويرفُلون إلى بابها ساجدين، ويأتونها من أقاصي الدنيا ملبِّين (٢).

ويقرر الإمام القاضي أبي البقاء الهاشمي – رحمه الله – أن قول أشعياء هو" باسم الكعبة وحجها وتعظيمها" (٣)، فيقول :" فهذا أشعيا قد نصّ فصرح وحقق أمر بيت الله العتيق وأفصح فليوجد لنا المخالف بيتاً لله تعالى موصوفاً بهذه الصفات مخصوصاً بهذه الكرامات مشتملاً على قدم إبراهيم مقبَّلاً مقبولاً في الغداة والأصيل" (٤).

الإشارة الثانية عشر: "هكذا يقول الرّبّ: هأنذا رافعٌ يدي على الأمم، وناصب لها آية، وهي أن الناس الذين يأتونك بأبناءك على أيديهم، ويحملون بناتك على أكتافهم وتكون الملوك ظؤورتك وعقائل نساءهم وشرائفهنَّ مرضعاتك، ويخرون على وجوههم سجداً لك على الأرض، ويلحسون تراب أقدامك. وتعلمين حينئذٍ أني أنا الرّبّ الذي لا يخزى الراجون لي لدى"(٥).

ويرى المهتدي علي بن ربن الطبري– رحمه الله –: " فلقد أتت الأمم من أقاصي الشرق والغرب، والسند والهند، وآفاق البربر والبوادي، بنسل هاجر وعترها الذين توالدوا في بلدانهم إلى مكة يزفونهم زفاً، ويعبقونهم تعبيقاً، ولقد أرضعت ملوكهم وعقائل نسائهم أبناء إسماعيل عليه السلام وبناته، وخرَّت الأمم لهم بمكة على وجوهها سجداً ، ولحست الجبابرة مواقع قدم إبراهيم وأقدام النبي تذللاً وتبركاً وتخشعاً "(٦).

---

(١) انظر: الدين والدولة ١٦٢، ١٦٣، تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ٢/٦٨٤، أشعياء ٦٠.

(٢) انظر: الدين والدولة ١٦٣.

(٣) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ٢/ ٦٨٣.

(٤) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ٢/ ٦٨٤.

(٥) انظر: الدين والدولة ١٦٥، تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ٢/ ٦٨٥. أشعيا ٤٩.

(٦) انظر: الدين والدولة ١٦٥، ١٦٦.

ويرى الإمام القاضي أبي البقاء الهاشمي – رحمه الله – أن أشعيا " تنبأ على الكعبة والحجر الأسود " [١]، فقال :" الظوؤورة: جمع ظئر، وهي: الداية والمزيّنة، والمرضعة يشير إلى ما قام الملوك ونساء الملوك من خدمة المسجد الحرام وتحلية الكعبة وتزيينها بالديباج والذهب والفضة وتغليفها بالمسك وغسلها بالماورد المفتوق فيه الطيب الفاخر، وتذللهم حولها وخضوعهم لأهلها وتطوافهم حولها، وتقبيلهم حجرها، حفاة الأقدام حسر الرؤوس مبتذلين متواضعين، فأي بيان أبين من هذا البيان لمن نوّر الله قلبه وجوهر لبه وأراد به الخير وحماه من الهوى؟ " [٢].

الخامس: إشارة حزقيال.

قال حزقيال –عليه السلام – في بناء البيت في آخر كتابه:" أنه أراه الله بيتاً تولى ملك من الملائكة تخطيطه وتحديده، ووصف أركانه وصحونه وأفنيته وأبوابه، وأمره الملك أن يحفظ ذلك ويتدبره" [٣].

قال المهتدي علي بن ربن الطبري– رحمه الله –:" لكن لما طالت صفته وجدت القوم قد ثبجوها ولبسوها إما تعمداً، وإما تناسياً، فأضربت عن ذكرها...على أن صفة ذلك البيت الذي خطه الله وصوره بحزقيال النبي عليه السلام، هو مكة؛ لأنها خلاف بيت المقدس الذي بني بعد الرجعة من سبي بابل، فإن أنكر ذلك منكرٌ فليوجدنا صفة ذلك البيت الذي بني ببيت المقدس لنصدقه، وإلا فليصدق بما أنبأناه به وبيناه له " [٤].

السادس: إشارة ميخا.

قال ميخا: " إنه يكون في آخر الأيام جبل بيت الرب مبنياً على قلال الجبال وفي أرفع رؤوس العوالي. وتأتيه جميع الأمم، وتسير إليه أمم كثيرة، وهم يقولون: تعالوا نطلع جبل الرب " [٥]

قال الإمام القاضي أبي البقاء الهاشمي – رحمه الله –: إن ميخا تنبأ على بيت الله الحرام، ومايحجه في كل عام من الأنام[٦].

وذكر المهتدي علي بن ربن الطبري– رحمه الله – أن هذا النص جاء في" مكة صراحاً فهي التي يحجُّ إليها الأمم الكثيرة ويسعون لها ويسيرون إليها وهم يلبُّون " [١].

---

(١) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ٢/ ٦٨٥.

(٢) المصدر نفسه ٢/ ٦٨٥، ٦٨٦.

(٣) الدين والدولة ١٧٧،حزقيال ٥.

(٤) الدين والدولة ١٧٧.

(٥) الدين والدولة ١٦٨، تحفة الأريب ١٤٢، بيان الواضح المشهود٤٠٤، الأجوبة الفاخرة ١٩٢، ميخا ٤.

(٦) انظر: بيان الواضح المشهود ٤٠٤.

ثم أورد الحجة التي قد يحتج بها الخصم على إبطال أن البيت المقصود في هذا النص هو بيت المقدس وليس البيت الحرام، بقوله :" فإن شغب شاغب فقال إنه عنى بيت المقدس، فكيف يصح له ذلك وقد بيَّن الله أن يكون ذلك في آخر الأيام، وكان بيت المقدس في زمان هذا النبي موجوداً، وإنما تنبأ النبي على شيء يحدث لا على ماكان ومضى " [٢].

السابع: إشارة حبقوق.

" إن الله جاء من التيمن، والقدوس من جبل فاران" [٣]

قال المهتدي الشيخ زيادة بن يحي الراسي- رحمه الله -:" وعيَّن حبقوق أن جبل فاران هو الذي موقعه في التيمن، التي هي القبلة، وليس هو البرية التي هي مجاورة سيناء "[٤].

أي جبل فاران، الذي هو في لصيق الأرض التي فيها مكة المشرفة، وهو في القبلة أيضاً، وليس في حدود سيناء؛ لأن التي في حدود سيناء هي برية كما قلنا، وههنا حبقوق يذكر جبلاً مثلما يذكره موسى، مع أن برية فاران أيضاً مسكناً لإسماعيل وخلفه، وهناك تزوج بالمرأة المصرية، راجع سفر التكوين في الإصحاح الحادي والعشرين[٥] ".

قال عبدالله الترجمان الأندلسي- رحمه الله، وكان قساً اسمه انسلم تورميدا فأسلم - :" ومجيء الرب تبارك وتعالى مجيء وحيه، والقدوس هو نبينا محمد ﷺ ظهر من جبال فاران، وهي مكة وأرض الحجاز"[٦].

---

(١) الدين والدولة ص ١٦٨.

(٢) المصدر نفسه ص ١٦٨. انظر: بيان الواضح المشهود ٤٠٤

(٣) الدين والدولة ١٦٩، تحفة الأريب ١٤٢، البحث الصريح ٢٢٨، بيان الواضح المشهود ٤٠٤، الفارق بين المخلوق والخالق ٣٨٦، محمد ﷺ في التوراة والانجيل والقرآن ٦٥، حبقوق ٣.

(٤) هذا ماذكروه في قاموس الكتاب المقدس ٦٦٧.

(٥) البحث الصريح في أيهما الدين الصحيح ٢٢٨، ٢٢٩.

(٦) تحفة الأريب ١٤٢.

المطلب الثاني: دراسة نصوص العهد الجديد المتضمنة إشارات إلى البيت الحرام

إشارة يوحنا.

" آباؤنا سجدوا في هذا الجبل، وأنتم تقولون إن في أورشليم الموضع الذي ينبغي أن يسجد فيه، قال لها يسوع: يا امرأة صدقيني إنه تأتي ساعة – لافي هذا الجبل ، ولا في اورشليم تسجدون لله – الله روح، والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا " (١)

فهذه إشارة من السيد المسيح عليه السلام إلى تغيير القبلة التي يتم نحوها السجود إلى الله وأنها لن تكون في أورشليم أو بيت المقدس بل ستكون في مكان آخر، وهذا ماجاء به الإسلام فإن القبلة تحولت في عهده ﷺ من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة بمكة وهي التي بناها إبراهيم وإسماعيل (٢).

قال الإمام شهاب الدين الصنهاجي المشهور بالقرافي– رحمه الله – :" وهذا من المسيح عليه السلام إشارة إلى تغيير بيت المقدس بالكعبة الحرام فإنها ناسخة لما تقدمها من جهات الصلاة، وصار السجود لله تعالى فيها لا في أورشليم ولافي غيره"(٣).

قال المهتدي إبراهيم خليل أحمد مقرّاً دلالة هذا النص على تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة :" يقول تعالى : ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ ﴾(٤) يا أهل الكتاب كفاكم دوراناً حول هذا الجبل، واتجهوا إلى الصراط المستقيم، أما جاءت تلك المرأة السامرية وأخذت تحاور المسيح عيسى ابن مريم حتى قالت له:" آباؤنا سجدوا في هذا الجبل.." (٥) .

---

(١) الأجوبة الفاخرة ١٨٢، محمد ﷺ في التوراة والانجيل والقرآن ١١٩، يوحنا ٤.

(٢) محمد نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن ٣٥، ٣٦.

(٣) الأجوبة الفاخرة ١٨٢.

(٤) سورة البقرة: ١٤٢.

(٥) سورة البقرة: ١١٥.

إشارة برنابا.

قال المهتدي إبراهيم خليل أحمد:" يقول برنابا مشيراً إلى ركن من أركان الإسلام وهو الحج: " سيأتي مسيا المرسل من الله لكل العالم، الذي خلق الله العالم لأجله، وحينئذ سيسجد لله في كل العالم، وتناول الرحمة حتى أن سنة اليوبيل التي تجيء الآن كل مائة سنة سيجعلها مسيا كل سنة من كل مكان "(١)

وفي الركن الخامس يقول الله تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾(٢) "(٣) .

إشارة سفر أعمال الرسل.

الإشارة الأولى: قال شمعون الصفا رأس الحواريين في كتاب فركسيس: " إنه قد حان أن يبتدأ الحكم ابتداءً من بيت الله " (٤).

قال المهتدي علي بن ربن الطبري- رحمه الله -:" وتفسير ذلك أن بيت الله الذي ذكره الحواريّ هو مكة، وفيها كان ابتداء الحكم الجديد لا من غيرها.

فإن قال قائل : إنه عنى به حكم اليهود، فقد كان المسيح أخبرهم أنه لايترك في بيت المقدس حجر على حجر حتى ينسف ويبقى على الخراب إلى يوم القيامة، فقد وضح أن الحكم الجديد الذي ذكره الحواريّ هو دين الإسلام وحكمه"(٥).

الإشارة الثانية:

قال فولس – وهو المقدم عند النصارى وهو الذي يسمونه رسولاً – في رسالته إلى أهل جالاطيا:" إنه كان لإبراهيم ابنان أحدهما من أمة والآخر من حرة، وقد كان مولد ابنه الذي من الأمة كمولد سائر البشر، فأما مولد الذي من الحرة فإنه ولد بالعِدة من الله.

فهما مثالان مشبّهان بالفرضين والناموسين، فأما هاجر فإنها تُشبَّه بجبل سينا الذي في بلاد أرابيا الذي هو نظير أوراشلم هذه، فأما أوراشلم التي في السماء فهي نظير امرأته الحرة"(٦).

---

(١) محمد في التوراة والإنجيل والقرآن ١١٩، برنابا ٨٢.

(٢) سورة الحج: ٢٧.

(٣) محمد ﷺ في التوراة والانجيل والقرآن ١١٩، ١٢٠.

(٤) الدين والدولة ص ١٨٦، الجواب الصحيح ٧١٨، لم أجد هذا النص في طبعة الرهبانية اليسوعية.

(٥) الدين والدولة ص ١٨٦.

(٦) الدين والدولة ص ١٨٧، ١٨٨، رسالة بولس إلى أهل غلاطية ٤ .

فقد ثبت فولس في قوله هذا معاني جمة: أولها: أن إسماعيل وهاجر قد كانا استوطنا بلاد العرب، وهي التي سماها بلاد أرابيا.

والثاني: أن جبل سيناء الذي بالشام يستطردُ ويتصل ببلادِ البوادي بقوله: إن هاجر تشبّه بطور سينا الذي في بلاد أرابيا. وسينا هو الذي ذكرته التوارة في صدر هذه النبوات في قولها: " إن الربَّ جاء من سينا، وطلع لها من ساعير، وظهر من جبل فاران". فشهد فولس هذا بأن الربَّ الذي قالت التوراة: إنه جاء من سينا، هو النبي ﷺ، وهو الذي ظهر في بلاد أرابيا. وقد بيَّنا آنفاً أن معنى الرب واقع على الانبياء والسادات، وأين يكون من الإبانة والإيضاح أكثر من تسمية بلاد أرابيا التي عني بها بلاد العرب، لكنها لفظة مستعجمة غير فصيحة ، فإنها جعلت مكان العرب الأرب.

والثالث: أن بيت المقدس هو نظير مكة.

والرابع: أن هذا الناموس الثاني والفريضة الثانية سماوية لا شك فيها، فقد سماهما باسم واحد، ولم يفرق بينهما بمعنى من المعاني. فأما تقديمه الحرة، وقوله: " ابن الأمة لم يولد بالعدة" فذلك منه بالعصبية والميل، وفيما استشهدت به من قوارع التوراة على إسماعيل ما فيه كفاية وبرهان على أنه – أيضاً – ولد ليس بعدةٍ واحدة بل بعدات كثيرة"(١).

(١) الدين والدولة ص ١٨٨.

المبحث الثاني: الفرق والطوائف المنتسبة للإسلام.

المطلب الأول: الفلاسفة.

ويشمل الفلاسفة الباطنية الذين عظموا فلاسفة اليونان كأرسطو وأمثاله، وقلدوهم في منطقهم، وعارضوا الكتاب والسنة بأقوالهم، والعجيب انهم ينهون العامة عن تقليد الرسل، ومع ذلك فهم يقلدون رؤوسهم[١]، إلى المتأثرين – من المسلمين – بالمذاهب الفلسفية الإلحادية في العصر الحديث.

الأول: حيرة الفلاسفة في أمر الكعبة.

إن تخصيص الله الكعبة بفضائل ومميزات دون غيرها من البقاع هو مما أثار حيرة الفلاسفة فيها، وأي شيء هو الطالع الذي بنيت عليه على زعمهم حتى رزقت هذه السعادة العظيمة وهذا البناء العظيم مع طول الأزمان مع أنه لم يقصدها أحد بسوء إلا انتقم الله منه كما فعل بأصحاب الفيل ولم يعل عليها عدو قط[٢].

وبيَّن شيخ الإسلام – رحمه الله – أن اختصاص هذا البيت الحرام بالتعظيم والتوقير وانجذاب القلوب إليه، هو " مما حير الفلاسفة والمنجمين والطبائعية؛ لكونه خارجا عن قياس عقولهم وقوانين علومهم، حتى اختلقوا لذلك من الأكاذيب ما يعلمه كل عاقل لبيب؛ مثل قول بعضهم: إن تحت الكعبة بيتاً فيه صنم يُبَخَّرُ، و يصرف وجهه إلى الجهات الأربع؛ ليقبل الناس إلى الحج !

وهذا مما يعلم كل من عرف أمر مكة أنه من أبين الكذب، و أنه ليس تحت الكعبة شيء من هذا وأنه لا ينزل أحد من أهل مكة إلى ما تحت الكعبة ولا يحفره أحد، و لا يبخر أحد شيئا هناك، و لا هناك صنم ولا غير صنم ! " [٣].

وقال – رحمه الله – في موضع آخر بعد ذكر خصائص الكعبة :" والكعبة لها خاصية ليست لغيرها. وهذا مما حيّر الفلاسفة ونحوهم؛ فإنهم يظنون أنّ المؤثر في هذا العالم هو حركات الفلك، وأنّ ما بُني وبقي فقد بُني بطالع سعيد؛ فحاروا في طالع الكعبة، إذ لم يجدوا في الأشكال الفلكيّة ما يوجب مثل هذه السعادة، والعزة، والعظمة، والدوام، والقهر، والغلبة "[٤].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى ٥/ ٢٨٩، الرد على المنطقيين ١٨٧.

(٢) انظر: الرد على المنطقيين ٥٠٢–٥٠٥.

(٣) الصفدية ١/٢٢٠

(٤) النبوات ٥١١.

الثاني: الكعبة مثلٌ مضروب وإشارةٌ للفلك التاسع.

ضرب إخوان الصفا – في الرسالة السادسة من الجسمانيات الطبيعيات "في كيفية وصول تأثير الأشخاص الفلكية الثابتة الوجود الدائمة الدوران إلى هذه الأشخاص السفلية الكائنة عن حركاتها الفلكية القليلة الثبات الدائمة السيلان" – مثال الأرض في وسط العالم كمثل البيت الحرام، ومثل الفلك المحيط كمثل الطائفين، ومثل الكواكب الثابتة مع مطارح شعاعاتها من المحيط نحو مركز الأرض كمثل المصلين شطر البيت، ومثل الكواكب السيارة في مسيرها ذهاباً ومجيئاً كمثل الحجاج ذاهبين من بلدانهم نحو البيت، ومنصرفين عن البيت راجعين لبلدانهم.

فهكذا حكم سريان قوى تلك الأشخاص العالية من محيط الفلك نحو مركز العالم، فإذا اجتمعت مطارح شعاعاتها، يتكون من امتزاجها ضروب الكائنات، وإذا عطفت راجعة نحو المحيط فيكون سبباً لبعث النفوس ونشر الارواح.

ويدعون إلى التفكر، كيف يكون انصراف الإنسان من عالم الكون والفساد إلى عالم الأفلاك، والاعتبار نسبةً إلى الحجاج إذا قضوا مناسكهم كيف ينصرفون مشتاقين إلى بيوتهم وأوطانهم(١).

ثم بعد هذه الأمثال المضروبة يأتون إلى إبطال الشريعة بقولهم:" واعلم يا أخي أن جميع مناسك الحج وفرائضه أمثالٌ ضربها الله، عزَّ وجلّ ، للنفوس الإنسانية الواردة عن عالم الافلاك وسعة السموات إلى عالم الكون والفساد لكيما يتفكر العاقل ويعتبر وينبه نفسه من سنة الغفلة ورقدة الجهالة؛ وتذكرها مبدأها ومعادها وتشتاق فترجع كما جاءت وتجيب الداعي إذا ناداها : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ ﴾ (٢) فتقول لبيك اللهم لبيك "(٣).

ويرى إخوان الصفا أن في بناء نبي الله إبراهيم للبيت الحرام، ودعوة الناس إلى حجه إشاراتٍ ومرامٍ، لو تأملها الإنسان العاقل اللبيب لفطن لِما أراده خليل الرحمن، من الإشارة إلى الملائكة الحافين بالعرش، هم حملة العرش، وهي الكواكب الثابتة الحافة بالفلك التاسع من داخله، كما يحفُّ الحاجُّ بالبيت في طوافهم من خارجه.

---

(١) انظر: رسائل إخوان الصفا ٢/ ١٣٨، ١٣٩.

(٢) سورةالفجر: ٢٨،٢٧.

(٣) رسائل إخوان الصفا ٢/ ١٣٩.

قال إخوان الصفا :" اعلم يا أخي بأن سنن الديانات النبوية، وموضوعات النواميس الفلسفية، ومفروضات الشرائع كلها، ومناسك بيوتات العبادات، وقرابين الهياكل والصلوات، كلها إشاراتٌ ومرامٍ إلى ما أشار إليه إبراهيم خليل الرحمن في بنائه البيت الحرام، ووضعه الحجر والمقام، وتعليمه المناسك وذريته، ودعائه الناس فيهم بالحج إلى البيت الحرام ليشهدوا منافع لهم، وذلك أن الإنسان العاقل اللبيب الفهيم الذكي، إذا حج ولبى وطاف وصلى، ورأى البيت وشاهد كيفية الحج...وتفكر فيها بقلب مستيقظ، واعتبرها بعين بصيرة ونفس زكية، فطن لما أراده إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام، فيما سن واحدة واحدة، ومالغرض الأقصى منها كلها، وعرف وفهم واهتدى قلبه، واهتدت نفسه، وانتبهت وأبصرت، فتراجعت وشاهدت ورأت ما أشار الله تعالى إليه بقوله: (وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم، ويؤمنون به، ويستغفرون لمن في الأرض) (١)

واعلم يا أخي أن الملائكة الحافين بالعرش هم حملة العرش، وهي الكواكب الثابتة الحافة بالفلك التاسع من داخله، كما يحف الحاج بالبيت في طوافهم من خارجه" (٢).

الثالث: الكعبة مثالٌ وإشارةٌ إلى البيت المعمور في السماء.

وأما ماكان من جعل الله البيت الحرام بحذاء البيت المعمور الذي في السماء، فإن إخوان الصفا يرون بأن السنن والمناسك التي ينسكها الحاج في البيت الحرام أمثلةٌ وإشاراتٌ إلى تلك السنن والمناسك التي تنسكها الملائكة حول البيت المعمور.حيث يقولون عن الملائكة حملة العرش: " فهم يسبحون بحمد ربهم كما قال: ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ (٣) ويؤمنون به ويقرون بأن من وراء مراتبهم ومقاماتهم أموراً أخرى هي أشرف وأعلى يقصر علمهم عنها، ويقف فهمهم دونها، كما يقرُّ الحاج من المؤمنين بأن من وراء السموات البيت المعمور، وحوله جموع الملائكة طائفين يحجون إليه كل يوم ألوفَ ألوفٍ، لايعودون إليه أبداً، ويقولون إن هذا البيت الحرام في الأرض بحذاء ذلك البيت المعمور

---

(١) جمع الكاتب بين ثلاث آيات من القرآن الكريم، وجعلها في آية واحدة، إما سهواً أو عمداً والآية الأولى في سورة الزمر، قال تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾، والآية الثانية في سورة غافر، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ ﴾ ، والآية الثالثة في سورة الشورى، قال تعالى: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ ﴾ .

(٢) رسائل إخوان الصفا ٢/ ١٤٢.

(٣) سورة الصافات: ١٦٤-١٦٦.

الذي في السماء، وإن هذه السنن والمناسك أمثلةٌ وإشاراتٌ إلى تلك السنن والمناسك التي تنسكها الملائكة حول البيت المعمور" [1].

الرابع: العلم بجهة القبلة لايتوقف على شيء من علوم الفلاسفة.

بيّن شيخ الإسلام – رحمه الله – أن العلم بجهة القبلة ليس موقوفاً على شيء من علوم الفلاسفة أو غير المسلمين فقال:" وهكذا كل مابعث به النبي ﷺ مثل العلم بجهة القبلة والعلم بمواقيت الصلاة والعلم بطلوع الفجر والعلم بالهلال، فكل هذا يمكن العلم به بالطرق المعروفة التي كان الصحابة والتابعون لهم بإحسان يسلكونها ولايحتاجون معها إلى شيء آخر. وإن كثيراً من الناس قد أحدثوا طرقا أخر، وكثير منهم يظن أنه لايمكن معرفة الشريعة إلا بها، وهذا من جهلهم.

كما يظن طائفة من الناس أن العلم بالقبلة لا يمكن إلا بمعرفة (أطوال البلاد وعرضها)، وهو إن كان علماً صحيحاً حسابياً يعرف بالعقل، لكن معرفة المسلمين بقبلتهم ليست موقوفة على هذا...ولهذا كان عند جماهير العلماء أن المصلي ليس عليه أن يستدل بالقطب ولا بالجدي ولا غير ذلك"[2].

الخامس: إن في الاستدلال بالكواكب على جهة الكعبة، والاستدلال بها على الجهات الأربع، استدلال بجزئي على جزئي.

ذكر شيخ الإسلام – رحمه الله – أن في الاستدلال بالكواكب على جهة الكعبة، والاستدلال بها على الجهات الأربع استدلال بجزئي على جزئي، وهو استدلال بأحد المتلازمين على الآخر، حيث قال: " وإن كان اللزوم أقل من ذلك مدة، مثل الكعبة شرفها الله، فان الخليل بناها ولم تزل معظمة لم يعل عليها جبار قط استدل بها بحسب ذلك، فيستدل بها وعليها، فإن أركان الكعبة مقابلة لجهات الارض الأربعة: الحجر الاسود يقابل المشرق، والغربي الذي يقابله ويقال له: الشامي يقابل المغرب، واليماني يقابل الجنوب، وما يقابله يقال له: العراقى إذا قيل الذي من ناحية الحجر الشامي، وإن قيل لذاك الشامي قيل لهذا العراقى فهذا الشامي العراقي يقابل الشمال، وهو يقابل القطب، وحينئذ فيستدل بها على الجهات ويستدل بالجهات عليها" [3].

---

(١) رسائل إخوان الصفا ٢/ ١٤٢، ١٤٣.

(٢) انظر: جهد القريحة في تجريد النصيحة للسيوطي " مختصر الرد على المنطقيين" ٢/ ١٣٤. انظر: الرد على المنطقيين ٢٥٨-٢٦٠.

(٣) انظر: الرد على المنطقيين ١٦٥.

السادس: اعتماد المذاهب الفلسفية الحديثة على خصائص شكل الكعبة المكعب في استجلاب طاقة الطمأنينة والروحانية في المنزل.

وتقدم فلسفة "الماكروبيوتيك" طرق تصميم وديكور تعتمد استعمال الخصائص الروحانية المزعومة للأحجار والتماثيل، والأشكال الهندسية وخصائصها في جلب الطاقة الإيجابية، وطرد الطاقة السلبية، وعند أسلمة[1] هذه الوثنيات عند المصممين المسلمين تستبعد التماثيل – من بعضهم – وتستخدم أسرار الأشكال الهندسية في جلب الطاقة الإيجابية، كاستخدام خصائص شكل الكعبة المكعب لاستجلاب طاقة الطمأنينة والروحانية في المنزل[2].

وسيأتي مزيد بيانٍ لمسألة البيت الحرام عند الفلاسفة والرد عليهم بإذن الله تعالى.

---

(١) أسلوب الأسلمة الزائف أشدُّ خطراً من الفكر المستورد في صورته الأصلية لأن محاولة الأسلمة هذه تكسب الأفكار المنحرفة قوة وحصانة. انظر: تربية العظماء لجمال الحوشبي ٣٦- ٤٢.

(٢) المذاهب الفلسفية الإلحادية وتطبيقاتها المعاصرة لفوز كردي ٢٥. انظر: موقع د. فوز كردي الالكتروني: www.alfowz.com

المطلب الثاني: الشيعة.

أولاً: الإمامية الإثنا عشرية.

قال شيخ الإسلام- رحمه الله – عن الرافضة المعظِّمين للمشاهد:" ويعظمون المشاهد المبنية على القبور فيعكفون عليها مشابهة للمشركين، ويحجُون إليها كما يحج الحاج إلى البيت العتيق، ومنهم من يجعل الحج إليها أعظم من الحج إلى الكعبة، بل يسبُّون من لا يستغني بالحج إليها عن الحج الذي فرضه الله على عباده، ومن لا يستغنى بها عن الجمعة والجماعة...وقد صنف شيخهم ابن النعمان المعروف عندهم بالمفيد، وهو شيخ الموسوي والطوسي كتاباً سماه (مناسك المشاهد) جعل قبور المخلوقين تُحج كما تُحج الكعبة البيت الحرام، الذي جعله الله قياماً للناس، وهو أول بيت وضع للناس، فلا يطاف إلا به، ولا يصلى إلا إليه، ولم يأمر الله إلا بحجه" (١).

– مضاهاة الكعبة بتعظيم قبر الحسين وغيره من قبور الأئمة، وصورها:

أ. تعظيم قبر الحسين وتفضيل زيارته على حج بيت الله الحرام.

جاء في الكافي وغيره:" إن زيارة قبر الحسين تعدل عشرين حجة، وأفضل من عشرين عمرة وحجة" (٢).

وفي رواية أخرى:" من أتى قبر الحسين – عليه السلام – عارفاً بحقه كان كمن حج مائة حجة مع رسول الله ﷺ"(٣).

وعن محمد بن مسلم عن أبي جعفر قال:" لو يعلم الناس مافي زيارة الحسين عليه السلام من الفضل لماتوا شوقاً، وتقطعت أنفسهم عليه حسرات ، قلت: ومافيه؟ قال: من زاره تشوقاً إليه كتب الله له ألف حجة متقبلة، وألف عمرة مبرورة، وأجر ألف شهيد من شهداء بدر..." (٤).

ب. الصلاة عند قبر الحسين ومضاعفة ثوابها.

ولابد من أداء ركعتي الزيارة عند القبر، حيث قالوا فيها:" إن ركعتي الزيارة لابد منهما عند كل قبر"(٥).

---

(١) منهاج السنة النبوية ٤٧٤/١، ٤٦٧.

(٢) فروع الكافي للكليني ٣٢٤/١، ثواب الأعمال لابن بابويه ٥٢، تهذيب الأحكام للطوسي ١٦/٢، كامل الزيارات لابن قولويه ١٦١، وسائل الشيعة للحر العاملي ٣٤٨/١٠.

(٣) ثواب الأعمال لابن بابويه ٥٢ ، وسائل الشيعة للحر العاملي ٣٥٠/١٠.

(٤) كامل الزيارات ١٤٣، وسائل الشيعة للحر العاملي ٣٥٣/١٠، بحار الأنوار للمجلسي ١٨/١٠١.

(٥) بحار الأنوار للمجلسي ١٣٤/١٠٠.

ويرون ثواب الصلاة عند القبور يَفضُل على ثواب الحج إلى بيت الله الحرام بمئات المرات: " الصلاة في حرم الحسين لك بكل ركعة تركعها عنده كثواب من حج ألف حجة، وأعتمر ألف عمرة، وأعتق ألف رقبة، وكأنما وقف في سبيل الله ألف ألف مرة مع نبي مرسل" [١].

ج . تعظيم قبور الأئمة وتفضيل زيارتها على حج بيت الله الحرام.

عن علي بن مهزيار، قال: قلت لأبي جعفر الثاني عليه السلام:" ما لمن زار قبر الرضا؟ قال: الجنة والله"[٢].

عن أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي، قال : " قرأت في كتاب أبي الحسين الرضا عليه السلام: أبلغ شيعتي أن زيارتي تعدل عند الله ألف حجة، قال: فقلت لأبي جعفر عليه السلام: ألف حجة، قال:أي والله وألف ألف حجة لمن زاره عارفاً بحقه" [٣].

د. الصلاة عند قبور الأئمة ومضاعفة ثوابها.

حيث جاء في أخبارهم مضاعفة ثواب الصلاة عند قبور الأئمة، فخصّ من زار قبر الرضا، أو أحد من الأئمة فصلى عندها أن له بكل ركعة يركعها كثواب من حج ألف حجة، واعتمر ألف عمرة، وأعتق ألف رقبة، وكأنما وقف في سبيل الله ألف ألف مرة مع نبي مرسل، وله بكل خطوة مائة حجة، ومائة عمرة، وعتق مائة رقبة في سبيل الله، ويكتب له مائة حسنة، ويحط عنه مائة سيئة [٤].

هـ. الدعاء والاستغاثة عند القبر.

قال المجلسي:" إذا كانت لك حاجة إلى الله عزوجل فاكتب رقعة على بركة الله، واطرحها على قبر من قبور الأئمة إن شئت، أو فشدّها واختمها واعجن طيناً نظيفاً، واجعلها فيه واطرحها في نهر جارٍ، أو بئر عميقة، أو غدير ماء، فإنها تصل إلى السيد عليه السلام وهو يتولى قضاء حاجتك بنفسة" [٥]. ولايخفى مافي ذلك من الإشراك بالله تعالى، وسؤال المقبورين والاستغاثة بهم من دونه تعالى.

---

(١) الوافي للكاشاني ٨/ ٢٣٤.

(٢) المصدر نفسه ٥٠٩.

(٣) كامل الزيارات ٥١٠.

(٤) انظر: بحار الأنوار ١٠٠/ ١٣٧-١٣٨.

(٥) بحار الأنوار للمجلسي ٢٩/٩٤.

و. الطواف بقبور الأئمة.

ذكر المجلسي بأنه ورد في بعض زيارات الأئمة ـ إلا أن نطوف حول مشاهدكم "، ويأول الروايات التي فيها نهي عن الطواف، بأنه يحتمل أن يكون النهي عن الطواف بالعدد المخصوص الذي يطاف بالبيت[١]، أو أن المراد بالطواف المنفي هنا التغوط [٢].

ز. التبرك باستلام وتقبيل القبور والأعتاب .

وهو من مناسك المشاهد المقررة لديهم، قال المفيد:" فإذا أردت الخروج فانكب على القبر وقبّله – إلى أن قال – ثم ارجع إلى مشهد الحسين وقل السلام عليك يا أبا عبدالله أنت لي جُنَّة من العذاب"[٣].

وينقل اللكنهوري إجماعهم على ذلك: " وأما الإجماع عند أصحابنا الإمامية من صدر الإسلام إلى هذا العصر فإنهم لم يزالوا مطبقين على استحسان مشاهد الأئمة وتعظيمها ...وأن تقبيل القبر بعد الموت كتقبيل اليد في الحياة " [٤].

ح. اتخاذ قبور الأئمة قبلة كبيت الله.

قال المجلسي:" إن استقبال القبر أمر لازم، وإن لم يكن موافقاً للقبلة...واستقبال القبر للزائر بمنزلة استقبال القبلة وهو وجه الله أي جهته التي أمر الناس باستقبالها في تلك الحالة"[٥].

– **امتهان الكعبة، وصورها:**

أ. إذلال الله الكعبة ومعاقبتها وتفضيل كربلاء عليها.

قال جعفر الصادق[٦]:" إن أرض الكعبة قالت من مثلي، وقد بُني بيت الله على ظهري يأتيني الناس من كل فج عميق وجُعلت حرم الله وأمنه.

(١) بحار الأنوار للمجلسي ١٠٠/١٢٦.

(٢) المصدر نفسه ١٠٠/١٢٧.

(٣) بحار الأنوار للمجلسي ١٠٠/٢٥٧، ٢٦١، عن المزار الكبير لمحمد المشهدي ١٥٤.

(٤) انظر: كشف النقاب عن عقائد ابن عبدالوهاب ١٠٤، ١١٨.

(٥) بحار الأنوار ١٠١/٣٦٩.

(٦) وذلك محض افتراء عليه.

فأوحى الله إليها أن كُفي وقري مافَضلُ مافُضِّلت به فيما أعطيت كربلاء إلا بمنزلة الإبرة غرست في البحر فحملت من ماء البحر، ولولا تربة كربلاء مافضلتك، ولولا ماتضمنه أرض كربلاء ماخلقتك، ولاخلقت البيت الذي به افتخرت، فقري واستقري وكوني ذنباً متواضعاً ذليلاً مهيناً غير مستنكف ولا مستكبر لأرض كربلاء وإلا سخت بك وهويت بك في نار جهنم " [1].

وقال علي بن الحسين[2]:" اتخذ الله أرض كربلاء حرماً آمناً مباركاً قبل أن يخلق الله أرض الكعبة، ويتخذها حرماً بأربعة وعشرين ألف عام، وقدسها وبارك عليه فما زالت قبل خلق الله الخلق مقدسة مباركة ولا تزال كذلك حتى يجعلها الله أفضل أرض في الجنة، وأفضل منزل ومسكن يسكن فيه أولياءه في الجنة"[3].

ب. محاولة صرف المسلمين عن الكعبة إلى كربلاء.

حيث خُصِّصَت زيارة كربلاء يوم عرفة بفضلٍ عظيم عن سائر الأيام :" من أتى قبر الحسين عارفاً بحقه في غير يوم عيد كتب الله له عشرين حجة وعشرين عمرة مبرورات مقبولات...ومن أتاه في يوم عيد كتب الله له مائة حجة وعمرة ...ومن أتاه يوم عرفة عارفاً بحقه كتب الله له ألف حجة وألف عمرة مبرورات متقبلات، وألف غزوة مع نبي مرسل أو إمام عادل"[4].

وفي رواية أخرى جُعلَت كربلاء حرماً آمناً، وتكاد تفضل زيارتها على حج البيت الحرام:" لو أني حدثتكم بفضل زيارته وبفضل قبره لتركتم الحج رأساً وماحج منكم أحد، ويحك أما علمت أن الله اتخذ كربلاء حرماً آمناً مباركاً قبل أن يتخذ مكة حرماً..." [5].

ج . الوعد بنصب الحجر الأسود في مسجد الكوفة.

عن الاصبغ بن نباتة قال: " بينما نحن ذات يوم حول أمير المؤمنين علي عليه السلام في مسجد الكوفة إذ قال: يا أهل الكوفة لقد حباكم الله عز وجل بما لم يَحبُ أحداً من فضل، مصلاكم بيت آدم وبيت نوح، وبيت إدريس، ومصلى إبراهيم الخليل، ومصلى أخي الخضر عليهم السلام، ومصلاي، وإن مسجدكم هذا لأحد الأربعة المساجد التي اختارها الله تعالى لأهلها[6]، وكأني به قد أُوتي به يوم القيامة في ثوبين أبيضين يتشبه

---

(١) كامل الزيارات ص ٤٥٠، بحار الأنوار ١٠١ /١٠٩ .

(٢) وذلك محض افتراء عليه.

(٣) بحار الأنوار ١٠١ /١٠٧ .

(٤) فروع الكافي للكليني ٣٢٤/١، ثواب الأعمال لابن بابويه ٥٠، تهذيب الأحكام للطوسي ١٦/٢، كامل الزيارات لابن قولويه ١٦٩، وسائل الشيعة للحر العاملي ٣٥٩/١٠.

(٥) بحار الانوار للمجلسي ١٠١/ ٣٣، كامل الزيارات لابن قولويه ٢٦٦.

(٦) فهم يعتبرون مسجد الكوفة رابع المساجد التي تشد إليها الرحال، قال أبو جعفر عليه السلام لأبي حمزة الثمالي:" المساجد الأربعة

بالمحرم، ويشفع لأهله ولمن صلى فيه فلا ترد شفاعته، ولا تذهب الأيام والليالي حتى ينصب الحجر الأسود فيه"[1].

– مضاهاة الكعبة بتعظيم قبر النبي ﷺ.

أ. الطواف بقبر النبي ﷺ.

روى الكليني بإسناده إلى محمد بن أبي العلاء قال:" سمعت يحي بن أكثم – قاضي سامراء – بعدما جهدت به، وناظرته، وحاورته، وواصلته، وسألته عن علوم آل محمد. فقال:" بينا أنا ذات يوم، دخلت أطوف بقبر رسول الله ﷺ، فرأيت محمد بن علي الرضا [2] يطوف به، فناظرته في مسائل عندي، فأخرجها لي، فقلت: والله إني أريد أن أسألك مسألة، وإني والله لأستحي من ذلك، فقال لي: أنا أخبرك قبل أن تسألني، تسألني عن الإمام؟ فقلت: هو والله هذا، فقال: أنا هو، فقلت: علامة؟ فكان في يده عصا ، فنطقت، وقالت: إن مولاي إمام هذا الزمان، وهو الحجة" [3].

ب. استلام منبر النبي ﷺ .

عن معاوية بن عمار ، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: " إذا فرغت من الدعاء عند القبر فأت المنبر وامسحه بيدك وخذ برمّانتيه، وهما السفلاوان، وامسح وجهك وعينيك به، فإنه يقال: إنه شفاء للعين..."[4].

ثانياً: النصيرية[5].

بيَّن الاسفراييني – رحمه الله – تأويل الباطنية لبيت الله الحرام، فقال:"...ويؤولون عليه قول تعالى: ﴿ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴾[1]، ويقولون الرب: هو الروح، والبيت: هو البدن، يمهدون بكلامهم هذا أن لا إله ولا نبي سوى هذا البدن على التصوير الذي صوره، حتى يقرروا عنده أن لا تكليف عليه"[2].

المسجد الحرام، ومسجد رسول الله ﷺ ، ومسجد بيت المقدس، ومسجد الكوفة، يا أبا حمزة الفريضة فيها تعدل حجة، والنافلة تعدل عمرة". انظر: الوافي للفيض الكاشاني، باب فضل الكوفة ومساجدها ١٤٤٨/٨.

(١) الوافي للفيض الكاشاني، باب فضل الكوفة ومساجدها ١٤٤٧/٨.

(٢) وهو إمامهم العاشر بزعمهم.

(٣) أصول الكافي ٣٥٣/١.

(٤) كامل الزيارات ٥٠، ٥١.

(٥) الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٧٢، الفرق بين الفرق للبغدادي ٢٣٩، مقالات الإسلاميين ٨٦/١، لوامع الأنوار البهية للسفاريني ٢/ ٨٣ .

- **التأويل الباطني للكعبة.**

" البيت العتيق رمز للاسم سلمان الفارسي، والحجر الأسود رمز للمقداد بن عمرو، والأشواط السبعة تمثيل للأدوار السبع الكبرى لفيضان العالم عن الغيب المطلق "[٣].

ثالثاً: الإسماعيلية [٤].

وهم الباطنية، الذين يدَّعون بأن لكل ظاهر باطناً، ولكل تنزيل تأويل[٥]، وهو منصوصٌ عليه في كتبهم، بقولهم :"واعلم أن للكتب الإلهية تنزيلات ظاهرة وهي الألفاظ المقروءة المسموعة، ولها تأويلات خفيَّة باطنة وهي المعاني المفهومة المعقولة، وهكذا لواضعي الشريعة موضوعات عليها وضعوا الشريعة، ولها أحكام ظاهرة جلية، وأسرار باطنة خفية..." [٦].

- **التأويل الباطني للكعبة .**

قال قاضي الإسماعيلية:" إن للحج ظاهراً وباطناً، فظاهره الإتيان إلى البيت العتيق بمكة لقضاء المناسك عنده، وباطنه الذي جعل الظاهر دليلاً عليه، إتيان إمام الزمان من نبي وإمام لأن إمام الزمان مثله في الباطن مثل البيت الحرام " [٧].

أ. القرامطة [٨].

- **التأويل الباطني للكعبة .**

وقد كشف الغزالي تأويلاتهم في كتابه فضائح الباطنية، فقال:" " الكعبة هي النبي، والباب علي، الصفا هو النبي، والمروة علي، والميقات هو الأساس، والتلبية إجابة الداعي، والطواف بالبيت سبعاً هو الطواف بمحمد إلى تمام الأئمة السبعة "[٩].

---

(١) سورة قريش ٣.

(٢) التبصير في الدين ١٤٦، ١٤٧.

(٣) النصيرية دراسة تحليلية لتقي شرف الدين ١٤٣.

(٤) فضائح الباطنية ٤٣، الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٩١، الفرق بين الفرق للبغدادي ٢٧٨- ٢٨٢، التنبيه والرد للملطي ٣٢، التبصير في الدين للاسفراييني ١٤٠-١٤٧، تلبيس إبليس لابن الجوزي ١٢٤-١٣٦.

(٥) الملل والنحل للشهرستاني ١/١٩١.

(٦) رسائل إخوان الصفا ٤/ ١٣٨.

(٧) تأويل الدعائم لابن حيون الاسماعيلي ٣/ ١٤٣، نقلاً عن أصول الاسماعيلية ٤٨٤.

(٨) الفرق بين الفرق للبغدادي ٢٧٤، ٢٧٥، التنبيه والرد للملطي ٢٠-٢٢، فضائح الباطنية للغزالي ٢٢،٢٣، تلبيس إبليس لابن الجوزي ١٢٦-١٢٨،

(٩) فضائح الباطنية للغزالي ٦٠.

- **التعدي على الكعبة ونزع الحجر الأسود.**

حدثت وقعة القرامطة في سنة عشر وثلاثمائة حينما قدم أبو طاهر القرمطي مكة يوم التروية، وألحد في البيت الحرام، فنهب هو وعسكره أموال الحُجاج، وقتلوهم في رحاب المسجد الحرام، وفي جوف الكعبة، وجلس أميرهم أبو طاهر على باب الكعبة والرجال تصرع حوله، والسيوف تعمل في الناس في المسجد الحرام في يوم التروية الذي هو من أشرف الأيام، وهو يقول: أنا لله وبالله أنا، أنا أخلق الخلق وأفنيهم أنا، فكان الناس يفرون منهم، فيتعلقون بأستار الكعبة، فلا يجدي ذلك عنهم شيئاً، بل يقتلون وهم كذلك، ويطوفون فيقتلون في الطواف، وأمر رجلا أن يصعد إلى ميزاب الكعبة فيقتلعه فسقط على أم رأسه فمات، وقلع الحجر الأسود، وحمله إلى هَجَر، وقتل أمير مكة، وقلع باب الكعبة، وطرح القتلى في بئر زمزم، ودفن البقية في المسجد بلاغسل ولاصلاة، وأخذ كسوة البيت فقسمها بين أصحابه، ونهب دور مكة، وكان ردُّ الحجر إلى مكة سنة ثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، وكان مدة مكثه عندهم اثنتين وعشرين سنة [١].

ب. الدروز .

- **التأويل الباطني للكعبة.**

خصصت إحدى رسائل الدروز الكبرى، والتي ألفها حمزة بن علي الدرزي - من كبار الباطنية ومؤسسي المذهب- لنقض وإسقاط فرائض الإسلام، وعنوانها:" الكتاب المعروف بالنقض الخفي"، وأورد فيها المعنى الظاهر لحج البيت، وأنه ضرب من ضروب الجنون، فيقول:" قال أهل الظاهر عن الناطق: إن الحج هو المجيء إلى مكة، والوقوف بعرفات، وإقامة شروطه...جميع ما يعملون به من شروط الحج فهو ضرب من ضروب الجنون، من كشف الرؤوس وتعرية الأبدان، ورمي الجمار، والتلبية من غير أن يدعوهم أحد، وهذا من الجنون"؛ ولهذا السبب منع الحاكم الناس من الذهاب إلى الحج سنين عديدة، وكذلك قطع عن الكعبة كسوتها، وقطعُ الكسوة عند حمزة هو" الكشف والهتك"، فدلَّ هذا أن الحاكم بيَّن للناس أن ذهابهم إلى الحج هو بلا منفعة بعد الكشف[٢].

ثم يورد قول الشيوخ في الباطن: "والبيت دليل على الناطق، والحجر دليل على الأساس، والطواف به سبعة هو الإقرار به في سبعة أدوار..." ثم يأتي لنقض ماتدعيه الإسماعيلية الباطنية من الظاهر والباطن جميعاً، ويفسح المجال لمذهبه الجديد وهو: توحيد الحاكم، فيقول :" وقد رأينا مولانا جل ذكره بطل الحج بإظهار محبة أبي بكر وعمر، وخمود ذكر علي بن أبي طالب، فعلمنا بأن الحج غير هذا الذي كانوا يعتقدون ظاهرًا وباطنًا، كما قال مولانا المنصور :

هلـــم أريــك تــوقــن أنــه ... هو البيــت بيت الله لا مـــا توهمت
أبيتٌ من الأحجار أعظم حرمة ... أم المصطفى الهادي الذي نصب البيت

---

(١) انظر: المنتظم لابن الجوزي : ٢٢٢/٦، ٢٢٣، البداية والنهاية لابن كثير: ١٦٠/١١-١٦٢، تاريخ ابن خلدون: ٤٧٢/٣.

(٢) نقلاً عن عقيدة الدروز للدكتور الخطيب ١١، الحركات الباطنية للدكتور الخطيب ٢٨٠

والبيت هو توحيد مولانا جل ذكره، موضع السكن والمأوى الذي يطلب المعبود فيه، كذلك الموحدون أولياء مولانا جل سكنت أرواحهم فيه، ورب البيت هو مولانا جل ذكره في كل عصر وزمان كما قال: ﴿ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴾[1] يعني مولانا جل ذكره "[2] .

– امتهان الكعبة.

يقول حمزة بن علي الدرزي في رسالة " التحذير والتنبيه ": " أنا ناسخ الشرائع ومهلك أهل الشرك والبدائع، أنا **مهدِّم القبلتين** ، ومبيد الشريعتين ومدحض الشهادتين" [3].

وجاء في مصحف الدروز المسمى " المنفرد بذاته" الاستهزاء بشرائع الإسلام، وامتهان البيت الحرام، حيث يقول:" يا أيها الموحدون، خذوا حذركم، ود الذين ظلوا على أصنامهم عاكفين لو يرجعونكم إلى دينهم وعقائدهم الباطلة، فتستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير وحق. إن صلواتهم ذات الركوع الجسدي والسجود الظاهري...لقد ضلَّ قوم اتجهوا بأجسادهم إلى **بيت حجارةِ قلوبهم**، وغلوا في كفرهم، فألبس عليهم كل يوم خمس صلوات في نهج صاحب البيت، جل ذكره، وهو معهم، وتجلى لهم في مشرق شمس الناسوتية، ذات المشرقين والمغربين، تعالى الله مولى الموالي عن نقص المنقصين، وبهتان المتكبرين ، وفي أنفسهم وما يبصرون، وغرتهم الأماني **أصنام كعبتهم وأربابها** "[4]، ويقول في موضع آخر:" قل ليس الإيمان أن تولوا وجوهَكم شطرَ المسجدِ الحرام، مثلَ **بيتِ الأوثان**، أو شطر المشرق والمغرب، أو التصعيدِ في جبلِ الذنوب والأصنام، أو اتباعِ سنة الجاهلية الأولى، ولكن الإيمان والتوحيد، هو فيمن آمن بمولانا الحاكم رباً إلهاً لا معبود سواه" [5].

– الاعتقاد بهدم الكعبة على يد الحاكم بأمر الله يوم الحساب.

وتحدد رسالة الأسرار مكان ظهور الحاكم، وماذا سيحدث بعد ذلك، فتقول :" سيكون في بلاد الصين، يخرج وحوله قوم يأجوج ومأجوج – ويسمونهم القوم الكرام –، ويكونون مليونين ونصف من العساكر مقسومة إلى خمسة أقسام، كل قسم منها يترأس عليها أحد الحدود، فيدخلون **مكة المكرمة** .

---

(١) سورة قريش: ٣.

(٢) الكتاب المعروف بالنقض الخفي، نقلاً عن عقيدة الدروز للدكتور الخطيب ١٢، انظر: الحركات الباطنية للدكتور الخطيب ٢٨٠، ٢٨١.

(٣) نقلاً عن عقيدة الدروز ١٥.

(٤) عُرف صلوات الشرائع ص ١٢٨ – ١٢٩، نقلاً عن عقيدة الدروز ١٥.

(٥) عُرف حقيقة الصلاة والإيمان ، ص ١٨٢ – ١٨٣، نقلاً عن عقيدة الدروز ١٥.

وفي صباح ثاني يوم وصولهم، **يتجلى لهم الحاكم بأمر الله على الركن اليماني من الكعبة**، ويتهدد الناس في سيف مذهب، يدفعه إلى حمزة فيقتل فيه الكلب والخنزير - يريدون فيهما الناطق والأساس[1]-، ثم يدفع حمزة السيف إلى محمد (الكلمة)، الذي هو أحد الحدود الخمسة، وحينئذ **يهدّمون الكعبة** ويفتكون بالمسلمين والنصارى في جميع جهات الأرض ويستولون عليها إلى الأبد، ومن بقي يكون عندهم في الذل والهوان..." [2].

و يصور مصحف الدروز هذا اليوم، وهدم الكعبة قبلة المسلمين وقتلهم لهم :" حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج ، وهم من كل حدب ينسلون، واقترب الوعد الحق، فإذا هي شاخصة أبصارهم، أبصار الذين كفروا، ياويلنا قد كنا في غفلة من هذا، بل كنا ظالمين، لقد نسي هؤلاء هذا اليوم، وقد وقع لهم، ووقعوا فيه، وهم لا يشعرون **وكبكبوا على وجوه قبلتهم**، حتى غشيتهم الغاشية. أولم ير هؤلاء كيف مد لهم مولانا الحاكم الحياة أمدا ؟ الآن حصحص الحق"[3].

المطلب الثالث: الصوفية

الأول : مضاهاة الكعبة بتعظيم المشايخ، وصورها:

أ. اعتبار المشايخ ذواتهم كعبة .

يحثُّ ابراهيم الدسوقي اتباعه على الحج له فيقول:

حجوا إلي فذاتي كعبة نُصبت   والسر فيها كَسِرِّ البيت والحرم [4]

ومن الأوراد التي يقولها المريد للشيخ في الطريقة البكتاشية:

وجهك مشكاة وللهدى منارة، وجهك لصورة الحق إشارة، وجهك الحج والعمرة والزيارة، وجهك للطائعين قبلة الامارة، وجهك القرآن الموجز العبارة [5].

ب. التوجه إلى المشايخ في الصلاة أولى من التوجه إلى الكعبة.

يرى أبو العباس المرسي أن التوجه في الصلاة إلى القطب أولى من التوجه إلى القبلة ، حيث يقول: " لوكان الحق سبحنه وتعالى يرضيه خلاف السُّنية، لكان التوجه إلى القطب الغوث أولى من التوجه إلى الكعبة" [1]

---

(١) الناطق في اصطلاحهم هو النبي، والأساس هو الوصي أو الإمام، والمقصود بذلك محمدﷺ وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه.انظر: فضائح الباطنية للغزالي ٤٦، ٤٨.

(٢) مخطوطة في تقسيم جبل لبنان، نقلاً عن الحركات الباطنية للدكتور الخطيب ٢٤٨، ٢٤٩.

(٣) المصحف المنفرد بذاته، عرف كتاب أبي إسحاق أو مراتب العباد ٨٥، نقلاً عن الحركات الباطنية للدكتور الخطيب ٢٤٩

(٤) جوهرة الدسوقي ٣٨٠.

(٥) الرسالة الأحمدية ٧٤ نقلاً عن الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة لعبد الرحمن عبد الخالق ٤١٨.

الثاني : مضاهاة الكعبة بتعظيم القبور، وصورها:

للصوفية شأن في تعظيم قبور الأولياء والمشائخ، فيتبركون بزيارتها، ويطوفون بها، ويرون الصلاة والدعاء عندها، ويعظّمونها التعظيم المضاهي للكعبة.

أ. اتخاذ القبور مساجد.

ذكر الشعراني في ترجمة أبي مدين قال : " وولده مدين هو المدفون بمصر بجامع الشيخ عبدالقادر الدشطوطي ...عليه قبة عظيمة وقبره يزار"(٢).

قال الكردي:" ولما مات الشيخ بهاء الدين نقشبند بنى أتباعه على قبره قبة عظيمة، وجعلوه مسجداً فسيحاً"(٣).

ب. التبرك بزيارة القبور.

جعل الصوفية القبور مواضع مباركة، يَنال منها الزوار البركة.

جاء في ترجمة معروف الكرخي في كتاب طبقات الصوفية :" وقبره ببغداد ظاهرٌ، يُسْتَشْفي به، ويُتَبَرَّك بزيارته"(٤). ونقل القشيري في ترجمته: قول البغداديين عن قبره: (قبر معروف ترياق مجرب)" (٥).

وقال الشعراني في ترجمة معروف الكرخي:" مجاب الدعوة، يستسقى بقبره، ويُزار ليلاً ونهاراً " (٦).

وقال أيضاً فيما نقله عن شيخه وسيده علي الخواص" من أداب المريد إذا زار شيخاً في قبره أن لايعتقد أنه ميت لايسمعه، بل الأدب أن يعتقد حياته البرزخيه؛ لينال بركته "(٧).

قال ابن الحاج:" ومازال الناس من العلماء والأكابر كابراً عن كابر مشرقاً ومغرباً يتبركون بزيارة قبورهم ويجدون بركة ذلك حسّاً ومعنى"(١).

---

(١) الطبقات الكبرى ٢/١٤

(٢) الطبقات الكبرى ١/١٥٤.

(٣) المواهب السرمدية ١٤٢.

(٤)٢١.

(٥) الرسالة القشيرية ١/٤٢.

(٦) الطبقات الكبرى ١/٧٢.

(٧) الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية ١/١٦١.

ج. شد الرحال إلى القبور وحجها.

قال الغزالي في كتاب " آداب السفر" : القسم الثاني : وهو أن يسافر لأجل العبادة إما لحج أو جهاد ...ويدخل في جملته زيارة قبور الأنبياء عليهم السلام، وزيارة قبور الصحابة، والتابعين، وسائر العلماء، والأولياء، وكل من يتبرك بمشاهدته في حياته يتبرك بزيارته بعد وفاته، ويجوز شدّ الرحال لهذا الغرض"[٢] .

وصرح نور الدين الحديثي بأن حجهم إنما هو قصد قبر النبي ﷺ وقبر الرفاعي شيخهم:

بيتان حج العارفون إليهما　　　بيت الرسول وشبله ببطاح

أعني به المولى الرفاعي الذي　　　خلقت أنامله من الأرباح

ويقول أبو الهادي الصيادي الرفاعي مصرحاً بأن قبر الرفاعي هو كعبة أتباعه:

هو كعبة العشاق فالزم ركنه　　　وأبشر بنور القلب والأفراح[٣]

د. تفضيل زيارة قبر النبي ﷺ على زيارة بيت الله الحرام[٤].

نقل السبكي عن العبدي المالكي أن المسير إلى قبر النبي ﷺ أفضل من الكعبة ومن بيت المقدس[٥].

وصرح أبو الهادي الصيادي الرفاعي بأن حجهم إنما هو قصد قبر النبي ﷺ وقبر الرفاعي شيخهم:

بيتان حج العارفون إليهما　　　بيت الرسول وشبله ببطاح

أعني به المولى الرفاعي الذي　　　خلقت أنامله من الأرباح

و. اتخاذ القبر قبلة والصلاة عنده.

---

(١) المدخل ١/٢٥٥.

(٢) إحياء علوم الدين ٦/ ١٠٨٣، ١٠٨٤.

(٣) قلادة الجواهر ٤٣٣. وانظر: طبقات ابن ضيف الله ٢٣٥، ٣٢٢، ٣٢٨، ٣٧٣.

(٤) الاستغاثة في الرد على البكري لابن تيمية ٤٦٧ .

(٥) انظر: شفاء السقام في زيارة خير الأنام للسبكي ٦١.

اعتبر الصوفية قبر الشيخ المعظَّم عندهم قبلة الخاصة، والكعبة – بيت الله الحرام – قبلة العامة [١]، قال محمد أبو الهدى الصيادي الرفاعي:" صحَّ عند أهل الهدى التوجه إلى مقابرهم ، إذ هي الباب لِدفْعِ كل الأكدار وسُلَّم لبلوغ الأوطار" [٢].

ويرون استقبال قبر الشيخ عند الدعاء، فضلاً عن اللإشراك بالله و سؤاله الحوائج من دونه تعالى، فهذا الصيادي يأمر من كانت له حاجة أن يولي وجهه شطر قبر الرفاعي من اي مكان في العالم ويخطو ثلاث خطوات ويقسم على الرفاعي أن يقضي له حاجته [٣].

ز. الدعاء والاستغاثة عند القبر[٤].

ويرون مشروعية الدعاء و الذكر عند القبر، ومشاركة المقبور للذاكر لله عنده، يقول الشعراني:" فإن العبد إذا زار ولياً وذكر الله عند قبره، فلابد أن ذلك الولي يجلس في قبره، ويذكر الله معه كما شهدنا ذلك مراراً، مع الإمام الشافعي، ومع ذي النون المصري، ومع جماعة من مشايخ القرافة" [٥].

ويحصل من الصوفية الدعاء والاستغاثة بالمقبورين من دون الله تعالى، مما هو من الشرك الأكبر، قال الكردي عنَ الشيخ بهاء الدين النقشبندي:" ولم يزل يُستغاث بجنابه، ويُكتحل بتراب أعتابه، ويُلتجأ إلى أبوابه "[٦].

ح. الطواف بالقبر.

ويظهر ذلك منصوصٌ عليه في أدعيتهم التي يستغيثون فيها بالمقبورين، بقولهم في الدعاء عند قبر الرفاعي، وطلب الغوث منه – عياذاً بالله– :" ياكعبة الطائفين" [٧].

ط. التبرك باستلام القبر وتقبيله .

قال صاحب كتاب تنوير القلوب:" ومايفعله العامة من تقبيل أعتاب الأولياء والتابوت الذي يجعل فوقهم فلابأس به إن قصدوا بذلك التبرك ولاينبغي الاعتراض عليهم " [١] .

(١) انظر: مجموع الفتاوى ١/ ٣٥١، اقتضاء الصراط المستقيم ٣١٠.

(٢) قلادة الجواهر ٤٣٩.

(٣) انظر: قلادة الجواهر ١٢٩، ١٦٥-١٦٦.

(٤) مجموع الفتاوى ١٧/ ٤٥٦، ٢٧/ ١٥٢،

(٥) الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية ١/١٦١.

(٦) الأنوار القدسية ١٤٢.

(٧) قلادة الجواهر ٢٣٨، انظر: مجموع الفتاوى ٢/ ٨٠.

ي. سدانة القبور [٢].

الثالث: امتهان الكعبة، وصورها:

أ. طواف الكعبة بالمشايخ.

ذكر النبهاني نقلاً عن إبراهيم الخواص أنه قال : " إن الكعبة طافت بالشيخ إبراهيم المتبولي حجراً حجراً ، ثم رجع كل حجر إلى مكانه. قال اليافعي رحمه الله تعالى : وقد سمعنا سماعاً محققاً أن جماعة من القوم شوهدت الكعبة وهي تطوف بهم طوافاً محققاً " [٣].

وقال إبراهيم الدسوقي: " فإن للكعبة رجالاً يطوفون بها، ولله رجال تطوف الكعبة بهم" [٤].

ولم يكتفوا بامتهانهم الكعبة بل طالوا الحجر الأسود، يذكر النبهاني عن ابن عربي أن: " الكعبة كلَّمَته ، وكذلك الحجر الأسود، وأنها طافت به، ثم تلمذت له وطلبت منه ترقيتها إلى مقامات في طريق القوم، فرقاها لها وناشدها أشعاراً وناشدته فراجعه وحاشاً أولياء الله أن يخبروا خلاف الواقع " [٥].

ب. الشيخ أعظم حرمة من الكعبة.

قال الشعراني: " لا ينبغي للمريد أن يستدبر شيخه أبداً إلا بإذن، ويكون ذلك مع استشعار المريد الخجل والحياء حتى كأنه يمشي على الجمر، فإن شيخه أعظم حرمة من الكعبة " [٦].

بل لايقصد المريد البيت الحرام إلا بإذن شيخه، قال الشعراني محذراً من السفر بلا إذن الشيخ:" وغاية أمر من يحج بلا إذن شيخه تفرقة قلبه بانتقاله من وادٍ إلى واد، ولو أنه كان ارتحل بإشارة شيخه خطوة واحدة لكان ذلك أحسن من ألف سفرة بالجهل" [٧].

---

(١) ٥٦٧.

(٢) الاستغاثة في الرد على البكري لابن تيمية ٤٩٩ .

(٣) جامع كرامات الأولياء للنبهاني ١/٢٤٥.

(٤) جوهرة الدسوقي ٣٨٠.

(٥) المصدر نفسه ١/١٢٠.

(٦) الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية ٢/٤٥.

(٧) المصدر نفسه ١/ ١٨٣، ٢/ ٦٢.

قال ابن عجيبه:" وإنما لم تكن أسفارهم بلا استئذان الشيخ والآباء؛ لأن السفر من غير إذن الشيخ لابركة فيه، ولاسير إلى الله فيه، بل فيه نقضُ العهد الذي أخذه عنه: إلا يتحرك إلا بإذنه"[١].

ج. مساواة الكعبة بغيرها من بيوت الأوثان والكنائس .

وممن ذهب إلى ذلك ابن عربي، وقد ذكر في كتبه نصوصاً عديدة، وأنشد أبياتاً كثيرة تدلّ على أنه يؤمن بوحدة الأديان، فعبادة الأصنام والأوثان عنده هي عبادة الله تعالى، والدير لديه كالكعبة، الكنيسة كالمسجد، لتنوع التجليات الإلهية، فهو الظاهر المتجلي في كل شيء[٢]، فيقول:

لقد صار قلبي قابلاً كل صورة فمرعى لغزلان ودير لرهبان

وبيت لأوثان وكـعبة طـائف وألواح توراة ومصحف قرآن

أدين بدين الحب أنى توجـهت ركائبه فالـدين ديني وإيماني[٣]

وابن سبعين قيل عنه أنه كان يقول:" البيوت المحجوجة ثلاثة: (مكة، وبيت المقدس، والبندر الذي للمشركين بالهند)"[٤].

د. إتخاذ المسلم بديلاً للكعبة في بيته يطوف به ويحج إليه.

قال أبو القاسم التنوخي: أخبرنا أبي: حدثني حسين بن عباس عمن حضر مجلس حامد وجاؤوه بدفاتر الحلاج، فيها: إن الإنسان إذا أراد الحج فإنه يستغني عنه بأن يعمد إلى بيت في داره، فيعمل فيه محراباً، ويغتسل ويحرم، ويقول: كذا وكذا، ويصلي كذا وكذا، ويطوف بذلك البيت، فإذا فرغ فقد سقط عنه الحج إلى الكعبة.
فأقر به الحلاج وقال: هذا شئ رويته كما سمعته. ثم قُتِل بعدها [٥].

هـ.قول مالايليق في الكعبة.

ذكر ابن كثير في ترجمة ابن سبعين أنه كان إذا رأى الطائفين حول البيت يقول عنهم كأنهم الحمير حول المدار، وأنهم لو طافوا به كان أفضل من طوافهم بالبيت [٦].

---

(١) الفتوحات الإلهية لابن عجيبة ٢١٥ .

(٢) انظر: دراسات في التصوف لإحسان إلهي ظهير ١٧٦.

(٣) ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق لابن عربي ٤٩.

(٤) الاستغاثة في الرد على البكري لابن تيمية ٤٦٦ .

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء ١٤/٣٣١، البداية والنهاية ١١/ ١٣٩-١٤٢.

(٦) انظر: البداية والنهاية ١٣/ ٢٦١.

الرابع: القول بحلول الله في الكعبة واتحاده بها ـ تعالى عمايقولون.

قال أبو يزيد : " حججت فرأيت البيت ولم أر رب البيت، ثم حججت ثانية فرأيت البيت ورب البيت، ثم حججت ثالثة فرأيت رب البيت ولم أر البيت" (١).

قال محيي الدين بن عربي :" فإن بيتي، هناك، بمنزلة الذات. وأشواط الطواف بمنزلة السبع الصفات، صفات الكمال لا صفات الجلال؛ لأنها صفات الاتصال بك والانفصال، فسبعة أشواط لسبع صفات، وبيتٌ قائمٌ يدل على الذات" (٢).

قال أحمد المستغانمي: " ومن الأدب أيضاً الطواف سبعاً، والمراد به هو جولان الفكر في تعلق الصفات السبع وكيفيات ترتيبها وتوقفها على بعضها بعضاً؛ لأن المقام مقام تفصيل لاتقبل فيه المعرفة الإجمالية، وقد حصلت للمريد قبل هذ، وعليه فلا يتخلى عن الطواف ما استطاع، وكلما جال في معاني تلك الصفات وحقق مالها من التعلقات إلا وقبّل ذلك الحجر الصادر عنها، قائلاً: ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴾(٣)... وحاصل الامر أن الحق تبارك وتعالى يظهر لأوليائه في هذا المظهر بأسمائه وصفاته، ثم يشتدُّ ذلك الظهور حتى يصير بداهة، أي بذاته على اختلاف صفاتها " (٤).

الخامس: الحجر الأسود صفة من صفات الله.

قال أحمد المستغانمي: " إن أدب هذه الحضرة ان تشتغل بمشاهدتها والاستلام على يمينها وهو الحجر، لما قيل فيه " يمين الله"، والمراد به كل ما صدر عن فعل الله وهو الأثر، ومن هنا يقال: كل مافعل المليح مليح ؛ لأن الحجر الأسعد كناية عما صدر من تعلق الصفات، أو تقول فيه صفة التكوين، فهو صفة من صفات الله على كل حال، ولهذا قال ــ عليه الصلاة والسلام – : " الحجر الأسعد يمين الله " (٥).

---

(١) الطبقات الكبرى للشعراني ٥٦/٢.

(٢) الفتوحات المكية لابن عربي ٢٢٥/١.

(٣) سورة المؤمنون : ١٤.

(٤) المنح القدوسية ٣٣٢ ، ٣٣٣.

(٥) المنح القدوسية ٣٣٢

السادس: رفع الكعبة آخر الزمان بعد هَجْر الأبدال والأوتاد الطواف بها.

ذكر الغزالي في كتاب أسرار الحج:" لاتغرب الشمس من يوم إلا ويطوف بهذا البيت رجل من الأبدال، ولايطلع الفجر من ليلةٍ إلا طاف به واحد من الأوتاد، وإذا انقطع ذلك كان سببُ رفعه من الأرض، فيصبح الناس وقد رُفعَت الكعبة لايَرى الناس لها أثراً " (١).

المطلب الرابع: البابية.

– مضاهاة الباب علي محمدالشيرازي الكعبة.

أ. اعتبار الشيرازي ذاته كعبة

القبلة عند البابية فيها إبهام وغموض، فمرَّة قالوا إنها ذات الشيراي " المظهر"، حيثما يذهب ويستقر فيقول: " قل **إنما القبلة من نظهره** متى ينقلب تنقلب إلى أن يستقر ثم من قبل مثل من بعد تعلمون" (٢).

ب. اعتبار الشيرازي بيته، أو بيوت أصحابة كعبة

ونجده مرَّة أخرى يعتبر بيته الذي ولد أو عاش فيه، أو بيوت أصحابه الثمانية عشر " حروف الحي"(٣) كعبة للحجاج من أتباعه، وأمرهم أن يقدموا إلى حراس البيت وحفاظه من رفاقه أربعة مثاقيل من الذهب ويدفعوا إليهم النذور(٤).

فيقول بعبارة ركيكة: " إن ياعبادي إلى بيتي تصعدون ، ذلك بيت من يظهره الله ذلك بيتي فلاتشترن ماحوله على قدر ما أنتم تستطيعون أن ترفعون...مافي حول البيت والمسجد لله فلاتبيعون...وإن مسجد الحرام مايولد من يظهره الله عليه، ذلك ماولدت عليه، قل مقعد أحمد ذكرى يدخل فيه أنتم هنالك لتصلون، ولاتعرجون إلى بيتي ولا المقاعد إلا وأنتم تملكن مافي السبيل مالاتحزنون، ومن يقدر أن يدخل علي أو على

---

(١) إحياء علوم الدين ٣/ ٤٤٢

(٢) انظر: الباب السابع من الواحد الثامن من البيان العربي، نقلاً عن البابية لإحسان إلهي ظهير ٢٢٧.

(٣) سماهم " حروف الحي" ؛ لأن "ح" و"ي" يعادل الثمانية عشر من العدد بحساب الحروف الأبجدية . انظر: البابية لإحسان إلهي ظهير ٦٢.

(٤) انظر: البابية لإحسان إلهي ظهير ٢٣٥–٢٣٨.

البيت فلا يعفى عنه... إن وقفتم على ما أنتم تحبون من **حج بيتي** فلتؤتين مظاهر الواحد سرائرهم أربع مثقال من الذهب إن هم على منتهى الحب بكم يسلكون..." [1].

المطلب الخامس: البهائية.

مضاهاة البهاء حسين علي المازندراني الكعبة.

أ. ادعاء البهاء أنه هو القبلة لأتباعه حال حياته

قال البهاء : " وإذا أردتم الصلاة ولو وجوهكم شطري الأقدس المقام المقدس الذي جعله الله مطاف الملأ الأعلى ومقبل أهل مدائن البقاء، ومصدر الأمن لمن في الارضين والسماوات "[2].

ب. التبرك بزيارة قبر البهاء[3] والطواف به وتقبيله واتخاذه قبلة

وبعد موت البهاء يصرح المرزا حيدر البهائي :" الزوار يزورون العتبة المقدسة ويطوفون حولها ويقبلونها ويسجدون فوقها "[4].

المطلب السادس: القاديانية.

مضاهاة المرزا غلام أحمد القادياني الكعبة .

ادعى المرزا غلام أحمد أن قرية " قاديان" بالهند هي قبلة المسلمين وكعبتهم، ويعتقد القاديانية أن الحج هو حضور المؤتمر السنوي في القاديان، فيقول ابن الغلام وخليفته الثاني:" إن مؤتمرنا هو الحج، وإن الله اختار المقام لهذا الحج القاديان...وممنوع فيه الرفث والفسوق والجدال" [5].

ويقول محمود أحمد :" حدثني يعقوب أحمد القادياني أن غلام أحمد قال:" المجيء إلى القاديان هو الحج"[6].

وقال المرزا غلام أحمد القادياني:" إن البقاء في القاديان فقط أفضل من الحج النفلي "، ويرى لها حرمة و أمن بيت الله، فيقول: " إن قوله تعالى : ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًاۗ﴾[7] يصدق على مسجد قاديان "[1].

---

(١) الباب السادس عشر إلى التاسع عشر من الواحد الرابع من البيان العربي، نقلاً عن البابية لإحسان إلهي ظهير ٢٢٦، ٢٣٧.

(٢) انظر: الأقدس : ١٤ ، نقلاً عن البهائية لإحسان إلهي ظهير ١٥٠.

(٣) بمدينة عكاء . انظر: الحراب في صدر البهاء والباب لمحمد فاضل ٢٧٢.

(٤) انظر: بهجة السرور ص٢٥٨، نقلاً عن البهائية لإحسان إلهي ظهير ١٥١.

(٥) انظر: "بركات الخلافة" لمحمود أحمد ٥،٧، نقلاً عن القاديانية لإحسان إلهي ظهير ٨٧.

(٦) انظر: " جريدة" الفضل" ٥ يناير ١٩٣٣م ، نقلاً عن القاديانية لإحسان إلهي ظهير ٨٨.

(٧) سورة آل عمران: ٩٧.

المطلب السابع: الأحباش.

تحويل القبلة والتوجه بها عكس قبلة المسلمين.

أثار الأحباش في أمريكا وكندا فتنة بسبب مطالبتهم المسلمين في مساجدهم بتحويل القبلة من الجهة الشمالية الشرقية إلى الجهة الجنوبية الشرقية، حتى صارت لهم مساجد خاصة حيث حرفوا القبلة ٩٠ درجة وصاروا يتوجهون إلى عكس قبلة المسلمين حيث يعتقدون أن الأرض نصف كروية على شكل نصف البرتقالة، كما أثاروا الفتن في لبنان بسبب فتوى شيخهم بتحويل اتجاه القبلة إلى جهة الشمال[٢].

وقد ذكر الحبشي كيفية استقبال القبلة [٣] في كتابه (صريح البيان)، وألف رياض الناشف، وسمير القاضي كتاب (تثبيت أهل الحق في أن القبلة إلى الجنوب الشرقي في الولايات المتحدة وكندا) صدر من فيلادلفيا عام ١٤١٥هـ.

وسيأتي مزيد بيانٍ لمسألة البيت الحرام عند هذه الفِرق والطوائف والرد عليهم بإذن الله تعالى.

---

(١) انظر: تبليغ رسالت ١٥٢/٦ نقلاً عن القادياني ومعتقداته لمنظور أحمد جنيوتي ٣١.

(٢) انظر: فرقة الأحباش نشأتها – عقائده – آثارها للدكتور: سعد الشهراني ١٢٠٨، ١٢٠٩، الموسوعة الميسرة ٤٣٠/١، ٤٣١.

(٣) ١٢٠-١٢٢.

المبحث الثالث: المستشرقون، ومن تأثر بهم من الكتاب المعاصرين.

المطلب الأول: الافتراءات على نبي الله ابراهيم الخليل واسماعيل – عليهما السلام – وبناءهما البيت الحرام .

– نفي قصة اسكان نبي الله ابراهيم ﷺ زوجته هاجر وإسماعيل ﷺ عند البيت، وهي من ابتداع اليهود للربط بينهم وبين العرب في النسب .

يرتاب المستشرق الإنجليزي وليم موير في ذهاب إبراهيم وإسماعيل إلى الحجاز وينفي القصة من أساسها، ويذكر أنها بعض الاسرائيليات ابتدعها اليهود قبل الإسلام بأجيال؛ ليربطوا بينهم وبين العرب بالاشتراك في أبوة إبراهيم لهم جميعاً، أن كان إسحاق أباً لليهود، فإذا كان أخوه إسماعيل أباً للعرب فهم إذاً أبناء عمومة توجب على العرب حسن معاملة النازلين بينهم من اليهود، وتيسر لتجارة اليهود في شبه الجزيرة [١].

و قال طه حسين في كتابه في الشعر الجاهلي: " للتوراة ان تُحدثنا عن ابراهيم واسماعيل، وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضاً، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لايكفي لإثبات وجودهما التاريخي، فضلاً عن اثبات هذه القصة التي تحدثنا بهجرة اسماعيل بن ابراهيم إلى مكة ونشأة العرب المستعربة فيها. ونحن مضطرون إلى أن نرى أن في هذه القصة نوعاً من الحيلة في إثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة، وبين الإسلام واليهودية والقرآن والتوراة من جهة أخرى " [٢].

– إن خبر بناء إبراهيم وإسماعيل – عليهما السلام – الكعبة من أساطير العرب .

قال المستشرق الألماني تيودور نولدكه :" من المحتمل أن هذه الأسطورة ليست من اختراع محمد، بل سبق أن كوّنها اليهود والمسيحيون العرب الذين لم يشاءوا أن يتخلوا عن الطواف الديني حول الكعبة " [٣].

قال المستشرق الإنجليزي بودلي:" وتعود أساطير العرب بالكعبة إلى آدم، فتنسب إليه بناءها، ثم تعود فتذكر أن الطوفان قضى عليها، وأن إبراهيم وإسماعيل قد جددا بناءها... "[٤].

---

(١) انظر: حياة محمد لمحمد حسين هيكل ١٠٦.

(٢) ٣٨.

(٣) تاريخ القرآن ١٧١/٣.

(٤) الرسول حياة محمد ١٨.

– إن هاجر طُردت من خيام إبراهيم عليه السلام بتحريض من سارة، وهامت على وجهها في الصحراء.

قال المستشرق الإنجليزي بودلي:" حيث انطلقت هاجر لتقضي مابقي من عمرها، بعد أن طُردت من خيام إبراهيم، بتحريض من سارة، ولقد هامت على وجهها في الصحراء..." (١)، ويقول في موضع آخر:" فإذا أخذنا بالأساطير، أمكن القول إن تاريخ العرب يبدأ من هذه النقطة، وجاء عقب طرد هاجر الفاجع حادث لايقل عنه إيلاماً..." (٢)

ويقرر المستشرقون بأن سارة هي التي حملت ابراهيم على أن يذهب بهاجر وإسماعيل إلى مكة

جاء في دائرة المعارف الإسلامية :" ثم اشتدت غيرة سارة فحملت إبراهيم على أن يذهب بهاجر وإسماعيل إلى بلاد العرب" (٣).

وجاء في الدائرة في موضع آخر:" أن إبراهيم نبذ هاجر، ورأت هاجر أن إسماعيل قد أوشك على الهلاك من العطش..." (٤).

– طرد اسماعيل عليه السلام أبو العرب من بيت أبيه ثم استقراره مع أمه هاجر بمكة .

قال المستشرق الفرنسي م. سفارى (كلود إتين) :" وبعد أن طُرِد أبو العرب من منزل أبيه جاء ليستقر بمكة مع أمه هاجر حيث بنى الكعبة"(٥).

– إن إعانة اسماعيل عليه السلام لأبيه في بناء البيت تسبق سعي هاجر ونبع ماء زمزم.

جاء في دائرة المعارف الإسلامية :" وقد أعان إسماعيل أباه إبراهيم في بناء البيت بعد أن حفرا أساسه. وبعد أن أتما بناء البيت الحرام ترك إبراهيم هاجر وابنها إسماعيل في ذلك المكان القحل يقاسيان آلام العطش. وأخذت هاجر تسعى بين الصفا والمروة باحثة عن الماء " (٦).

---

(١) الرسول حياة محمد ١٩.

(٢) الرسول حياة محمد ٢٠.

(٣)٢/ ١٧١، إسماعيل ، فنسنك.

(٤)١١/ ٤٢٧، السعي، جودفروي ديمومبين .

(٥) مقدمة ترجمة القرآن الكريم باللغة الفرنسية وعنوانها :" مختصر حياة محمد"، ترجمة: محمد عبد العظيم علي، وهي مطبوعة تحت عنوان: السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون ١١.

(٦)٢/ ١٧١، إبراهيم ، فنسنك.

– **أن القول بتأسيس إبراهيم عليه السلام للكعبة هو وجهة نظر جديدة كوّنها النبي ﷺ في المدينة .**

ويتضمن ذلك:

أ. إن بناء نبي الله ابراهيم عليه السلام للبيت وصلة اسماعيل عليه السلام به لم يرد في السور المكية وأُقحم في السور المدنية.

جاء في دائرة المعارف الإسلامية :" كان شبرنكر أول من لاحظ أن شخصية إبراهيم كما في القرآن مرت بأطوار قبل أن تصبح في نهاية الأمر مؤسسة للكعبة، وجاء سنوك هرجروني بعد ذلك بزمن فتوسع في بسط هذه الدعوى فقال:" إن إبراهيم في أقدم مانزل من الوحي (الذاريات آية ٢٤ ومابعدها، الحجر آية ٥ ومابعدها، الصافات آية ٨١ ومابعدها، الآنعام آية ٧٤ ومابعدها، هود آية ٧٢ ومابعدها، مريم آية ٤٢ ومابعدها، الأنبياء آية ٥٢ ومابعدها، العنكبوت آية ١٥ ومابعدها) هو رسول من الله أنذر قومه كما تنذر الرسل، ولم تُذكر لإسماعيل صلة به، وإلى جانب هذا يشار إلى أن الله لم يرسل من قبل إلى العرب نذيراً، (السجدة آية ٢، سبأ آية ٤٣، يس آية ٥) ولم يُذكر قط أن إبراهيم هو واضع البيت ولا أنه أول المسلمين.

أما السور المدنية فالأمر فيها على غير ذلك، فإبراهيم فيها يدعى حنيفاً مسلماً، وهو واضع ملة إبراهيم رفع مع إسماعيل قواعد بيتها المحرم – الكعبة – (البقرة آية ١١٨، ومابعدها؛ آل عمران آية ٦٠، ٨٤...الخ) [(١)].

ب. سر اختلاف السور المكية والمدنية في ذكر إبراهيم عليه السلام هو اعتماد النبي ﷺ على اليهود في مكة فلما عادوه وصل حبله بيهودية إبراهيم.

جاء في دائرة المعارف الإسلامية :" وسرّ هذا الاختلاف أن محمداً كان قد اعتمد على اليهود في مكة فما لبثوا أن اتخذوا حياله خطة عداء، فلم يكن له بد من أن يلتمس غيرهم ناصراً؛ وهناك هداه ذكاء مسدد إلى شأنٍ جديد لأبي العرب – إبراهيم – ، وبذلك استطاع أن يخلص من يهودية عصره ليصل حبله بيهودية إبراهيم تلك اليهودية التي كانت ممهدة للإسلام، ولما أخذت مكة تشغل جلّ تفكير الرسول أصبح إبراهيم أيضاً المشيد لبيت هذه المدينة المقدس" [(٢)].

ويفترض المستشرق الإنجليزي مونتجومري وات " أن المسلمين في أول الامر لم يعرفوا شيئاً عن الصلة بين ابراهيم والعرب حسب العهد القديم. حتى إذا ما انتقلوا للمدينة، واتصلوا باليهود، اطلعوا على هذه المسائل. ثم حلت القطيعة بين اليهود والمسلمين، واحتفظ ابراهيم في نظر المسلمين بصفتين مهمتين تستدعيان

---

(١) ١/ ١٤٦، إبراهيم ، فنسنك.

(٢) ١/ ١٤٦، إبراهيم ، فنسنك.

احترامهم، كان أب العرب واليهود، وقد عاش قبل نزول التوراة على موسى والإنجيل على المسيح. فلم يكن إذاً يهودياً أو مسيحياً " (١).

قال المستشرق الألماني تيودور نولدكه :" لا يجوز لنا ان نستغرب أن يشعر محمد في النهاية بصلة مع إبراهيم؛ فإن هذا البطريك(٢) الذي يُنظر إليه لدى اليهود والنصارى – على حد سواء – على أنه النموذج الأكمل للإخلاص والانقياد للدين، ويعامل كأب لكل الاتقياء وأولياء الله، إن اصطفاء محمد لإبراهيم يتعلق بما يستمد من سورة البقرة، الآيتين ١١٩، ١٢١(٣)، من أن إبراهيم هو مؤسس الحرم المكي"(٤).

ج. إن النبي ﷺ صنع أسطورة ابراهيم عليه السلام وصوره بأنه باني البيت .

أنه لما كوَّن النبي ﷺ في المدينة تصوراً جديداً عن إبراهيم؛ ووصل نفسه به في آيات مدنية، وقدّر ملَّته على نحو خاص، صار نبي الله ابراهيم مؤسس الكعبة، واتجه إليها النبي ﷺ في الصلاة بعد ذلك. فنبي الله ابراهيم أصبح المشيد للبيت بعد أن شغلت مكة تفكير النبي ﷺ بعد الهجرة

جاء في دائرة المعارف الإسلامية: " ولما أخذت مكة تشغل جلَّ تفكير الرسول أصبح إبراهيم أيضاً المشيد لبيت هذه المدينة المقدس" (٥).

وجاء في دائرة المعارف الإسلامية:" فكان تغييره للقبله واصطناعه لأسطورة إبراهيم، وتصويره بأنه باني الكعبة، وفرضه الحج وإيجابه في ذلك الوقت على كافة المسلمين، يخدم هذا الغرض دون سواه، وهو سيطرته على الأمور وتركيز اهتمام قومه بمكة " (١).

قال المستشرق الألماني تيودور نولدكه :" إن سبب تحويل قبلة الأورشليمية (٦) يندرج في إطار التصور الجديد عن أديان الوحي القديمة، الذي ناله محمد بالتدريج في المدينة، ففي حين أنه كان يشعر في الماضي أنه

---

(١) محمد في المدينة ٣١٢، ٣١٣.

(٢) أي نبي الله إبراهيم عليه السلام.

(٣) أرقام الآيات هذه بحسب طبعة فلوجل للمصحف، وأرقامهما في المصحف الذي بين أيدينا في سورة البقرة على التوالي: قال تعالى: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ﴾، وقال تعالى:﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾ واعتمد في النقل منها عدد كبير من المستشرقين.

(٤) تاريخ القرآن ٣/١٩٤.

(٥) ١/ ١٤٦، إبراهيم ، فنسنك.

(٦) ١٣/ ٣٨٦، الحديبية ، لامنس.

وثيق الصلة باليهود والنصارى؛ فقد حركه إخفاق دعايته بين هؤلاء إلى أن يولي وجهه للارتباط بآخَرَ؛ وجده أخيراً في دين إبراهيم الذي ربط الوحي بينه وبين الكعبة، ولذا أصبح مكان الطقوس الوثنية حرماً للإسلام، واتخذ مكاناً مثل هذا قبلة للصلاة، كما كانت اورشلّيم قبلة للصلاة " (٢).

وقال المستشرق الألماني كارل بروكلمان في هذا الشأن :" وبعد أن قطع النبي الرجاء من إدخال اليهود في الإسلام، أصبحت الأخبار المتداولة في مكة في مقدمة معتقداته الدينية. ولكي يزيد هذه الأخبار قيمة وشأناً رَقى بها إلى إبراهيم الذي صار يعدُّه الآن مؤسس الدين الإسلامي الحق نفسه، لامجرد نبي من أنبياء الماضي المتعددين. لقد قرر أن ابراهيم هو الذي أسس الكعبة المقدسة في مكة لابنه إسماعيل، وسن الحج اليها. ولاتحتاج هذه الكعبة، لكي تشد شداً محكماً إلى ملة ابراهيم الإلهية، إلا إلى أن تُطهَّر من تلك الانحرافات الوثنية الطارئة عليها في عصر متأخر"(٣).

ويفصِّل المستشرق الألماني يوليوس فلهوزن هذه الدعوى بقوله: "وصارت مكة بدلاً من بيت المقدس تعتبر البيت المقدس حقيقة وبيت الله الحقيقي على الأرض، وأصبح الحج إلى الكعبة، بل تقبيل الحجر المقدس، من الشعائر الدينية المفروضة، وبذلك دخل في الإسلام مركزٌ للشعائر وعيد وثني شعبي، وكان لابد في تبرير هذا الصنيع من الاستشهاد بالتاريخ، كما هي العادة، فقيل إن البيت الحرام في مكة والشعائر الدينية المكية كانت في أول الأمر للتوحيد، وإن إبراهيم هو الذي أسسها، ولكنها بعد ذلك فسدت وصارت وثنية، وبذلك أُنتُزِع إبراهيم، أو التوحيد من اليهود، وجُعل مؤسساً لإسلام عربي قبل الإسلام، واعتُبِرت مكة هي مركز هذا الإسلام، ومن هذا الطريق فُصِل الإسلام عن اليهودية فصلاً نهائياً وجُعِل ديناً عربياً قومياً" (٤).

وإلى هذا يذهب إميل درمنغم بقوله :" وعَدَل المسلمون عن القدس إلى الكعبة لتكون قبلة لهم، والكعبةُ هي مصلى إبراهيم، وإبراهيم هو جدُّ اليهود والنصارى والمسلمين على السواء، وإبراهيم هو مارأى محمد ارتباط دينه في دينه "(٥).

المطلب الثاني: الافتراءات في شأن تعظيم الله ورسوله ﷺ الكعبة.

- اندثار أصل الكعبة.

---

(١) نسبة إلى أورشليم.

(٢) تاريخ القرآن ٣/١٦٥.

(٣) تاريخ الشعوب الإسلامية ٤٨. انظر: الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر مونتجمري وات ١٧١- ١٧٣.

(٤) تاريخ الدولة العربية ١٨، ١٩.

(٥) حياة محمد ٢٣٨.

قال المستشرق الإنجليزي بودلي:" كانت الكعبة مركزاً للعبادة منذ فجر التاريخ، وقد دثر أصلها على الأيام، واختفى في ضباب الخرافات، واشتهارها باسم " بيت الله، يدل على أن قديساً متناهياً في القدم، قد أقامها بعد أن أوحت إليه الملائكة إقامتها، في حلم من أحلامه"(١).

قال أغسطس رالي: " الكعبة هي المعبد القديم للعرب الوثنيين، وقد ضاع أصلها في ظلمة عصور ما قبل التاريخ"(٢).

– إن تقديس الكعبة ليس أثراً من آثار دعوة ابراهيم إنما هو من اختراع العرب وتقاليدهم.

قال المستشرق الإنجليزي هاملتون جب:" إن تقديس الكعبة ليس أثراً من آثار دعوة إبراهيم ، وإنما هو شيء نسجته البيئة العربية فكان تقليداً " (٣).

– إن تقديس الكعبة هو طقس وثني نتيجة فكرة سامية قديمة .

قال المستشرق الإنجليزي مونتجومري وات في معرض حديثة عن القرآن وتقديس الكعبة:" وقد احتفظ بالفكرة السامية القديمة حول الطابع المقدس لبعض الأماكن وذلك بصورة مختلفة" (٤).

ويرى علاقتها بالطقوس الوثنية، فيقول: "وإذا حاولنا الآن تحديد المباديء التي قام عليها قبول الطقوس الوثنية أو رفضها، فهناك بعض الخلاصات التي يمكن عرضها"، ويوضح سبب التعظيم لبعض الأماكن بقوله:" أما فيما يتعلق بالعقيدة التي تضفي على بعض الأماكن طابعاً مقدساً فقد قَبِل الإسلام هذه العقيدة؛ لانه وجد فيها فائدة اجتماعية تكمن في العادات والنظريات المتعلقة بهذه العقيدة، كأن يتيح المكان المقدس الفرصة للعرب لاجتماع هادىء يدركون فيه وحدتهم وتضامنهم. ويبدو ان هذين السببين، وهما تأصل العقيدة العميقة والفائدة الاجتماعية يفسران لماذا احتفظ الإسلام ببعض الأفكار والعقائد القديمة " (٥).

---

(١) الرسول حياة محمد ١٨.

(٢) مكة المكرمة في عيون رحالة نصارى ٦٤.

(٣) بنية الفكر الديني في الإسلام ، نقلاً عن الإسلام والمستشرقون ١٩٤.

(٤) محمد في المدينة ٤٧٤.

(٥) المصدر نفسه ٤٧٧، ٤٧٨.

ثم يقرر أن الوثنية أصل ثابت في هذه الأماكن بقوله:" ومن المفيد أن نلاحظ أن هذه البقايا من العهود القديمة حين تتسرب إلى الإسلام تتحول دائماً. وهكذا مهما كانت التبريرات الوثنية للاعتقاد بقداسة بعض الأمكنة، فإن القرآن يجعل هذه القدسية نتيجة الإرادة الإلهية " [١].

– إن الكعبة لم تكن غير صُوَان[٢] للحجر الأسود.

قال المستشرق إميل درمنغم :" ولم تكن الكعبة غير صُوَان للحجر الأسود"[٣].

ويقول المستشرق الألماني يوليوس فلهاوزن:" إن قدسية الكعبة لم تأت من أن فيها صنم، فلقد كان الحجر الأسود مشعراً حراماً وظل كذلك حتى بعد أن رسمت صورة سطحية له ووضعت في داخل الكعبة، وقد كانت الكعبة فقط عبارة عن امتداد فسيح لهذا الحجر وشاركته الحرمة لأنه وُضع فيها وأخذت نفس سمته المقدسة" [٤].

– إن الكعبة صنم من الأحجار العظيمة المقدسة.

قال المستشرق الألماني يوليوس فلهاوزن:" فالكعبة لم تكن فقط موقعاً لصنم، ولكنها هي نفسها كانت صنماً من الأحجار العظيمة المقدسة" [٥].

– إن قصة دور النبي ﷺ في إعادة بناء الكعبة غير جديرة بالتصديق.

جاء في موجز دائرة المعارف الإسلامية :" أما عن قصة دور محمد في إعادة بناء الكعبة فهي أيضاً غير جديرة بالتصديق " [٦].

– احتواء جوف الكعبة على ثلاثمائة وستون صنماً في الجاهلية.

قال المستشرق الإنجليزي بودلي:" ويقال أنه كان في هذا البناء الذي لانوافذ له ثلاثمائة وستون صنماً " [٧].

---

(١) المصدر نفسه ٤٧٨.

(٢) الصوان: بضم الصاد أو كسرها، الوعاء الذي يُصان فيه الشيء . انظر: لسان العرب لابن منظور ٣٠٨/١٣.

(٣) حياة محمد ٦٦.

(٤) دفاع عن محمد ﷺ ضد منقديه د.عبدالرحمن بدوي ١٧٥.

(٥) المصدر نفسه ١٧٥.

(٦) مادة " محمد ﷺ " ٢٩/ ٩١١٤.

(٧) الرسول حياة محمد ١٩.

- **احتواء جوف الكعبة على الأصنام الثلاثة اللآت والعزى ومناة في الجاهلية.**

قال المستشرق الألماني كارل بروكلمان:" وكانت الكعبة تضمُّ تمثال الإله القمريّ هبل، بالإضافة إلى الآلهة الثلاثة المعبودة، اللآت والعزى ومناة "[1] .

- **دخول النبي ﷺ الكعبة وفيها الأصنام في عمرة القضاء[2].**

قال المستشرق الإنجليزي بودلي:" احتشد الحجاج حول الكعبة، وكانوا يأملون أن يفعل قائدهم شيئاً، لينفس عن هذا التوتر البغيض. لم يفعل محمد شيئاً، بل تركهم ودخل في جوف الكعبة، وبقي يتأمل. كان المكان لا يزال يغصُّ بالأصنام "[3].

قال محمد حسين هيكل:" ولما كان من الغد دخل محمد إلى الكعبة وبقي فيها حتى صلاة الظهر، ولقد كانت الأصنام ماتزال تعمرها " [4].

- **الكعبة مسجد مسيحي قبل القرآن.**

يرى يوسف درة الحداد بأن رسم صور المسيح وأمه والملائكة والأنبياء بين الطير والشجر عادة مسيحية. ويستنتج منها أن الكعبة قبل الإسلام كانت مقاماً للتوحيد الإنجيلي[5]. ويعتبر أن " الكعبة مسجد مسيحي قبل القرآن"، على خلفية وجود شخصية ورقة بن نوفل[6].

- **أمر النبي ﷺ بمحو جميع الصور من الكعبة إلا صورتي رسول الله عيسى عليه السلام وأمه .**

استند كل من لويس شيخو[7] و الحريري[1]، في هذا الافتراء على رواية واهية منكرة جاءت في كتاب الأزرقي، حيث قال:"وحدثني جدي قال: حدثنا داود بن عبد الرحمن قال: أخبرني بعض الحجبة، عن مسافع بن شيبة بن عثمان أن النبي ﷺ قال:(يا شيبة أمح كل صورة فيه إلا ما تحت يدي قال: فرفع يده عن عيسى بن مريم وأمه)"[2].

---

(١) تاريخ الشعوب الإسلامية ٣١.

(٢) وتسمى أيضاً بـ (القضية)، وسبب تسميتها بذلك ماوقع من المقاضاة بين المسلمين والمشركين من الكتاب الذي كتب بينهم بالحديبية، فالمراد بالقضاء: الفصل الذي وقع عليه الصلح. انظر: فتح الباري لابن حجر ٧/٥٠٠.

(٣) الرسول حياة محمد ٢٧٣، ٢٧٤.

(٤) الرسول حياة محمد ١٩.

(٥) القرآن دعوة " نصرانية "٦٠٠.

(٦) المصدر نفسه ٦٧٨، ٦٧٩.

(٧) انظر: النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية للويس شيخو ٥١، ٥٢.

وسيأتي – بإذن الله– بسط أسباب ردّ هذه الرواية عند علماء الحديث، وتلقف المستشرقين لها.

– إذا كان نبي الله إبراهيم عليه السلام أبو اليهود والنصارى والمسلمين وباني الكعبة، فلماذا يُمنع غير المسلمين من زيارتها؟

وترد هذه الدعوى كثيراً في الاحتجاج على منع السلطات الإسلامية غير المسلمين من دخول مكة وبيت الله الحرام على مر العصور، وورد سؤال بهذا الشأن في مناظرة بين الإسلام والنصرانية لمناقشة العقيدة الدينية بين مجموعة من رجال الفكر من الديانتين الإسلامية والنصرانية بالخرطوم في الفترة من ٢٣– ٢٩/١/ ١٤٠١هـ، ونصُّه: لماذا تمنع السلطات السعودية دخول المسيحيين في الأماكن المقدسة في المملكة العربية السعودية؟ (٣)

المطلب الثالث: الافتراءات في شأن الحجر الأسود.

– إن الحجر الأسود يعدُّ رباً.

قال المستشرق هـ.ج. ولز :" وكانت الكعبة بيت مكة المقدس سحيقة القدم آنذاك، وهي معبد مربع صغير من الأحجار السوداء، حجر الزاوية فيه من الاحجار النيزكية، وكان هذا الحجر النيزكي يعدُّ رباً، وفي حمايته كل الآلهة القبلية الصغيرة ببلاد العرب، وكان سكان مكة الدائمون قبيلة من البدو؛ استولوا على هذا المعبد وأقاموا أنفسهم سدنة له، فيأتيهم في الاشهر الحرم أفواج عظيمة من الناس يسيرون حول الكعبة وفق طقوس دينية معينة، فينحنون ويقبلون الحجر " (٤).

ويقرر محمد حسين هيكل عبادة العرب للحجر الأسود، فيقول :" ثم كانت عبادة الأحجار، ثم بلغ من إجلالها أن كان العربي لايكفيه أن يعبد الحجر الأسود بالكعبة، بل كان يأخذ معه في أسفاره أي حجر من احجار الكعبة يصلي إليه ويستاذنه في الإقامة والسفر" (٥).

– إن الحجر الأسود هو صنم مكة الخاص.

قال إميل درمنغم:" وكان الحجر الأسود الشهير، الذي هو صنم مكة الخاص"(٦).

---

(١) انظر: قس ونبي ٢٠.

(٢) أخبار مكة ١٣٢/١.

(٣) مناظرة بين الإسلام والنصرانية ٤٥٧.

(٤) معالم تاريخ الإنسانية ٧٨٣.

(٥) حياة محمد ﷺ ١٠٨.

(٦) حياة محمد ٦٦.

ولايستبعد المستشرق الألماني كارل بروكلمان أن يكون الحجر الأسود أقدم الأوثان في مكة:" ولعل هذا الحجر أقدم الأوثان التي عرفتها مكة قبل الإسلام، وهو يشبه الحجارة المقدسة الأخرى التي كثيراً مانجدها عند الساميين " [1].

ويقول في موضع آخر :" وفي وسط مكة تقوم الكعبة، وهي بناء ذو أربع زوايا يحتضن في إحداها الحجر الأسود، ولعله أقدم وثن عُبد في تلك الديار "[2] .

واعتبر المؤرخ اللبناني فيليب حتى الحجر الأسود نوعٌ من الأنصاب:" وكانت بداية الديانة السامية في الواحات لا في المهَامِه، ولقد قامت على أنصاب وينابيع سبقت ماجاء بعدئذٍ من نوعها مثل الحجر الأسود وبئر زمزم في الإسلام "[3].

- الذبح على الحجر الأسود.

قال المستشرق الإنجليزي جب:" كان أوج العبادة في الوثنية العربية هو الحج القبائلي، في أوقات معينة، نحو حجر مقدس، وواجب العابدين بأن يراعو قواعد معينة، تتصل باللباس، وحلق شعر الرأس...الخ، وببعض المحرمات، على أن تنتهي الطقوس كلها بطواف شعائري حول البيت الحرام، وذبح حيوان أو أكثر على الحجر الأسود، وتناول غذاء ديني مشترك " [4].

- إن خبر مجيء الحجر الأسود من الجنة من الأساطير.

قال المستشرق الإنجليزي بودلي:" تقول الأساطير إن الحجر جاء من الجنة، وسلَّمه جبريل لإبراهيم، لما كانا يقيمان الجوانب من البيت، وكان ناصع البياض كالثلج، واستحال إلى لونه الحالي من تقبيل ملايين الخاطئين الذين يفدون كل سنة إلى مكة للحج. وهذا القول لايميط اللثام عن أصله..."[5].

- الاعتراض على حديث الرسول ﷺ :" نزل الحجر الأسود من الجنة، وهو أشد بياضاً من اللبن، فسودته خطايا ابن آدم" [6]، كيف سودته خطايا المشركين، ولم تبيِّضه طاعات أهل التوحيد؟

---

(١) تاريخ الشعوب الإسلامية ٧٦.

(٢) المصدر نفسه ٣١.

(٣) العرب تاريخ موجز ١٩.

(٤) علم الأديان وبنية الفكر الإسلامي ٩٤.

(٥) الرسول حياة محمد ر. ف بودلي ١٨، ١٩.

(٦) رواه الترمذي في سننه، الحج، باب ماجاء في فضل الحجر الأسود، رقم (٨٧٧)٣/٢٢٦، قال أبو عيسى حديث ابن عباس حديث

وقد وردت هذه الدعوى من الملاحدة السابقين ، كما قال المحب الطبري:" قد اعترض بعض الملحدة فقال: كيف يسوَّد الحجر خطايا أهل الشرك، ولايبيضه توحيد أهل الإيمان؟"[١]

– إن قصة قبول تحكيمه ﷺ في وضع الحجر الاسود مخترعة.

يرى المستشرق الفرنسي مكسيم رودنسون : أنها قصة مخترعة وُضِعَت لأسباب دينية [٢].

– وضع النبي ﷺ يده على الحجر الاسود عند إعلان تبني زيد بن حارثة.

قال المستشرق الإنجليزي بودلي:" فاختار زيد النبي، فقد كان راضياً في عيشه، ورفض أن يعود إلى أهله، وقد أثَّر هذا الولاء في محمد، فأخذ زيداً وانطلق إلى الكعبة، ووضع يده على الحجر الأسود[٣] أمام أبي زيد، وقال:" إن زيداً ابني أرثه ويرثني"[٤].

المطلب الرابع: الافتراءات في شأن القبلة وتحويلها.

– إن النبي ﷺ لم تكن لديه بمكة قبلة، فرغب بالصلاة إلى بيت المقدس على غرار الطقوس اليهودية والمسيحية.

يعرض المستشرق الإنجليزي مونتجومري وات في حديثه عن قِبْلة النبي ﷺ في مكة آراءً مختلفة، فيبدأ بذكر صلاة النبي ﷺ إلى بيت المقدس في مكة على غرار الطقوس اليهودية، بقوله : " وهناك تعليم آخر سار فيه محمد على هدى الطقوس اليهودية، حين كان لا يزال في مكة، وهو التوجه إلى نحو القدس للصلاة " [٥].

حسن صحيح، وصححه الشيخ الالباني في السلسلة الصحيحة رقم (٢٦١٨) ٦/١٢٠.

(١) القِرى لقاصد أم القرى ٢٩٥.

(٢) محمد ٧٤، ٧٦، نقلاً عن الظاهرة الاستشراقية للحاج ٣/ ٧٠.

(٣) التبس لفظ الحِجْر على المستشرق فظن أن المقصود به هو الحجر الأسود، جاء في الروايات:" أنه لما حضر أبوه حارثة وعمه كعب في فدائه، فخيَّره النبي ﷺ بين نفسه والمقام عنده، وبين أهله والرجوع إليهم، فاختار النبي ﷺ على أهله لما رأى من برّه به وإحسانه إليه، فحينئذ خرج به النبي ﷺ إلى الحِجْر، فقال :" يا من حضر اشهدوا أن زيدا ابني يرثني وأرثه". فصار يُدْعى زيد بن محمد. إلى أن جاء الإسلام، ونزل: ﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ ﴾ (سورة الأحزاب: ٥)، فقيل له: زيد بن حارثة.".انظر: جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير ١٢/ ٤٠٨.

(٤) الرسول حياة محمد ٥٦.

(٥) محمد في المدينة ٣٠٢، ٣٠٣.

ثم يتردد في صحة قوله السابق، فيقول:" ومن الأكيد أن القدس كانت قبلة المسلمين في أول الفترة المدنية، ولانستطيع التأكيد ما إذا كان الأمر كذلك في مكة، أو فيما إذا كان للمسلمين قبلة أخرى، أو فيما إذا لم يكن لهم قبلة قط" [(١)].

ثم يعود لاختيار احتماله بأن النبي ﷺ لم يكن له بمكة قبلة، ويناقض من جانب آخر ماقرره ابتداءً بأن النبي ﷺ سار على هدى الطقوس اليهود في استقبال بيت المقدس، إلى أنه سار على هدى الطقوس المسيحية في استقبال بيت المقدس، بقوله : " ويمكن أن يكون محمد نفسه، في هذا الوقت، لم يكن له أي قبلة، ولكنه كان يرغب في أن يجعل دينه في هذه الناحية على غرار دين اليهود، وإذا كان محمد في الفترة المكية، يصلي باتجاه القدس، فإن هذا لايشير حتماً إلى تأثير يهودي أو رغبة في تقليد اليهود؛ لأن هذه العادة، كما يبدو، كانت أيضاً عند المسيحيين " [(٢)].

– لم يكن النبي ﷺ قد حدد جهة القبلة بالمدينة، ثم جعلها لمعبد أورشليم لكسب تأييد اليهود والنصارى.

ويقول المستشرق الفرنسي م. سفارى في هذا الشأن :" وبعد أن أخذ محمد يوجه كل عنايته إلى الدين، فالصلاة – التي هي أساس الشعائر الظاهرة – شرع يثبتها بصورة نهائية، وكان قد قررها في بداية بعثته، ولكنه لم يكن قد حدد الجهة التي تؤدى في اتجاهها، ولقد اعتمد على هذه الآية الرائعة: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾[(٣)]، وأراد أن يكسب تأييد اليهود والنصارى وقرر أن تكون قبلة الصلاة هي (معبد أورشليم) "[(٤)].

---

(١) المصدر نفسه ٣٠٣.

(٢) المصدر نفسه ٣٠٣.

(٣) سورة البقرة : ١١٥.

(٤) مقدمة ترجمة القرآن الكريم باللغة الفرنسية وعنوانها :" مختصر حياة محمد"، ترجمة: محمد عبد العظيم علي، وهي مطبوعة تحت عنوان: السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون ١١٦.

- **إتخاذ النبي ﷺ من القدس قبلة مجاراة لمسلمي المدينة.**

يخلص المستشرق الإنجليزي مونتجومري وات إلى أن صلاة النبي ﷺ لبيت المقدس في المدينة هي بدافع المجاراة :" وفي النهاية فإن الذي يمكن أن يكون قد حدث هو أن محمداً اتخذ من القدس قبلة مجاراة لمسلمي المدينة " [١].

- **مرور فترة تردد بين تخلي المسلمين عن القدس كقبلة واتخاذ الكعبة، حتى دلَّهم اليهود عليها، فأراد النبي ﷺ مخالفتهم.**

وينقل المستشرق الإنجليزي مونتجومري وات " اقتراح ريتشارد بيل في كتابه " تفسير القرآن " أنه مرت فترة بين التخلي عن القدس كقبلة واتخاذ الكعبة، ويبدو أنه حدثت فعلاً فترة تردد، ويقال بأن اليهود سخروا من المسلمين قائلين عنهم بأنهم لايعرفون إلى أي جهة يتوجهون للصلاة حتى دلَّهم اليهود ذات يوم؛ ولهذا أراد محمد تحويل القبلة" [٢].

- **تحويل القبلة إلى الكعبة يرجع إلى معادة اليهود للنبي ﷺ .**

قال المستشرق الألماني يوليوس فلهاوزن:" وقد كانت نقطة البداية في دعوة محمد اقتناعه، في أول الأمر، أن يهود المدينة سيستقبلونه مرحبين، ولكنهم لم يعترفوا له بأنه نبي، ولم يعترفوا بأن الوحي الذي أنزل إليه هو الوحي الذي عندهم، وإن كان اليهود دخلوا في أول الأمر، من الوجهة السياسية، في الأمة التي أسسها محمد؛ وعلى هذا خاب أمله في اليهود خيبة مريرة، ولما كانوا لم يعتبروا اليهودية مثل الإسلام، بل جعلوا منها خصماً له، فإنه من جانبه جعل الإسلام خصماً لليهودية ثم خصماً للنصرانية أيضاً. فجعل لدينه علامات تبدو لنا غير ذات معنى وإن كانت عظيمة الأهمية" .

ثم يبيِّن التغير الذي طرأ على النبي ﷺ بعد ذلك :" وهو إذ جعل الإسلام يقوم على أسسه الخاصة متعمدًّا نبذ المظاهر اليهودية والنصرانية، قد أخذ يقترب بالإسلام في نفس الوقت من دين إبراهيم اقتراباً إيجابياً، وكان لايزال من قبل يعتبر نفسه النبي المرسل إلى الغرب خاصة الذي يتلقى الوحي الموجود في التوراة والإنجيل ويبلغه بلسان عربي. ويظهر أنه لم ينكر ميله الطبيعي للكعبة في مكة ولرب الكعبة، أما الآن بحكم

---

(١) محمد في المدينة ٣٠٣، ٣٠٤.

(٢) محمد في المدينة ٣٠٩

تأثير الظروف قد خطا خطوة حاسمة في هذا الاتجاه فغيَّر القبلة وأمر الناس بأن يولوا وجوههم في صلاتهم، لا إلى بيت المقدس، كما كان يفعل ، بل إلى مكة" (١).

ويؤكد المستشرق الإنجليزي مونتجومري وات دور القطيعة مع اليهود في تحويل القبلة:" وكانت تؤدى الصلاة باتجاه القبلة، وقد اتجه المؤمنون أول الأمر إلى القدس، وبعد القطيعة مع اليهود تحولوا إلى مكة" (٢).

ويؤكد المؤرخ اللبناني فيليب حتى أيضاً هذا المعنى بقوله:" وفي هذه الحقبة من حياة النبي في المدينة صار تنظيم الإسلام وحدة عربية قومية، فانقطعت صلة الإسلام بالديانتين اليهودية والنصرانية...وتحولت القبلة من بيت المقدس إلى مكة، وأُجيز الحج إلى مكة وتقبيل الحجر الأسود، وهما من فروض الدين المرعية في الجاهلية"(٣).

– إن تحويل القبلة إلى الكعبة يأتي في سياق تصور النبي ﷺ الجديد عن إبراهيم.

قال المستشرق الألماني تيودور نولدكه :" إن سبب تحويل قبلة الأورشليمية (٤) يندرج في إطار التصور الجديد عن أديان الوحي القديمة، الذي ناله محمد بالتدريج في المدينة، ففي حين أنه كان يشعر في الماضي أنه وثيق الصلة باليهود والنصارى؛ فقد حركه إخفاق دعايته بين هؤلاء إلى أن يولي وجهه للارتباط بآخَرَ؛ وجده أخيراً في دين إبراهيم الذي ربط الوحي بينه وبين الكعبة، ولذا أصبح مكان الطقوس الوثنية حرماً للإسلام، واتخذ مكاناً مثل هذا قبلة للصلاة، كما كانت أورشليم قبلة للصلاة.

إن القبلة المكية التي وجب على محمد – حسب نظريته عن دين إبراهيم – أن يعدها الحق الأوحد؛ لم تقتصر على رفع إحساس المسلمين بذاتهم الذي شكل عائقاً جديداً بين اليهود المواجهين المستنكرين وبين الإسلام؛ وإنما أيضاً سهلت الدعاية بين القبائل الوثنية "(١).

– تحويل القبلة إلى الكعبة من إفكار النبي ﷺ للسيطرة على الأمور وتركيز اهتمامه بمكة .

قال المستشرق مونتجومري وات:" تظاهر محمد بالصبر بعض الوقت، ثم غيَّر موقفه فجأة – إذا صدقنا رواية ليست في المصادر القديمة – : بينما كان محمد يصلي ذات يوم في المكان المعين في حي بني سلمة نزل عليه الوحي يأمره بأن يتوجه نحو الكعبة وليس نحو سورية " (٥).

---

(١) تاريخ الدولة العربية ١٧، ١٨. انظر: الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر مونتجمري وات ١٩٠، ١٩١.

(٢) محمد في المدينة ٤٦٥، ٤٦٦.

(٣) العرب تاريخ موجز ٤١.

(٤) نسبة إلى أورشليم.

(٥) تاريخ القرآن ٣/٢٠٦، ٢٠٧.

وجاء في دائرة المعارف الإسلامية:" فكان تغييره للقبله واصطناعه لأسطورة إبراهيم، وتصويره بأنه باني الكعبة، وفرضه الحج وإيجابه في ذلك الوقت على كافة المسلمين، يخدم هذا الغرض دون سواه – وهو سيطرته على الأمور وتركيز اهتمام قومه بمكة – " [٢].

– إنكار النسخ في تحويل القبلة.

ومضمون هذه الدعوى أن تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة ليس من قبيل النسخ، وإنما هو تشريع على الابتداء، وليس رفعاً لحكم سابق، واستدل المنكرون بأنه ليس هناك نص شرعي يفيد استقبال بيت المقدس، كما نفى المدعون أن يكون أهل قباء تركوا القبلة إلى بيت المقدس وتوجهوا إلى الكعبة بخبر الواحد الذي أخبرهم؛ إذ أن هذا مضنون ولايترك اليقين من أجله [٣].

المطلب الخامس: الافتراءات في شأن إهلاك الله أصحاب الفيل.

– خبر أصحاب الفيل من الأساطير.

جاء في دائرة المعارف الإسلامية :" ومن هنا فصاعداً تلتزم المصادر الوثيقة الصمت فلا نجد بعدُ إلا القصة الواردة في المصادر الإسلامية، والراجح أنها تدخل في باب الأساطير" [٤]، وبعد سرد الدائرة رواية أصحاب الفيل، تقول :" وهذه الرواية للحوادث التي تتضارب في أساسها مع كل من بروكوبيوس والنقوش، يجب أن نعدها مصدراً غير تاريخي مبعثه التباس في الأسماء وتزييف اتخذ بغرض المناظرة" [٥].

– سبب هلاك أصحاب الفيل هو اجتياح الوباء.

ويرد هذا القول كثيراً، فتارة يُقال بأن الطير الأبابيل وحجارة السجيل كناية عن الوباء، وتارة يعزون سبب هلاك الجيش الحبشي إلى انتشار وباء الطاعون أو الجدري، دون الإشارة لما جاء في كتاب الله العزيز من إرسال الطير الأبابيل التي ترميهم بحجارة من سجيل.

---

(١) المصدر نفسه ٣٠٨، ٣٠٩.

(٢) الدائرة الثانية ١٣/ ٣٨٦، الحديبية ، لامنس.

(٣) لانسخ في السنة للدكتور عبد المتعال الجبري ١٥.

(٤) ١/ ١٨٠، أبرهة، بيستون.

(٥) المصدر نفسه ١/ ١٨٠.

قال المستشرق الإنجليزي مونتجومري وات:" وعلى كل حال فلقد انتهت الحملة بدون طائل إذ فتك الطاعون بالجيش الحبشي " (١).

جاء في دائرة المعارف الإسلامية:" ويمكن الافتراض بأن هذا الوباء كان سبباً في تقهقر أبرهة، أو على الأقل كان ذريعة له إلى العدول عن تلك الغزوة الشاقة " (٢).

- تأويل الطير الأبابيل بالذباب والبعوض الذي يحمل الجراثيم .

قال الشيخ محمد عبده:" فيجوز لك أن تعتقد أن هذه الطير من جنس البعوض أو الذباب الذي يحمل جراثيم بعض الأمراض، وأن تكون هذه الحجارة من الطين المسموم اليابس الذي تحمله الرياح، فيعلق بأرجل هذه الحيوانات، فإذا اتصل بجسدٍ دخل في مسامه فأثار فيه تلك القروح التي تنتهي بإفساد الجسم وتساقط لحمه، وإن كثيراً من هذه الطيور الضعيفة يعدُّ من أعظم جنود الله في إهلاك من يريد إهلاكه من البشر، وأن هذا الحيوان الصغير الذي يسمونه الآن بالمكروب لا يخرج عنها " (٣).

- الاعتراض على مولده ﷺ في عام الفيل.

جاء في دائرة المعارف الإسلامية:" ويُعدّ هذا العام في القول الشائع عام مولد النبي، إلا ان نولدكه قد اعترض بحق على ماتقدم؛ لأننا لو قبلنا ذلك لما كانت هناك بين حملة أبرهة على مكة وغزو الفرس لبلاد العرب الجنوبية عام ٥٧٠م فسحة من الوقت يحكم فيها أبرهة وأولاده" (٤).

وجاء في موضع آخر:" حين تذكر الروايات أنه ولد عام الفيل، فالواجب اعتبار هذا القول غير مقبول " (٥).

---

(١) محمد في مكة ٣٨.

(٢)١/ ١٧٨. أبرهة، بول.

(٣) تفسير جزء عم ١٥٨.

(٤)١/ ١٧٨، أبرهة، بول.

(٥) موجز دائرة المعارف الإسلامية ، ٢٩/ ٩١١٢، محمد ﷺ ، بول .

المطلب السادس: الافتراءات في شأن العبادات المختصة بالكعبة.

أولاً: الأثر الوثني في العبادات الإسلامية.

– احتفاظ النبي ﷺ بركن الحج عن الوثنية، ولكنه جعله متفقاً والتوحيد، وعدَّل في معناه.

قال المستشرق المجري أجناس جولدتسهير في حديثه عن حج بيت الله الحرام :" وخامساً: الحج إلى المعبد الوطني العربي القديم في مكة، أي إلى الكعبة بيت الله. وهذا الركن الأخير احتفظ به محمد عن الوثنية، لكنه جعله متفقاً والتوحيد، وعدَّل معناه مسترشداً في ذلك ببعض الأساطير الإبراهيمية" (١).

قال المستشرق الألماني يوليوس فلهوزن:" فأُعلن أن الحج إلى مكة وأن العيد الذي يقام إلى جوارها أشياء إسلامية خالصة، فلا يصح للمشركين أن يحُجُّوا إلى مكة، وبذلك أُبعدوا عن ميراثهم الخاص، وهو الميراث الوثني " (٢).

ومنهم من يرى إبقاء النبي ﷺ شعائر الحج كما كانت عليه قريش في العهد الجاهلي

قال يحي محمد: " ولعل أولى النكات التي يمكن ملاحظتها هو أن الخطاب الإلهي قد نزل منجَّماً، في ظروف خاصة هي ظروف شبه الجزيرة العربية...حتى أقرَّ الكثير من الأعراف والعادات والأحكام والشعائر التي كانت تمارس آنذاك...مثل شعيرة الحج والعمرة وكسوة الكعبة" (٣).

وإلى هذا الرأي يذهب خليل عبد الكريم بقوله:" إن الإسلام ورث الكثير من عرب الجزيرة، واستعار العديد من الأنظمة التي كانت بينهم في شتى المجالات ...أخذ منها فريضة الحج وشعيرة العمرة وتعظيم الكعبة...وفي أحيان كان يعدِّل فيها إما بالزيادة او النقص، وفي أحيان أخرى كان يستعير النظام بأكمله دون تحوير فقط بتغير أسمه"(٤).

---

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام ٢٤.

(٢) تاريخ الدولة العربية ٢١.

(٣) جدلية الخطاب والواقع ٦٥.

(٤) الجذور التاريخية للشريعة الإسلامية ٩.انظر: النص القرآني لطيب تيزيني ١١٢، ١١٤، ١٥٤.

– إن شعيرة الطواف ترجع إلى إبراهيم ويفعلها المسلمون على عادة الوثنيين.

جاء في دائرة المعارف الإسلامية: على أنه يمكن القول – على وجه اليقين – أنه كان يراعي في ذلك شعائر قديمة مأثورة ترجع إلى إبراهيم عليه السلام بحيث نستطيع أن نستنتج من ممارسة المسلمين لهذه الشعيرة ماكانت عليه عادة الوثنيين [(١)].

قال حسن حنفي: " والكعبة بناء أسود مغطى بقطيفة سوداء مذهبة عالية البنيان، عريضة الحائطين، يلفّ الناس حولها؛ توحي للناظر بالوثنية القديمة في العصر الجاهلي ... ربطاً للجديد بالقديم، وللمسلمين بالحنفاء، وللرسول بإبراهيم، من بقايا الوثنية القديمة بعد تهذيبها "[(٢)].

– إن الطواف بالبيت تقليد قديم لاعلاقة له بالإسلام، ويشابه الطواف حول النار المقدسة، أو حيطان أريحا.

ويرى المستشرق الإنجليزي بودلي: " ثم استلم محمد الركن عند الحجر الأسود، ثم ابتدأ يطوف سبعاً حول الكعبة، وهذا تقليدٌ قديم لا يرجع إلى مكة فقط، ولكنه يعود إلى الديانات المتناهية في القدم، وإن الطواف حول النار المقدسة أو حيطان اريحا له أصول مشابهة، وليس لهذا علاقة بالإسلام" [(٣)].

– إن تقبيل الحجر الأسود طقس وثني.

قال المستشرق الألماني يوليوس فلهوزن: " وأصبح الحج إلى الكعبة، بل تقبيل الحجر المقدس من الشعائر الدينية المفروضة، وبذلك دخل في الإسلام مركزٌ للشعائر و عيدٌ وثني شعبي "[(٤)].
وقال المستشرق كارل بروكلمان: " عندما بلغ محمدٌ الكعبة طاف بها سَبْعاً على راحلته، لامساً الحجر الأسود بعصاه في كل مرة، وبذلك ضمَّ هذا الطقس الوثني إلى دينه"[(٥)].
ويؤكد هذه الدعوى في موضع آخر:" ولقد أخذ محمدٌ عادة تقبيله أثناء الحج دون أن يضع لها أساساً معيناً، والحق أننا لا نجد منذ فجر الإسلام ضعفاً في معارضة كل تقديس للحجارة والأنصاب، على اعتبار أن ذلك ضربٌ من الوثنية"[(١)].

---

(١) ١٥/ ٣١٧، طواف، بول.

(٢) مقال بعنوان "خواطر حاج بين تهنئة بالسفر و تهنئة بالعودة "، صحيفة أخبار الأدب، التي تصدر عن دار أخبار اليوم للطباعة والنشر في القاهرة ، العدد (٦٥٤)، يوم الأحد ٢٢/١/٢٠٠٦م .

(٣) الرسول حياة محمد ٢٧٢.

(٤) تاريخ الدولة العربية ١٨.

(٥) تاريخ الشعوب الإسلامية ٦١.

- إبقاء النبي ﷺ لبعض الطقوس الوثنية المتعلقة بالكعبة لأسباب شخصية واقتصادية.

وصف المستشرق الإنجليزي بودلي حال النبي ﷺ مع الكعبة بعد فتح مكة بقوله :" وحان الوقت ليقرر محمد شيئاً بشأن الكعبة، فقد أحس خطر استمرار قيام الطقوس الوثنية بها، ولكنه تذكر قيمتها وتقاليد الكعبة العتيقة، واتصال تلك التقاليد به وببني هاشم، وتذكر قيمتها وماتقدم للبلد الحرام، فأبطل عبادة الأصنام وكثيراً من التقاليد الوثنية، ولكنه ترك القليل من التقاليد التي لاتتعارض هي والإسلام، وقد فعل المسيح مثل ذلك من قبل، لما أبطل فضائح المعابد وترك المعابد قائمة"(٢).

- إن مناسك الحج من صنيع النبي ﷺ .

قال المستشرق الإنجليزي بودلي عن الحج إلى مكة :" وترجع هذه العادة إلى أقدم العصور، فقرر محمد في نفسه أن يُبقي على تلك المراسيم كجزء من ديانته الجديدة، فقد رأى بعينه الثاقبة أن الحج سيجمع المؤمنين من جميع بقاع الارض في صعيد واحد، مرة في كل عام، وقد أضاف إلى هذه الفريضة شرطاً يتفق مع طبيعته العملية، فجعلها واجبة على من استطاع إليها سبيلاً " (٣).

- عدم توصل المستشرقين إلى معرفة أن الطواف جزء من الحج.

جاء في دائرة المعارف الإسلامية:" ذلك أننا لم نصل حتى إلى معرفة هل الطواف جزء من الحج الأصلي ؟ والذي نعرفه أنه كان يقام في الجاهلية كل عام سوقان في شهر ذي القعدة، أحدهما في عكاظ، والآخر في مجنَّة، وكان يتلوهما في الأيام الأولى من ذي الحجة سوق ذي المجاز، ولايعرف الإسلام شيئاً عن الطواف في عرفات ولانعرف نحن من أمره إلا القليل"(٤) .

---

(١) المصدر نفسه ٧٦.

(٢) الرسول حياة محمد ٨٩.

(٣) الرسول حياة محمد ٩٩.

(٤) ١١/ ٣٤٦٥، ٣٤٦٦ الحج، فنسنك.

ثانياً: **الأثر اليهودي والنصراني في العبادات الإسلامية.**

– استقبال القبلة فكرة سامرية .

جاء في دائرة المعارف الإسلامية تأثير السامرة في الإسلام، ويجوز أن محمد أخذ فكرة استقبال القبلة منهم[1].

– استقبال بيت المقدس في الصلاة على غرار الطقوس اليهودية والنصرانية.

قال المستشرق الإنجليزي مونتجومري وات : " وهناك تعليم آخر سار فيه محمد على هدى الطقوس اليهودية، حين كان لا يزال في مكة، وهو التوجه إلى نحو القدس للصلاة " [2].

ثم يقول في موضع آخر: " وإذا كان محمد في الفترة المكية، يصلي باتجاه القدس، فإن هذا لايشير حتماً إلى تأثير يهودي أو رغبة في تقليد اليهود؛ لأن هذه العادة، كما يبدو، كانت أيضاً عند المسيحيين " [3].

قال لويس شيخو:" من شروط الصلاة في الإسلام الاتجاه إلى (القبلة) وهي أيضاً عادة مستعارة من قدماء النصارى الذين كانوا يتجهون في صلاتهم إلى الشرق إذ يتخذون الشمس الشارقة رمزاً عن السيد المسيح المعروف بشمس العدل والموصوف بالشرق، قال صرمة ابن أنس قبل الإسلام يصف صلاة النصارى إلى مطلع الشمس:

وله شمَّس النصارى وقاموا　　　كلَّ عيدٍ لهم وكلَّ احتفالِ

فاتخذ محمد على مثالهم قبلة للصلاة كانت أولاً أورشليم ثم حولها إلى الكعبة في مكة "[4].

– الحج عادة سامية قديمة.

جاء في موجز دائرة المعارف الإسلامية :" ولم يك هذا الحج إلى عرفات أمراً اختص به العرب، فالحج إلى معبد من المعابد عادة سامية قديمة جُعِلت حتى في الأجزاء القديمة من أسفار موسى الخمسة فرضاً يجب أداؤه"[5].

جاء في موجز دائرة المعارف الإسلامية:" إن البحث في أصل معنى المادة " حج " لايعدو أن يكون من قبيل النظريات، ومع ذلك فإن بعضها جائز، وقد فسر لغويو العرب الحج بأنه " القصد" ، ويتفق هذا ومعنى

---

(١)١١/ ٩٠، السامرة، كاستر.

(٢) محمد في المدينة ٣٠٢، ٣٠٣.

(٣) المصدر نفسه ٣٠٣.

(٤) النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ١٨٣.

(٥)١١/ ٣٤٦٦، الحج، فنسنك.

الحج عند" النصارى" على أنه من الواضح أن هذا المعنى اصطلاحي كالفعل العبري، ولعل المادة التي معناها في اللغات السامية الشمالية والجنوبية " يطوف" أو "يدور" لها صلة بالمعنى الذي أسلفنا " [1].

– إن العدد سبعة ودوره في الطواف يرجع إلى ما أخذه المسلمون من اليهود والنصارى وغيرهم من الملل.

جاء في دائرة المعارف الإسلامية: أن العدد سبعة ودوره في الطواف يرجع إلى ما أخذه المسلمون من اليهود والنصارى وغيرهم من الملل، وإلى عقائد متأصلة عند الجاهليين[2].

– زيارة الكعبة هي الهدف من الحج.

قال المستشرق أغسطس رالي:" إن الكعبة أهم رمز في الإسلام، وهي الهدف من الحج " [3].

– فضيلة الطواف بالكعبة منفرداً.

قال المستشرق أغسطس رالي:" وبما ان فرصة المسلم في الثواب كبيرة في الطواف، فإن الساحة البيضوية – أي المطاف – لاتخلو من الطائفين أبداً، ليلاً أو نهاراً ترى جموع الطائفين بالكعبة، عُرف عن بعضهم أنهم مكثوا أشهراً في ساحة المسجد على أمل أن يحصل على فرصة لأداء الطواف وحده لينال الجزاء الأوفى في الآخرة"[4].

– إن النبي ﷺ رمل في الطواف؛ لأسباب لايتحكم بها، ولاعلاقة لها بالدين، فهي:" هرولة غير مقصودة ".

ويصف المستشرق الإنجليزي بودلي طواف النبي ﷺ في حجة الوداع :" وأحس أنه لايقوى على الطواف على قدميه، فطاف على راحلته القصواء، وقام خلال الأيام التالية بشعائر حجة الوداع، وكان الناس يرقبونه، وإنهم ليفعلون كل مافعله منذ ذلك اليوم. ولما أسرع محمد في بعض الشعائر، لبعض الأسباب التي لايتحكم فيها، وما كان لهذا أي علاقة بالدين، فإنهم لاحظوا ذلك الإسراع وقد استمر حتى اليوم، ولايوجد شيء مكتوب فيما يختص بمناسك الحج، وإن الذين حضروا ذلك اليوم وعوا كل شيء، ثم نفذوه على مرّ السنين.

---

(١) ١١/ ٣٤٦٥، الحج، فنسنك.

(٢) الدائرة ١١/ ٢٤٣، ٢٤٤، سبع، فنسنك.

(٣) مكة المكرمة في عيون رحالة نصارى ٦٧.

(٤) مكة المكرمة في عيون رحالة نصارى ٧٧.

ولما نجح السير ريتشارد بورتن في عام ١٨٥٣ في الإفلات من تحريم ذهاب غير المسلمين إلى مكة، قام بنفس الشعائر التي قام بها محمد في عام ٦٣٢ بما في ذلك الهرولة غير المقصودة " [١].

– إن تفسير قوله تعالى: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ ﴾ المتعلق بالله والكعبة يعاني عيباً.

قال المستشرق الفريد لويس دي بريمار :"إن الذكر الوحيد لكلمة قريش في القرآن يخص فترة ماقبل الإسلام، لافترة الإسلام ذاتها، إنه يتحدث عن السفر المتناوب لأهل قريش شتاء وصيفاً انطلاقاً من المعبد:

﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾ ﴾ [٢] إن هذا النص القصير جداً، وكما هو مثبت في السورة (١٠٦)، يبدو مبتوراً من بداية نجهل مضمونها الأصلي، وهذا مايجعل ترجمته أو معناه شيئاً غير مضمون، ويفسر لنا تنوع القراءات واختلاف التفاسير التي تعرض لها منذ زمن طويل .

ونظراً للأدبيات الغزيرة والمتناقضة التي أثارها هذا المقطع، فإننا لانستطيع القول بأننا قادرون على فهم معناه بشكل موثوق، ولانستطيع أن نعرف عن أي شيء يتحدث بالضبط، كل مانستطيع قوله هو أنه قديم[٣]".

" أما فيما يخص " ربّ هذا البيت" فلاشيء قيل لنا عن اسمه، ولاعن المكان الذي يوجد فيه المعبد، ولكن التفسير المعتاد والمتوارث يقول: إن الأمر يتعلق بالله وبالكعبة في مكة.

إن منطق هذا التفسير الأخير يعاني عيباً، فقد كان أهل قريش قبل الإسلام يعتبرون وثنيين ومشركين، وعليه فإن الله" المعروف في أماكن أخرى بصفته إلهاً وثنياً" يعتبر هنا إذن بمنزلة الوصيّ على المعبد، والذي ينبغي أن يُعبد، ولكن بالضرورة داخل السياق الوثني السابق على رسالة نبي الإسلام الذي هو مبدئياً من أتباع التوحيد الأكثر صرامة" [٤].

– إمكانية إحلال صخرة بيت المقدس محل الكعبة في الطواف.

جاء في دائرة المعارف الإسلامية: " والطواف فيما عدا الأنواع التي تقدم ذكرها ركن لابد منه؛ ولذلك صار أمراً جوهرياً في الإسلام، ومن ثم فإن مما له دلالته أنه لما صعب على المسلمين الحج إلى مكة بسبب استيلاء عبدالله بن الزبير

(١) الرسول حياة محمد ٣١٤.

(٢) سورة قريش: ١– ٤.

(٣) تأسيس الإسلام بين الكتابة والتاريخ ٧٨.

(٤) المصدر نفسه ٧٩.

عليها معارضاً للخلافة التي كانت قائمة، أعلن الخليفة عبدالملك أن الطواف حول قبة الصخرة سيكون له ما للطواف حول الكعبة من قيمة، ولو أن هذا المنسك من مناسك الحج ترك تركاً تاماً لأحدث ذلك فجوة في الدين الإسلامي، لكن تلك البدعة لم تلبث أن اختفت باختفاء سببها " [١].

– ارتداء كسوة الكعبة القديمة يعصم صاحبها ويحصّنه.

قال المستشرق أغسطس رالي:" ثم تُزال الكسوة القديمة ثم تقطَّع قطعاً صغيرة لتباع إلى الحجاج بأسعار باهضة، فصدرية منها تعصم صاحبها وتحصنه" [٢].

المطلب السابع: الافتراءات في شأن عمر ﷺ مع الكعبة.

– إن سيد بني شيبة ردَّ محاولات الخليفة عمر ﷺ الاستيلاء على كنز الكعبة.

جاء في موجز دائرة المعارف الإسلامية عن كنز الكعبة :" أن سيد بني شيبة قد ردَّ محاولات الخليفة عمر الاستيلاء عليه" [٣].

– التقليل من شأن نزول القرآن موافقة لعمر ﷺ بالصلاة خلف مقام ابراهيم ﷺ.

قال المستشرق الفريد لويس دي بريمار:" وفي الواقع، إن الأمثلة التي توردها روايات المأثور الإسلامي عن الإلهامات شبه النبوية لعمر بن الخطاب ليس لها بحدِّ ذاتها في الغالب إلا قيمة نسبية جداً. فقد كان الغرض منها إبراز أهمية عمر وعظمة شخصيته".

وسيأتي مزيد ذكرٍ لافتراءاتهم وأخطاءهم بشأن الكعبة، والرد عليهم بإذن الله تعالى.

---

(١) ٣١٨/١٥، طواف، بول.

(٢) مكة المكرمة في عيون رحالة نصارى ٦٥.

(٣) ٢٠/ ٦٣٥٨، شيبة، بنو، ديمو مبين.

المبحث الثالث: الدعوات الحديثة لامتهان الكعبة.

المطلب الأول : الدعوات الشرقية.

دعوة الخميني لهدم الكعبة.

ذكر الخميني في كتابه" كشف الأسرار" أن مشروعية الطواف حول الكعبة، وتقبيل الحجر الأسود، والسعي بين الصفا والمروة ماهو إلا طواف وتقبيل لبعض الأحجار، ثم قال:" فالأجدر بكم أن تطالبوا بهدم الكعبة"(١).

المطلب الثاني: الدعوات الغربية.

- تهديد المرشح للرئاسة الأمريكية النائب الجمهوري توم تانكريدو بقصف الأماكن الإسلامية المقدسة في مكة المكرّمة والمدينة المنوّرة بالسلاح النووي.

جدّد المرشح للرئاسة الأمريكية النائب الجمهوري توم تانكريدو تهديده بقصف الأماكن الإسلامية المقدسة في مكة المكرّمة والمدينة المنوّرة بالسلاح النووي، بهدف ردع "القاعدة" عن مخططاتها بالحصول على أسلحة نووية لمهاجمة الولايات المتحدة.

وبحسب شبكة "إيوا بولتيكس"، فقد قال تانكريدو: "لو أن الأمر كان في يدي فسأهدد بصراحة أن أي هجوم يستهدفنا في بلادنا سنرد عليه مباشرة بهجوم في مكة أو المدينة"، زاعماً أن "ذلك هو الشيء الوحيد الذي يمكن أن يردع أي شخص أو جهة من تنفيذ هجوم ضد الولايات المتحدة"(٢).

- ريفن كورت يفكر في تدمير الكعبة.

وعنوان مقاله: "التفكير في تدمير الكعبة"، الذي كتبه في أعقاب تحطيم مركز التجارة العالمي والهجوم على البنتاغون بتاريخ ١١/٩/٢٠٠٠م.

حيث قال:" ففي مكة يوجد برجان طويلان، في شكل منارتين شامختين تحيطان بـ (علبة سوداء عريضة)، يعبدها المؤمنون، ويتجهون إليها في حجّهم المقدس، وإلى هذا الشيء الرمزي يتجه كل المسلمين في صلواتهم ...لندعْ جميعاً أن تبقى الأماكن الإسلامية المقدسة في خدمة المؤمنين المسالمين الذين يعبدون الله فيها، لكن إذا تجرأ الجهاديون على ارتكاب مذبحة أخرى ضد الغربيين، وضد رموز الحضارة الغربية، فلا بد من إقناعهم بشكل لا لبس فيه أنهم لن يجدوا أي قِبلة يتجهون إليها حينما يحنون ظهورهم لعبادة إله الخراب الذي

---

(١) كشف الأسرار ٨١.

(٢) صحيفة الشرق الأوسط، يوم الاثنين بتاريخ ٦/٨/٢٠٠٧م.

يعبدونه...لا بد أن يتجه الغرب الآن إلى (مكة) ، ويتعامل بشكل مباشر مع التهديد الذي أرغمنا رجال الجهاد الجبناء على مواجهته، ويتحدث إلى القتلة باللغة الوحيدة التي يفهمونها "[١].

وسيأتي ذكر بقية هذه الدعوات، والردّ عليها بإذن الله تعالى.

(١) الموقع الالكتروني على الشبكة العنكبوتية: htt:///44xx.com/uploads/x1.jpg